# بلاغة الحجّة
## في خطاب الخلفاء الرّاشدين

دراسة وصفيّة لنماذج خطابيّة

أ. هناء حلاسة








بالعلم نرتقي
مركز الكتاب الأكاديمي

# بلاغة الحجّة

## في خطاب الخلفاء الرّاشدين

### دراسة وصفيّة لنماذج خطابيّة

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2016/1/102)

414.01
حلاسة، هناء عبد الرحمن
بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين/ هناء عبد الرحمن حلاسة عمان: مركز الكتاب الاكاديمي، 2016
(216) ص.
ر.إ.: 102 / 1/ 2016
الواصفات: / البلاغة/ / الخطابة/ / الخلفاء الراشدون632--661
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

**الطبعة الأولى 2016**

**ISBN978-9957-35-181- 6(ردمك)**

لوحة الغلاف: للفنان التشكيلي محمد الرياط





**مركز الكتاب الأكاديمي**

عمّان-وسط البلد-مجمع الفحيص التجاري
ص . ب : 11732 عمّان (1061) الأردن
تلفاكس: 96264619511+ موبايل: 962799048009+
الموقع الإلكتروني: www.abcpub.net
A.B.Center@hotmail.com / info@abcpub.net

# بلاغة الحجّة

## في خطاب الخلفاء الرّاشدين

دراسة وصفيّة لنماذج خطابيّة

أ.هنـاء حلاسـة

مـركـز الكتـاب الأكاديمـي

**بسم الله الرحمن الرحيم**

( أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ )

البقرة/ 258

# مقدّمة

تهتم النّظريات اللّغويّة الحديثة بدراسة الحجاج في مرحلة محدّدة من مراحل التّداول، يعمد فيها المرسل إلى إقامة الحجّة وبنائها وفق وسائل لغوية ، مهما اختلفت طبيعة المواقف وتعددت أنماط الخطابات التي يتواصل بها مع مرسل إليه ، قد يكون مخالفا له في الرأي ، أو شاكا في مصداقية المعرفة المنقولة إليه ، أو جاهلا لحيثيات الموضوع الذي يبنى على أساسه الخطاب ، ولكنّ المرسل قد يتعدى هذا المستوى ؛ أي مستوى بناء الحجة إلى مستوى بلاغة الحجة ، إذا كان خطيبا يروم أعلى مراتب الحجاج ، إذ تقع على عاتقه مسؤولية التأثير في متلق محدد وفق خطاب وظيفته الأولى الإقناع ، ودعائمه الأدلة و البراهين، يتعيّن على المحلّل اللساني رصدها، وإنفاذ النظر في كيفية استعمالها .

و لعل موضوع هذه المذكرة يتنزّل في هذا السياق؛ فهو يستنفد الجهد في سبيل الوقوف على "بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين" من خلال دراسة نماذج خطابية محددة؛ سعيا إلى إثبات أنّ البنى الحجاجية في الخطاب الأدبي لا تكتفي بقوانين البناء، وإنما تقتضي بدورها ظواهر فنية تؤسس بلاغتها ، لكنّ هذا الإثبات لا يتحقق إلاّ من خلال جنس أدبيّ تمثل فيه تلك القوانين البنائية و الظواهر الفنية دعائمه الهيكلية ، فكان جنس الخطابة النمط الخطابي الذي تتحقق من خلاله المعالم المنشودة ، لأنه خطاب يقوم على المنطق والخيال ، ويخاطب العقل دون أن يقصي الوجدان.

ولا جرم أنّ حصر الدراسة في نماذج محددة من خطب الخلفاء الراشدين ( رضي الله عنهم ) يبرره أنّ هذه الخطب لا تتجاوز المستوى البلاغي دون أن تستقي منه الظواهر الفنية التي تسهم في بلورة بلاغتها، فضلا عن استيفائها قوانين البناء في تشكيل بنياتها الوظيفية.

بناء على ما سبق بيانه، تطرح الإشكالات الآتية:

- ما الأسس الحجاجيّة التي اقتضاها خطاب الخلفاء الرّاشدين في إقامة الحجّة ؟

- كيف عملت قواعد البناء على إرساء البنى الحجاجيّة في خطاب الخلفاء الرّاشدين ؟
- كيف أسهمت الظّواهر الفنّية في بلورة بلاغة الحجّة في خطاباتهم؟
- تحقيقا لهذه الغاية المأمومة، سيق البحث طباقا لخطة مرسومة في: مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وإليك بيانها:
- مقدمة؛
- الفصل الأول: المفاهيم الأوّلية و المعالم النظرية للمصطلحات البنائية؛

أوّلا / الحجة و الحجاج

ثانيا / الخطاب الحجاجي

ثالثا / فن الخطابة

- الفصل الثاني: بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الرّاشدين؛

أوّلا / بلاغة الاستدلال بالتّقابل من خلال الاستلزام الحواري

ثانيا / بلاغة الاستدلال بالعكس والنّقض من خلال أفعال الكلام

- الفصل الثالث: بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الرّاشدين؛

أوّلا / بلاغة الاستدلال بالقياس من خلال أفعال الكلام

ثانيا / بلاغة الاستدلال بالاستقراء من خلال الاستلزام الحواري

- خاتمة.

عقد الفصل الأول ، وهو فصل نظري، للتعريف بالمصطلحات التي بني على أساسها موضوع البحث ، لذلك قسم هذا الفصل بعد وسمه بـ" المفاهيم الأوليّة و المعالم النظريّة للمصطلحات البنائيّة " إلى ثلاثة أقسام، يتكفل كل واحد منها على التّرتيب بـ : الحجّة والحجاج ، فالخطاب الحجاجي، ففنّ الخطابة .

و قد سيق الفصل الثاني بعنوان " بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين " ، على أنّ المعارف المتوصل إليها ، تفيد بـأنّ الحجـاج وفـق خطـاب أدبـي

يعتمد على مستوى بلاغي يستدعي ضمنا مستوى بنائيا استدعاء متزامنا، لذلك استدعى منهج التحليل قبل دراسة المستوى البلاغي ، دراسة المستوى البنائي الذي يضبط ما يسمى بـ "البنى المنطقية المباشرة"، وبالتّالي شملت عملية التّحليل البنى القائمة على قواعد التّقابل وقوانين العكس والنّقض حسب ما يلي :

أولا/ بلاغة الاستدلال بالتّقابل من خلال الاستلزام الحواري:

- تمهيد (التّعريف بالتّقابل)

منطق التّداخل وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق

منطق التّناقض وأبعاده التّداوليّة في خطاب عمر بن الخطّاب

منطق الدّخول تحت التّضاد وأبعاده التّداوليّة في خطاب عثمان بن عفّان

منطق التّضاد وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب

ثانيا/ بلاغة الاستدلال بالعكس والنّقض من خلال أفعال الكلام:

- تمهيد (التّعريف بالعكس والنّقض)

منطق العكس المستوي وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق

منطق نقض المحمول وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب

أمّا الفصل الثّالث، فتشتدّ عنايته بالبنى المنطقيّة غير المباشرة، و من خلاله تم ضبط البنى القائمة على صور القياس وأصناف الاستقراء وفق الآتي :

أولا/ بلاغة الاستدلال بالقياس من خلال أفعال الكلام:

- تمهيد (التّعريف بالقياس)

منطق القياس الحملي وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق

منطق القياس المضمر وأبعاده التّداوليّة في خطاب عمر بن الخطّاب

منطق القياس الشّرطي وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب

ثانيا/ بلاغة الاستدلال بالاستقراء من خلال الاستلزام الحواري:

- تمهيد (التّعريف بالاستقراء)

منطق الاستقراء التّام وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق
منطق الاستقراء النّاقص وأبعاده التّداوليّة :

1- في خطاب عمر بن الخطّاب
2- في خطاب عثمان بن عفّان

- منطق الاستقراء وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب: منطق الاستقراء التّام
- منطق الاستقراء النّاقص

و إذا كان تحديد البنى المنطقية بشقيها المباشر وغير المباشر قد تمّ بناء على ما هو وارد في النّماذج الخطابيّة محلّ الدّراسة ، فإنّ الظّواهر البلاغيّة قد تمّ تحديدها إجرائيّا بناء على ما اقتضته مضامين البنى المضبوطة سلفا من خلال تحليل منهجي يعزى إلى كلّ من نظريتي الاستلزام الحواري والأفعال الكلاميّة.

ولأجل بسط القول في هذه الفصول، كان لزاما توظيف المنهج التداولي، الذي يتكفل ببيان أبعاد اللغة و أهداف الخطاب في سياقات وظيفية متباينة.

وحري بالبيان أيضا، أنّ البحث قد استقى مادته من مصادر ومراجع شتّى، تنوعت بين ما هو تراثي، وما هو معاصر، لعل أوفرها حظا في التوجيه المصنفات الآتية:

- التعريفات للجرجاني؛
- تاريخ الخلفاء للسيوطي؛
- البيان والتبيين للجاحظ ؛
- البداية والنهاية لابن كثير؛
- تاريخ الأمم والملوك للطّبري؛
- نهج البلاغة للشّريف الرّضيّ؛
- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني؛

- اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي لطه عبد الرحمن؛
- المنطق ومناهج البحث لماهر عبد القادر محمد علي؛
- إستراتيجيات الخطاب - مقاربة لغوية تداولية - لعبد الهادي بن ظافر الشهري .

ختاما، لا يكون الحمد إلا لله عزّ وجلّ. أمّا الشّكر والامتنان والعرفان، فلأستاذي الفاضل الدّكتور صلاح الدّين ملاوي ، ولكلّ من قدّم لي النّصح والإرشاد والتّوجيه والمساعدة.

و ما توفيقي إلاّ بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

# الفصل الأوّل

## المفاهيم الأوليّة والمعالم النّظريّة للمصطلحات البنائيّة

- أوّلا/ الحجّة والحجاج :
- الحجّة
- الحجاج
- ثانيًا/ الخطاب الحجاجي :
- مفهوم الخطاب وأنماطه
- أسس الخطاب الحجاجي وخصائصه
- ثالثا/ فنّ الخطابة :
- مفهوم الخطابة ونشأتها
- هيكل الخطابة وأنواعها
- أغراض خطابة الخلفاء الرّاشدين وخصائصها

# الفصل الأوّل

## المفاهيم الأوليّة والمعالم النّظريّة للمصطلحات البنائيّة

### أوّلا / الحجّة والحجاج :

**I- الحجّة :**

**1- مفهوم الحجّة لغة و اصطلاحا :**

ورد في لسان العرب الحجة: الدليل والبرهان[1]، وكذلك في المعجم العربي الأساسي، حيث جاء فيه، الحجة جمعها حجج وحجاج، بمعنى الدليل والبرهان، فالبرهان مصدر برهن يبرهن والجمع براهين: الحجة البينة الفاصلة، (...) وفي الرياضيات: ما يثبت قضية من مقدمات مسلم بها، والدليل: ما استدل به؛ استدل يستدل استدلالا: انتقال الذهن من أمر معلوم إلى أمر مجهول، واستدل على الشيء: تعرف وتوصل إلى حقيقته، واستدل بالشيء على الشيء: اتخذه دليلا عليه، والدليل مصدر دل يدل والجمع أدلة: دل فلان الشخص على الشيء أي أرشده وهداه إليه[2]. كما أثبت صاحب "كتاب التعريفات" أن الحجة والدليل واحد، وهما ما دل به على صحة الدعوى[3].

على حين يرى المناطقة أن مصطلح "الدليل" (La preuve) يكون مرادفا لكل من مصطلحي "الحجة" (L'argument) و"البرهان" (La démonstration) – في غالب

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997 م ، مادة (حجج)، 28/2.

[2]- المعجم العربي الأساسي ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، توزيع لاروس ، 1989 م ، ص291، 292.

[3]- الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، د. تح ، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005 م ، ص60.

الأحيان- على أساس أنه سبيل عقلي إقناعي شامل، لا يستمد قوته إلا من إعمال الفكر[1].

لكن "الحجة" من دون "الدليل" تختص بصفتين هما:

أ- **إفادة القصد**[2]: لأن الحجة مشتقة من الفعل "حج"، ومعنى هذا الفعل كما ورد في المعاجم اللغوية هو "القصد"[3]، فسميت الحجة حجة؛ لأنها تحج أي تقصد؛ فالقصد لها وإليها[4].

وقد وضح "أبو الهلال العسكري" (ت400هـ) صفة "إفادة القصد" في كتابه "الفروق" بشرح أدق، حيث قال:"الحجة هي الاستقامة في النظر والمضي فيه على سنن مستقيم من رد الفرع إلى الأصل، وهي مأخوذة من المحجة وهي الطريق المستقيم (...)، حج يحج، إذا استقام في قصده"[5].

ب- **إفادة الغلبة**[6]: وذلك أن الفعل "حج" يدل أيضا على معنى "غلب"؛ حج فلان فلانا أي غلبه بالحجة[7]؛ فيكون في هذه الحالة مدلول الفعل إلزام الغير بالحجة، فيصير بذلك مغلوبا، ويرجع "أبو هلال العسكري" تأثير الحجة في النفس – أي

---

1- طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998 م ، ص132 ؛ جبور عبد النور، سهيل إدريس ، المنهل- قاموس فرنسي عربي- ، دار الآداب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1977 م ، ص67، 309، 824.

2- طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص137.

3- المعجم العربي الأساسي ، ص291.

4- ابن منظور، لسان العرب ، مادة (حجج) ، 28/2.

5- أبو هلال العسكري ، كتاب الفروق، تقديم وضبط وتعليق وفهرسة: أحمد سليم الحمصي، دار جروس برس، طرابلس، لبنان، ط1، 1994م، ص74، 75.

6- طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص137.

7- ابن منظور، لسان العرب ، مادة (حجج)، 28/2.

إفادة الغلبة – إلى صفة الاستقامة في القصد[1]؛ أي عدم انتهاج مسالك ملتوية أثناء عملية الإقناع؛ وفي حالة انتهاج المتكلم هذه المسالك يسمى دليله "المغالطة"[2].

أما "البرهان" فمن خصائصه ما يأتي[3]:

**أ- التواطؤ:** حيث يحرص صاحب البرهان أي المتكلم على أن تكون الألفاظ التي يستعملها، والقواعد التي يصوغها خالية من كل آثار اللبس الدلالي، حتى تكون الألفاظ دالة على معانيها بوجه واحد لا ثاني له؛ وهذه الدلالة الواحدة أو الإفادة الواحدة هي ما اصطلح عليه بلفظ "التواطؤ".

**ب- الصّوريّة:** إذ لا يستقيم الدليل على أصول البرهان إلا إذا كان بالإمكان رده إلى جملة من الصيغ والتراكيب؛ أو إلى جملة من الصور الكتابية التي تستغني بشكلها وترتيبها عن اعتبار المضمون الدلالي للألفاظ والعبارات التي استبدلت بها هذه الصيغ والتراكيب.

**ج- القطعيّة:** لما انبنى البرهان على التواطؤ، والصورية، أقر الحكماء أن النتائج التي يتوصل إليها البرهان تفيد القطع، وقد شاع في الاستعمال أن القطع مرادف لليقين، وبالتالي يكون البرهان مفيدا لليقين، وفي ذلك يقول "أبو الهلال العسكري" :"دلالة البرهان هي الشهادة للمقالة بالصحة"[4]، ويقول في موضع آخر من كتابه:"البرهان لا يكون إلا قولا يشهد بصحة الشيء"[5].

---

[1]- أبو هلال العسكري ، كتاب الفروق، ص75.

[2]- ينظر: محمد فتحي الشنيطي ، أسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1970م، ص106، 107.

[3]- طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص137، 138.

[4]- أبو هلال العسكري ، كتاب الفروق ، ص75.

[5]- نفسه ، ص76.

د- **الاستقلال:** فالبرهان لا يتعلق بالمجال الذي استعمل فيه، وإن كان هذا المجال هو الأصل في النهوض به؛ لأن البرهنة تقع بطريقة مجردة في استقلال عن كل السياقات الخارجية وما يترتب عليها، عدا سياق النظام (السياق اللغوي) [1].

وعلى اعتبار أن "قوام البرهان مقدمات أولية صادقة [بديهيات أو مسلمات]، وسابقة على النتيجة، وأبين منها"[2]؛ فإن المقدمات ونتائجها تفرض شكلا صوريا يتواطأ مع المضمون الدلالي (الفكرة) وفق أسس منطقية تؤدي إلى حتمية الإثبات؛ أي إلى القطع بصحة ما استدعى البرهان؛ لأنها أسس(الأسس المنطقية) مستقلة عن كل تأثير خارجي.

بناء على ما سبق، يتضح أن "الحجة" أعم من "البرهان"، إذ قد يعتمد على البرهان في إقامة الحجة، إلا أن "الدليل" أعم منهما؛ لأنه لا يقصد للعمل به فحسب، بل قد يوضع لمجرد النظر فيه؛ كما لا يؤتى به في موطن الرد على الخصم فقط، بل قد يبنى في موطن مستقل عن أية خصومة، إضافة إلى كونه يشتمل أصنافا من المعطيات قد تدل ألفاظها على المعاني بضرب من ضروب الالتباس الدلالي، كما قد لا يحتاج- بناء على هذه المعطيات- إلى ضرورة الجزم (القطع)، نظرا لما لها من روابط بمقامات الكلام[3].

وعليه ، "الحجة" (L'argument) في اصطلاح المناطقة هي الدليل الذي يقصد، أو الذي يجب الرجوع إليه للعمل به من أجل تحصيل الغلبة على الخصم[4].

---

[1]- ينظر: صابر الحباشة ، التداولية و الحجاج – مداخل و نصوص- ، صفحات الدراسات و النشر ، دمشق ، سورية ، ط1 ، 2008 م ، ص69.

[2]- ماهر عبد القادر محمد علي ، فلسفة العلوم – المنطق الاستقرائي- ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1984 ، 25/1.

[3]- طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص137، 138.

[4]- نفسه ، ص137.

## 2- أقسام الحجّة:

بناء على المعنى اللغوي و المفهوم الاصطلاحي، اتّضح أنّ عملية تشكيل الدليل أو توظيفه في كلام ما تسمى: "استدلالاً"؛ والاستدلال:"طلب معرفة الشيء من جهة غيره"[1]، وبتعبير أدق هو طلب الدليل سواء أكان برهانا أم حجة[2].

وإذا كانت الحجة هي ما يستدل به على صحة رأي ما، فإن المتكلم قد يطلب هذه الحجة من جهة المنطق، كما قد يطلبها من جهة أبنية لغوية تحمل في كنهها (ذاتها) دليل حجيتها، ويحدث أن تطلب من الجهتين، فأما الحالة الأولى فيصطلح عليها بـ"الاستدلال المنطقي"، أما الحالة الثانية فيصطلح عليها "الاستدلال بالشواهد"، وما يأتي يوضح الفرق بين الحالتين:

أ- **الاستدلال المنطقي**: هو طلب الدليل/ الحجة من جهة المنطق[3]، ويقسم إلى مباشر وغير مباشر:

- **الاستدلال المنطقي المباشر**: هو استنتاج قضية من قضية أخرى – سواء أكانت حملية أم شرطية – دون توسط قضية ثالثة[4]؛ أي الوصول إلى نتيجة من قضية واحدة (مقدمة) [5]، ويتحقق ذلك وفق "قوانين العكس والنقض" و"قواعد التقابل بين القضايا"، وهذه القواعد هي: التضاد، و التناقض، و التداخل، و الدخول تحت التضاد[6].
- **الاستدلال المنطقي غير المباشر**: هو استنتاج قضية (نتيجة) من قضيتين أو أكثر (مقدمات)، فإن تم استنتاج قضية من قضيتين يسمى

---

1- أبو هلال العسكري ، كتاب الفروق، ص79.

2- طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص131.

3- ينظر: محمد فتحي الشنيطي ، أسس المنطق والمنهج العلمي ، ص21، 22.

4- محمود زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص20.

5- محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص79.

6- ماهر عبد القادر محمد علي ، المنطق ومناهج البحث ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1985، ص55.

الاستدلال "قياساً"، وإن تم الاستنتاج من أكثر من قضيتين يسمى الاستدلال "استقراء"، والقياس إما "حملي" وإما "مضمر" وإما "شرطي"، وأما الاستقراء فيكون "تاماً" أو "ناقصاً"[1].

**ب- الاستدلال بالشّواهد:** هو طلب الدليل من جهة الشاهد، والشاهد دليل يتميز بكونه يدل على أمر حاضر؛ أو ماثل يتوسل به إلى غيره، ليظهر ما كان خفيا منه إما لإثباته وتأكيده، وإما لإفساد نتائج أدلة الخصم من خلاله[2]؛ أو هو العينات التي تمثل مدلول اللفظ (الدليل) وخصائصه أحسن تمثيل، إذا ليس في الإمكان إدراك الدليل إلا بواسطة نماذج تستحضرها الذاكرة[3]، بناء على مقتضيات المقام، وبناء على ما تعارف عليه المحيط الاجتماعي، وعليه تكون النصوص المقدسة من قرآن كريم وحديث نبوي شريف في الثقافة الإسلامية، والأقوال المأثورة من أمثال وحكم، والحقائق التاريخية من أحداث واقعية ماضية وحاضرة، أدلة اصطلح عليها العلماء المحدثون بـ "الحجج الخطابية"[4].

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن "أرسطو طاليس" (Aristoteles / 384 - 322 ق.م)[5] في كتابه "الخطابة" (Rhetorica) طرح تقسيما مشابها لهذا التقسيم المنهجي

[1]- محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمي، ص20 ، 21.

[2]- طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص135.

[3]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي للنشر، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2000م، ص101.

[4]- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية - ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ، لبنان ، دار أويا للطباعة و النشر و التوزيع ، طرابلس ، ليبيا ، ط1 ، 2004 م ، ص 537 - 540 ؛ سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة – بنيته وأساليبه - دار عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، دار جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ط، 2008م، ص242، 270، 287.

[5] ـ المنجد في اللغة و الأعلام ، دار المشرق ، المكتبة الشرقية للتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة المئوية الأولى، 2008 م ، 2 / 38.

بقوله: "أما التصديقات فمنها بصناعة، ومنها بغير صناعة، وقد أعني باللاتي بغير صناعة تلك اللاتي ليست تكون بحيلة منا، لكن بأمور متقدمة؛ كمثل الشهود (...)، وأما اللاتي بصناعة فما أمكن إعداده وتثبيته على ما ينبغي بالحيلة وبأنفسنا"[1].

وعليه فإن الحجج عند "أرسطو" تقسم إلى "حجج غير صناعية" وهي الأقوال الجاهزة التي يوفرها المقام العام للكلام، و"حجج صناعية" وهي ما يتم استكشافها بناء على إعمال العقل من جهة، ومراعاة القضايا والمؤثرات النفسية من جهة أخرى[2]، ويقتضي ذلك تقسيمها

إلى: حجج صناعية "منها ما يكون بكيفية المتكلم وسمته، ومنها ما يكون بتهيئة السامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت"[3].

على أن الفرعين الأول والثاني من هذه الحجج، يختصان بالجانبين الأخلاقي (أخلاق الخطيب)، والانفعالي (انفعال السامع)، أما الفرع الثالث فيختص بالجانب العقلي (الاستدلال المنطقي)[4]، إلا أن ما يؤخذ على "أرسطو" في تقسيمه الحجة الصناعية، هو الفصل بين ما هو عقلي وما هو نفسي، في حين أن الفصل قد يكون مستحيلا، لأن توظيف الحجج المنطقية لا يتم بمعزل عن الجوانب النفسية والشعورية، كما لا يمكن لها أن تتحقق إلا وفق أساليب لغوية قد تكون بلاغية فيما لو كان الكلام فنيا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن اعتبار "أرسطو" "الحيلة" أو ما يسمى "بالحجة السفسطائية" من بين أصناف الحجة الصناعية فيه نظر، وذلك أن علماء المنطق لا يعتبرون السفسطة حجة؛ لأن الحجة من صفاتها الاستقامة، وبالتالي يعتبرونها دليلا

---

[1]- أرسطو طاليس ، الخطابة، الترجمة العربية القديمة ، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن بدوي، دار القلم للنشر، بيروت، لبنان، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ط، 1979م، ص09.

[2]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر ، دار الكتاب الجديد المتحدة للنشر، بيروت ، لبنان ، دار أويا للطباعة و النشر و التوزيع ، طرابلس ، ليبيا ، ط1 ، 2008 م ، ص47.

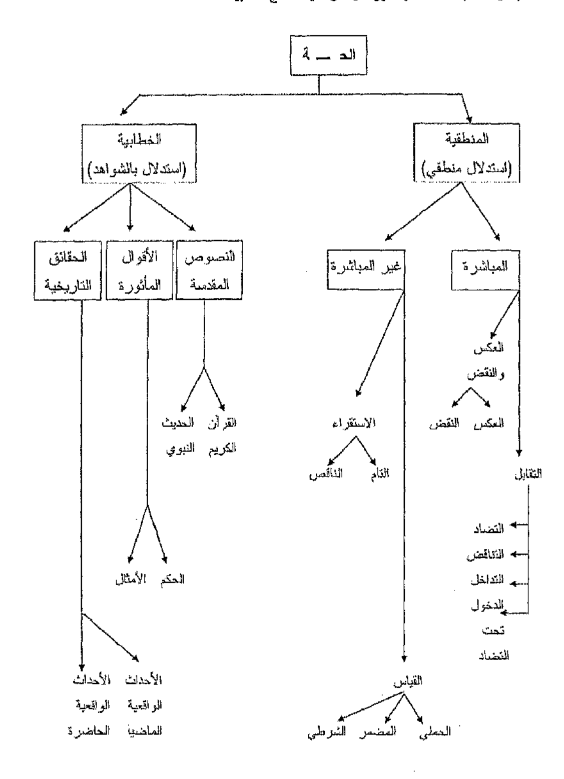
[3]- أرسطو طاليس ، الخطابة، الترجمة العربية القديمة ، ص10.

[4]- جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، 2000 م ، ص108، 109.

قائما بذاته يسمى "المغالطة" أو "الأغاليط"[1]، ويعرف "الجرجاني" هذا الصنف من الأدلة بأنه[2]: قياس فاسد، يكون "سفسطة" إذا كان قياسا مركبا من مقدمات شبيهة بالحق، ولكنها ليست حقا (مسلمات خاطئة)، ويكون "مشاغبة" إذا كان قياسا مركبا من مقدمات شبيهة بالمشهورة (مسلمات احتمالية ظنية).

بناء على ما قيل، يمكن استنتاج مخطط عام يلخص أقسام الحجة حسب الآتي:

[1]- محمد فتحي الشنيطي ، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص106، 107.
[2]- الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، ص154، 155.


الحـــجة
المنطقية
(استدلال منطقي)
الخطابية
(استدلال بالشواهد)
المباشرة
غير المباشرة
النصوص المقدسة
الأقوال المأثورة
الحقائق التاريخية
العكس والنقض
العكس
النقض
التقابل
التضاد
التناقض
التداخل
الدخول تحت التضاد
الاستقراء
التام
الناقص
القياس
الحملي
المضمر
الشرطي
القرآن الكريم
الحديث النبوي
الحكم
الأمثال
الأحداث الواقعية الماضيا
الأحداث الواقعية الحاضرة

**المخطط 1**

## الحجـــاج:

1- **مفهوم الحجاج وملامحه:**

إذا كانت المعـاجم اللغويـة تـرى بـأن "الحجـاج" جمـع "الحجـة"[1]، فـإن "الحجـاج" (L'argumentation) في الدراسات اللغوية الحديثة، نظريـة تؤطرهـا قواعـد وقـوانين تضطلع بتحديد وظائف التقنيات اللغوية التي تحمل المتلقي على الاقتناع بما يعـرض عليه، أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع[2].

وقد تم التأسيس لهذا التوجه الحديث سنة 1958م، بصدور كتاب "مصـنف في الحجاج: الخطابة الجديـدة" (Traité de l'argumentation: la nouvelle rhétorique)، لكل من "شيم بيرلمان (Ch.Perlman)" و"أولبريشت تيتيكا (O.tyteca)"[3].

وتستمد هذه النظرية آلياتها الإجرائية من المفهوم العام للحجاج، فهو طريقـة تحليل واستدلال في كـلام مـا، بقصـد تقـديم مسـوغات مقبولـة للتـأثير في الاعتقـاد والسلوك[4]، والحمل على الإذعان بشكل يدفع إلى العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو التهيؤ للقيام بذلك العمل في اللحظـة المناسبة[5]، وهـذا يقتضـي اسـتراتيجية لغوية تكتسب بعدها المعـرفي مـن الأطـراف الرئيسـة في العمليـة التواصـلية، إذ لابـد لمتكلم أن ينقل تصوراته ومدركاته إلى مسـتمع بقصـد الإبـلاغ والإخبـار مـع حتميـة الإقناع، بناء على مراعاة الظروف المقامية[6].

على هذا الأساس رأى الدارسون المحدثون أن الحجاج يتميز بخمسة ملامح هي[7]:

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجج)، 28/2؛ المعجم العربي الأساسي، ص292.

[2]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص21.

[3]- Jean - Jacques Robrieux, Rhétorique et argumentation, édition NATHAN, Paris, France, R.2,2000, P39.

[4]- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص105.

[5]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص107، 108.

[6]- ينظر: حمدي منصور جودي، "خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي – دراسة لنماذج نصية مختارة –"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان، إشراف: محمد خان، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة والأدب العربي، 2008/2007، ص49.

[7]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص108.

أ- التوجه إلى مستمع، لأن الكلام بصفته حدثا نطقيا ينجز وفق معطيات معينة من سياق يفترض مستمعا خاصا من جهة الكفاءة، وخاصا أيضا من جهة المعتقدات التي تكون فكرية ووجدانية في آن معا، وبالتالي إذا كان الكلام حجاجا فإن المستمع ما هو إلا وجهة نظر قد تتوافق ورأي المتكلم، فيعمل هذا الأخير على تأكيدها، وقد تلتزم الحياد أو تتخالف معه، فيعمل في هذه الحالة على الإقناع ومحاولة التأثير[1]، ويقتضي ذلك ثقافة واسعة في المتكلم تجعله قادرا على النفاذ إلى عالم المستمع، والفعل فيه بتغيير آرائه ومواقفه، بل وما يرتئيه لنفسه من سلوك[2].

ب- التعبير بلغة طبيعية، فمادامت اللغة المحتج بها كامنة في الذهن، فإن الحجاج يكون تلفظا شفويا أمام مستمعين، مثلما يكون مكتوبا تتداوله بالقراءة جماعة المعنيين به[3]، إلا أن هذه اللغة الطبيعية، سواء أكانت على طريق التلفظ الشفوي، أم على طريق الكتابة، فإن دلالات ألفاظها وإيحاءاتها تتعدد وإن لم تتعدد صيغها التركيبية (إمكانية التأويل)[4]، نظرا لاتكائها على بعدين مختلفين، بعد دلالي تصريحي، وبعد دلالي ضمني، وهذا ما يسوغ إمكانية التأويل التي تتحكم فيها وجهة نظر معينة، لذا يجب على المتكلم أن يضيف إلى مجهوده في اختيار المعطيات الحجاجية مجهودا آخر يبذله من أجل أن تؤول هذه المعطيات التأويل الذي يرتضيه، وأن تعطى لها الدلالة التي يريد فيما إذا كانت صريحة أو ضمنية[5].

ج- المسلمات لا تعدو أن تكون احتمالية: إن الطابع الاحتمالي للمسلمات نابع من كون المستمع مستمعا خاصا كما سبق بيانه، حيث لا تكون المسلمات بديهية في ذاتها

---

[1]- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، إفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2005 م، ص220.

[2]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص31، 42.

[3]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص110.

[4]- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص222.

[5]- ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص31.

بل في كونها صادقة بالنسبة لذلك المستمع[1]، ووعي المتكلم بطاقات مخاطبيه المعرفية، والتي هي أفكار يسلمون بها سلفا وإن لم يكن لها فاعلية في ذاتها، يسهم في تحقيق وظيفة الحجاج بأقل جهد ممكن، لأن ما هو حاضر في الذهن يكون أهم، وما ينبغي على المتكلم إلا أن يأخذه بعين الاعتبار، وأن يستغله الاستغلال الأمثل[2]، إلا أنّ إسناد المسلمات الاحتمالية إلى الحجاج لا يعني إقصاء ما هو حتمي، إذ قد يتضمن عناصر برهانية ضرورية[3].

د- الحجج تفتقر إلى ضرورة منطقية: إذا كانت المقدمات (المسلمات) لا تعدو أن تكون احتمالية، فإن تطور الحجاج ضمن السلسلة الكلامية، قد لا يتم وفق تفكير منطقي[4]؛ لأن الحجاج قد يعرف في بعد من أبعاده بأنه ما كانت علاقته تأبى الخضوع للمنطق الصوري[5]، وفي مثل هذه الحالة قد يتخلى المتكلم عن المنطق، ويلجأ إلى قضايا ومؤثرات نفسية مثل: الخيال، والعاطفة، والمعاني الإنسانية...الخ[6]، إذ لا سبيل إلى الإقناع في كثير من الأحيان – خاصة في غياب المنطق- دون إثارة، وبالتالي لا مفر للحجاج من البلاغة، لأن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية[7].

هـ- النتائج غير ملزمة، وذلك بناء على الملمحين السابقين، فإذا كان مجال الحجاج هو المحتمل وغير المؤكد، وإذا كانت مقدماته ذات محتوى وجداني إذ لا يعضده في مثل هذه الحالة إلا الأساليب البلاغية[8]، فمن الطبيعي أن تكون نتائجه كذلك أي غير

[1]- محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول ، ص224.

[2]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص114.

[3]- محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، ص225.

[4]- نفسه ، ص226.

[5]- طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص36.

[6]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص108، 109.

[7]- سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص175.

[8]- صابر الحباشة ، التداولية والحجاج ، ص50.

ملزمة، وإن سعت منطقيته خلال مرحلة من مراحل تطور الكلام، إلى إلغاء ما هو وجداني احتمالي، وإثبات ما هو عقلي يقيني[1].

إذا، الحجاج (L'argumentation) هو آلية تعمل على عرض الحجج (Les arguments) وتوظيفها من جهة، وكيفية تؤدي إلى بناء الأساليب اللغوية ذات الأبعاد البلاغية من جهة أخرى، دون أن تهمل في خضم ذلك شخصية المتكلم وطبيعة السامع المستهدف؛ لأن تحقق الغرض التواصلي متعلق بهما، ويكمن في مدى مناسبة المتكلم بين المعطيات الحجاجية وظروف المقام عامة، ومدى قدرته على استغلال هذه المعطيات؛ لإقناع المستمع خاصة، إضافة إلى مدى استثماره النواحي النفسية والجوانب الوجدانية من أجل حتمية التأثير[2].

ونجاح المتكلم في تطبيق تعاليم الحجاج وآلياته، يسهم في بناء نمط خاص من أنماط الخطابات، وقبل تفصيل الحديث في هذا النمط لابد من حصر أوجه الاختلاف بين الحجة والحجاج.

**الفرق بين الحجّة والحجاج :**

بناء على ما سبق بيانه فيما يخص الحجة، وبناء على ما تم توضيحه بالنسبة للحجاج، يبدو أن ميدان هذا الأخير قد يكون المنطق اللاصوري أحيانا؛ لأنه في كثير من المواقف يتخلى عن الدقة والمصداقية، ويلجأ إلى الإقناع بعيدا عن الموضوعية، فالمتكلم وهو يبني بالحجاج عالما خاصا، قد يخالف على نحو جلي طرائق الاستدلال المنطقي، إذ يمنح متلقيه من خلال طريقة تحاورية معلومات عن العالم المتحدث عنه، ولكن هذا التحاور فيما بين المتكلم والمتلقين، يكون على طريقتهم الخاصة وحسب

[1]- محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، ص228.
[2]- ينظر: صابر الحباشة ، التداولية والحجاج ، ص21.

قناعاتهم الشخصية؛ أي بعيدا عن التأثير القائم على الأسس العقلية والحقائق العلمية، وحتى الأعراف الاجتماعية[1].

يضاف إلى ذلك أن هذه المعلومات التي يقدمها المتكلم ليس من شأنها أن تكون حاسمة فاصلة فيما تثبت أو تنفي، وإنما يمكن أن تكون فيما هو مرجح، وممكن، ومحتمل، وبالتالي فإن النتائج المتحصل عليها من هذا السلم الحجاجي لن تكون يقينية[2]؛ بما أن غاية الحجاج ليس الصدق الدقيق، ولا البرهنة القاطعة، وإنما استمالة المتلقي وحمله على الإذعان وإن كان عن طريق "المغالطة" و"التمويه"[3].

على خلاف ذلك تماما ينبني مفهوم الحجة، إذ من خصائصها الاستقامة في القصد بعيدا عن السفسطة والالتواءات الفكرية؛ لأنها أقرب إلى المنطق في إحدى بعديها، وأقرب إلى المتفق عليه في بعدها الآخر، وبالتالي تأخذ الحجة صفة الموضوعية التي تفرض الإلزام والوجوب على المتلقي يقينا لا احتمالا وتمويها، على اعتبار أن الحجة دليل يلزم من العلم به العلم بشيء آخر[4].

بناء على أوجه المقارنة بين الحجاج والحجة يتضح أن علاقة تجمع بينهما، فإذا كان الحجاج هو دراسة تقنيات الكلام التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للمعارف التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته، وإذا كانت الحجة تقسم إلى منطقية وخطابية، فإنه من الصواب المنهجي عدم الخلط بين مظاهر التأمل العقلي المتصل بالحقيقة (المنطق)، والمظاهر التي تشير إلى هذا التأييد

1- سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص31.
2- جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، ص106.
3- سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص24، 25، 26.
4- الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، ص76.

(الواقع/المجتمع)[1]، وبين تلك التقنيات التي تمثلها جملة اختيارات تراعي مقاصد الكلام، وتستجيب لعلاقة المتكلم بالمتلقي ومقتضيات المقام[2].

إذا، الحجاج هو جملة التقنيات التي تراعي توظيف الحجة وبناءها بكيفية فنية، إضافة إلى كونه جملة التقنيات التي تراعي دراسة الاختيارات اللامنطقية والبراغماتية على مستوى السياق اللغوي بأبعاده المعجمية، والتركيبية، والدلالية من جهة، وعلى مستوى السياق الخارجي بأبعاده الموقفية (ظروف التواصل) والاجتماعية (عادات) والفكرية (معتقدات) من جهة أخرى.

وعليه، فالحجاج أشمل من الحجة، لأنه قد يلجأ إليها، وبالتالي فإن علاقة الاحتواء هي ما يجمع بينهما.

## ثانيّا / الخطاب الحجاجي :

### مفهوم الخطاب وأنماطه :

#### 1- مفهوم الخطاب لغة و اصطلاحا :

الخطاب في اللغة من الجذر (خ ط ب)، خطب، الخطب، الشأن أو الأمر صغر أم عظم، والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام[3].

والمخاطبة: مصدر خاطب (...)، خاطب يخاطب خطابا ومخاطبة، الشخص واجهه بالكلام، وخاطبه في أمر إذا راجعه في شأنه، وجمع المخاطبة: مخاطبات، وجمع الخطاب: خطابات[4].

---

1- صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، مصر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004 م ، ص97.

2- سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص88.

3- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خطب) ، 275/2.

4- المعجم العربي الأساسي ، ص404.

وعليه، فالخطاب في اللغة: مواجهة الآخرين بالكلام، أو هو نظام صياغة الكلام المؤثر في الآخرين وتنظيمه[1]، ما يعني أن أربعة عناصر رئيسة تسهم في بناء مفهوم الخطاب لغة[2]:

أولها عنصر "التوجيه المباشر": فالخطاب موجه توجيها مباشرا، من مخاطب بعينه إلى مخاطب بعينه، في سياق (مقام) بعينه، لتحقيق غاية بعينها، وهذا يقتضي عنصرا ثانيا هو "نظام التوجيه"؛ أي توجيه أطراف الخطاب المشار إليها آنفا توجيها يراعي العلاقة القائمة بين المستمع والمتكلم، بناء على ما تقتضيه مقاصد هذا الأخير وأحوال المخاطبين وظروف الخطاب؛ وهذا يؤدي إلى عنصر ثالث هو عنصر "الموقف التبادلي أو التفاعلي" الذي تقع فيه المخاطبة – بناء على شروط نظام التوجيه –، أضف إلى ذلك عنصرا آخر هو عنصر "الخطاب" نفسه بما يحتويه من مضامين دلالية.

انطلاقا من هذه العناصر، يمكن القول إن الخطاب كلام متبادل بين طرفين أو أكثر بناء على شروط تفرضها حيثيات مقام محدد.

بناء على المعنى اللغوي للخطاب، يمكن توضيح أبعاده الاصطلاحية في الدراسات اللغوية الحديثة ، وذلك أن المصطلح العربي "خطاب" ترجمة للمصطلح الأجنبي (Discours)[3]، الذي يعرف بأنه: "ليس (...) مجموعة من العبارات المنفصلة عن بعضها البعض، لكنه تجمعات لأقوال، أو جمل، أو عبارات يتم تشريعها في سياق اجتماعي معين، فيحددها هذا السياق"[4].

إذا، مفهوم الخطاب في الدراسات الحديثة يقتضي شرطين متلازمين[5]:

---

[1]- عبد الواسع الحميري ، الخطاب و النص – المفهوم، العلاقة، السلطة - ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2008م ، ص12.

[2]- نفسه ، ص13 ؛ عبد الواسع الحميري ، ما الخطاب وكيف نحلله ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2009م ، ص10.

[3]- جبور عبد النور، سهيل إدريس ، المنهل – قاموس فرنسي عربي- ، ص337.

[4]- سارة ميلز، الخطاب ، ترجمة : يوسف بغول ، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر، 2004 م ، ص08.

[5]- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص37.

– الأول، أنه ذلك الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة، بناء على التعريف السابق لـ"سارة ميلز"( الخطاب (...) تجمعات لأقوال أو جمل)، والخطاب بهذا المفهوم يرادف مصطلح "الملفوظ" في الدرس الحديث.

– والثاني أنه ذلك الشكل اللغوي – بالتحديد الملفوظ – الموجه إلى الغير في سياق محدد، لإفهامه قصدا معينا، بناء على هذا السياق الذي ورد فيه، فالخطاب ليس مجموعة من العبارات فحسب، وإنما لابد لهذه العبارات من سياق اجتماعي يضمن وظيفيتها من جهة، وتعزى إليه مسؤولية ضبط محتواها الدلالي من جهة أخرى، وهو ما اصطلح عليه "روبرت دي بوجراند" (Robert De beau Grande) بـ"عالم الخطاب"[1]، وتؤكد "سارة ميلز" (Sara Mills) هذا التوجه في موضع آخر من كتابها فتقول:"يعرف الخطاب بالسياق الذي تستعمل فيه بعض العبارات دون سواها، فهناك الخطاب الديني وخطاب الإشهار، وما إلى ذلك، وتحدد هذه السياقات المكونات الداخلية [الوحدات اللغوية] التي ترد فيها"[2].

فالخطاب بهذه التعاريف يلقي الضوء على كيفية تحقيق بعض الوظائف اللغوية التي يستطيع المتكلم من خلالها أن يعبر عن مقاصده وأن يحقق أهدافه، مما يسمح بتحديد العلاقة المتبادلة بين نظام اللغة وسياق استعمالها[3].

وهذا يقتضي التساؤل عن مفهوم كل من :"الجملة"، و"الملفوظ"، و"السياق"، فإذا كانت "الجملة" ( La phrase ) في العرف اللساني نمطا تركيبيا ذا مكونات تشكيلية خاصة سواء كانت اسمية أم فعلية[4]، فإن "الملفوظ" ( L'énoncé ) مجموع الوقائع الكلامية التي يلفظها (يتكلم بها) المخاطب، وهو تمثيل جزئي "للتلفظ" ( L'énonciation )

---

[1]- روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء، ترجمة : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1998 م، ص72.

[2]- سارة ميلز ، الخطاب ، ترجمة : يوسف بغول ، ص07.

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص38.

[4]- روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة : تمام حسان ، ص88، 89.

(، هذا الأخير الذي يحمل معنى التحدث؛ أي الفعل الذاتي في استعمال اللغة (عملية الكلام في حد ذاتها)، على اعتبار أن "اللغة" ( La langage ) ملكة في المتكلم، و"الكلام" ( La parole ) إنجاز أو أداء فعلي لهذه الملكة[1].

وعليه، يمكن القول، إن الجملة وحدة كبرى قابلة للوصف النحوي، والملفوظ وحدة كبرى قابلة للوصف اللساني، وإن كان يوجد فرق بين الوصفين، فالوصف النحوي يعد مستوى من مستويات الوصف اللساني الذي يشتمل على مستويات وصفية أخرى تتعلق بالصوت، والصرف، والمعجم، والدلالة[2]، وبالتالي فإن إنتاج الخطاب قد يقتضي تكامل ثلاثة أنظمة رئيسة هي[3]: نظام التركيب الخاضع لمعيار علم النحو، و نظام التوجيه الخاضع لمعيار علم البلاغة، و نظام الإبانة الخاضع لمعيار علم الدلالة.

أما "السياق" ( Le contexte ) فيحمل دلالة التتابع والتوالي، أي تتابع العناصر التي يتحقق بها الكلام، أو توالي الأحداث التي تصاحب الأداء الكلامي[4]، وعليه فالسياق نوعان[5]:

---

[1]- بشير إبرير، "من لسانيات الجملة إلى علم النص"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية – التواصل- ، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، العدد 14، جوان 2005م، ص72، 73.

[2]- نفسه، ص72.

[3]- عبد الواسع الحميري، ما الخطاب وكيف نحلله، ص09، 10، 11.

[4]- محمد سالم صالح، "أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى"، http://www.kau.edu.sa/eiles، 2008م، ص01.

[5]- نفسه، ص05، 06.

**أ- سياق لغوي ( Contexte verbale )** : فيه تتضافر المستويات اللسانية لبناء التراكيب، ويضم ما يأتي:

- الوحدات الصوتية والصيغ الصرفية التي تبني الكلمات ( صوت + صرف = معجم).
- طريقة ترتيب الوحدات الصرفية داخل التركيب ( نحو).
- مظاهر الأداء الكلامي المصاحبة للوحدات اللغوية ضمن التركيب من نبر، وتنغيم... ( دلالة ).

**ب- سياق غير لغوي ( Contexte du situation )**: فيه تتسلسل مجموعة المعطيات والظروف التي تحيط بالحدث الكلامي، لذلك يأخذ هذا المفهوم عدة مصطلحات هي: السياق الخارجي، السياق الاجتماعي، سياق الحال، المقام، ويضم ما يأتي:

- المرسل ( L'émetteur ) : وهو الذات المحورية في إنتاج الخطاب؛ لأنه هو الذي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد معينة وبغرض تحقيق أهداف خاصة به.
- المرسل إليه ( Le récepteur ): وهو من يوجه إليه المرسل خطابه عمدا، وهو طرف أساسي في العملية التواصلية؛ لأن بناء الخطاب وتداوله مرهون إلى حد كبير بمعرفة أحواله.
- العناصر المشتركة ( Les éléments communautaire ): مثل العلاقة بين طرفي الخطاب، وموضوع الخطاب، والمعرفة المشتركة، والظروف الاجتماعية العامة، وما تثيره هذه العناصر من قيود تؤطر عملية التواصل.

إذا، السياق اللغوي هو كل ما يتعلق بالإطار الداخلي للخطاب، وما يتضمنه من قرائن مقالية تساعد على كشف دلالة الوحدات اللغوية الوظيفية، أما السياق غير اللغوي فهو سياق يتعلق بالإطار الخارجي للخطاب، وما يحتويه من قرائن مقامية تسهم في بلورة المعاني الضمنية للوحدات اللغوية الوظيفية.

بناء على كل ما قيل، يتضح أن الخطاب نظام من المتتاليات الجملية التي تقدم بنية للملفوظ، أو هيكلا لغويا شكليا لعملية التلفظ، في إطار سياق اجتماعي يقتضي وجود عناصر فاعلة ومؤثرة في بلورة العملية التواصلية.

## 2- الفرق بين الخطاب والنّص:

إن الاستنتاج السابق فيما يخص "الخطاب"، قد يحيل إلى مصطلح آخر هو "النص"، والنص مصطلح اشتق من الجذر اللغوي (ن ص ص)، نص الحديث ينصه نصا، رفعه، وكل ما أظهر فقد نص[1]. والنص أثر مكتوب شعرا أو نثرا، جمعه نصوص[2].

وبناء على المعنى اللغوي يمكن ضبط المفهوم الاصطلاحي، ذلك أن إظهار الشكل الصوتي المسموع من الكلام بترجمته إلى مكتوب[3]، تعريف اصطلاحي يوحي بأن النص وسيلة يضبط بها الكلام على طريق فعل الكتابة، وهذا يقتضي أن مفهوم النص (Le texte) يتقاطع مع مفهوم الخطاب (Le discours)، ولكن لا يترادف معه؛ لأن الخطاب يباين النص من جهة أن مرجع الخطاب خارجي مقامي، يتجلى في شبكة العلاقات القائمة بين أطراف العملية التخاطبية والواقع من خلال اللغة، أما مرجع النص فداخلي مقالي، يرتبط بالسياق من خلال علاقات تجسدها عملية الكتابة والقراءة[4].

وعليه، فإذا كان الخطاب محكيا – بناء على ما سبق-؛ فإن النص قد يكون مكتوبا، وبالتالي فالخطاب يحدثه الكلام – الشفوي-، وهذا يفترض وجود المتلقي لحظة إحداث الخطاب، لذلك وبحكم المرجع الخارجي، يكون الخطاب تفاعليا، بينما

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (نص)، 196/6.

[2]- المعجم العربي الأساسي، ص1200.

[3]- الأزهر الزناد، نسيج النص – بحث في ما يكون به الملفوظ نصا -، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 1991 م، ص12.

[4]- عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص، ص175.

لا يكون النص كذلك، إذ قد يوجه إلى متلق مؤجل على اعتبار أنه مدونة مكتوبة ذات مرجع داخلي[1].

إضافة إلى هذه الفروقات التي تقصي إمكانية الترادف بين المصطلحين ولكنها لا تنفي العلاقة بينهما، قد يكون النص طويلا أو قصيرا لكن الخطاب يوحي بطول معين، كما يتميز النص باتساق الشكل وانسجام الأفكار، بينما يطبع الخطاب انسجام أعمق من حيث الدلالة والمعنى[2].

لذلك عرف الخطاب بأنه :"وحدة نص مطولة، تحتوي على شكل من أشكال التنظيم الداخلي، كالانسجام في المعنى والتماسك في القالب"[3].

ومضمون هذا التعريف يتفق مع ما ورد في كتاب "النص والخطاب والإجراء" من أنه "يمكن لمجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أن تعد خطابا"[4]، وأن النص قبل أن يبني الخطاب لابد له من معايير تسهم في مجموعها التمييز بين ما يعد وما لا يعد من قبيل النصوص[5]، وأثبت "دي بوجراند" هذه المعايير في كتابه المذكور سلفا واصطلح عليها "بالمعايير النصية" وهي[6]:

- **السّبك/ الاتّساق ( La cohésion )** : هو إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي أي الربط النحوي.
- **الالتحام/ الانسجام ( La cohérence )** : هو إجراءات تضبط بها عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي أو التماسك الدلالي.

---

[1]- بشير إبرير ، "من لسانيات الجملة إلى علم النص" ، ص93.
[2]- سارة ميلز ، الخطاب ، ترجمة : يوسف بغول ، ص هـ(05).
[3]- السابق، ص07.
[4]- روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة : تمام حسان ، ص72.
[5]- نفسه ، ص103.
[6]- نفسه ، ص103، 104، 105.

- **القصد ( L'intentionnalité )** : هو معيار يتوسط بين المرتكزات اللغوية والمطالب السائدة في الموقف، ما يعني أن النص ليس بنية عشوائية، وإنما هو عمل مقصود(...) من أجل تحقيق هدف محدد[1].
- **القبول ( L'acceptabilité )** : معيار يتعلق بموقف المتلقي من النص.
- **رعاية الموقف ( La situation )** : معيار يهتم بمدى مناسبة النص للسياق الذي يرد فيه.
- **التّناص ( L'intertextualité )** : معيار يهتم بمدى ارتباط نص ما بنصوص أخرى، سواء بواسطة أم بغير واسطة.
- **الإعلاميّة ( L'informative )** : يتعلق هذا المعيار بكمية الأخبار التي يقدمها النص، فمن غير المعقول أن لا يحمل نص ما قدرا من المعلومات، سواء قلت أم كثرت.

على أن هذه المعايير لا تكتسب صفة القوانين الصارمة، وإنما هي مجرد مؤشرات مهمة في إنشاء النصوص، ومن ثم في بناء الخطابات[2]، وهي بمثابة "معايير تأسيسية" في مقابل "معايير تنظيمية" يحددها ما يلي[3]:

- **الجودة ( La qualité )** : وتنجم عن تحقق مقاصد المتكلم وأغراضه بأقل جهد ممكن، بناء على الاستغلال الأمثل لوقائع النصوص وأحداثها أثناء العملية التواصلية.

---

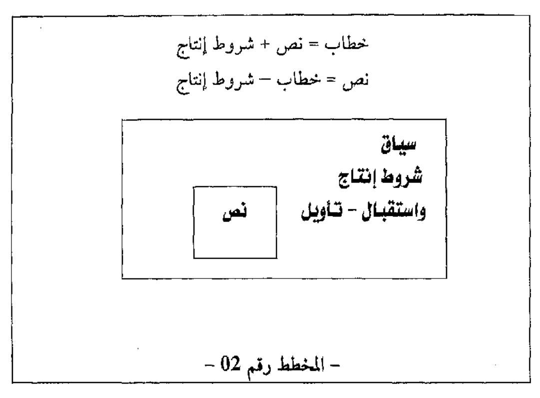
[1]- بشير ابرير ، "من لسانيات الجملة إلى علم النص" ، ص89.

[2]- السابق، ص. نفسها.

[3]- نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب – دراسة معجمية - ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، أربد ، الأردن ، ط1 ، 2009 م ، ص138، 144 ؛ بوبكر نصبة، "الاتساق والانسجام في شعر إبراهيم ناجي – قصيدة "ساعة التذكار" أنموذجا "، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان العربي، إشراف: دفة بلقاسم ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، 2005/ 2006م، ص15.

- **الفعاليّة** ( **L'activité** ) : أي شدة وقع النص وتأثيره في المتلقي بناء على المعيار السابق.
- **الملاءمة** ( **La pertinence** ) : وهي تناسب مقتضيات موقف النص مع مدى تحقق المعايير النصية في النص ذاته.

وبالتالي يمكن تحديد العلاقة فيما بين النص والخطاب من خلال المخطط الآتي[1]:



- المخطط رقم 02 -

بناء على الفروق بين الخطاب والنص، يمكن القول إن الخطاب بوصفه وحدة تواصلية أكبر من الجملة ، قد تعدى الوسائل النحوية والقضايا البلاغية، ولجأ إلى آليات جديدة تسهم في تحديد العلاقات بين وحداته اللغوية ومدى مناسبة بعضها

[1]- Jean Michel Adam, Linguistique textuelle - des genres de discours aux textes -, Edition Nathan, Paris, France, 2004، P39.

للبعض الآخر، بناء على اتساق تراكيبها وانسجام أفكارها وترابط محتوياتها، ضمن بنيات تخاطبية تراعي ملاءمة مقتضيات سياقها الخارجي، وتناسبها مع مفهوم النصية، إضافة إلى سعيها تحقيق فاعلية الخطاب بناء على جودة الأساليب التواصلية.

وعليه، فإذا كان النص يبنى وفق معايير تأسيسية وأخرى تنظيمية، فإن الخطاب نظام مركب من النصوص.

**3- أنماط الخطاب:**

إذا كانت أنواع النصوص تضبط بناء على المعايير التنظيمية[1]، إذ قد تكون وصفية أو تحليلية أو خبرية أو حجاجية[2]، فإن الخطاب لا يخضع لمثل هذه المعايير في ضبط أنماطه، بناء على أن مرجعية النص داخلية مقالية ومرجعية الخطاب خارجية مقامية، لذلك تصنف الخطابات بناء على معايير اجتماعية وأخرى ثقافية إلى ما يأتي[3]:

- **الخطاب السّياسي ( Le discours politique )** : وهو خطاب يعالج كل القضايا التي تتعلق بشؤون الدولة، وأمور الحكم، وأحوال الأفراد في علاقاتهم مع الأنظمة الحاكمة ، و نحو ذلك.
- **الخطاب الدّيني ( Le discours religieux )** : ويهتم هذا الخطاب بقضايا المجتمع في أبعادها العقائدية من خلال معالجة مسائل العبادات والمعاملات.
- **الخطاب العلمي/ التّعليمي ( Le discours scientifique / didactique )**[4]: يتميز هذا الخطاب بأن طاقة الإخبار فيه مهيمنة على أجزائه كلها؛ لأنه يقتصر على تقديم حقائق تتفق اتفاقا تاما مع العالم الواقعي، فتكون الدقة

---

[1]- نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، ص144.

[2]- سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص25 ؛ روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة : تمام حسان ، ص415.

[3]- نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، ص15،16،17 ؛ سارة ميلز ، الخطاب ، ترجمة : يوسف بغول ، ص07.

[4]- روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة : تمام حسان ، ص417.

والموضوعية في استعمال المصطلحات الخاصة بالحقل العلمي الذي يبحث فيه (التخصص) كفيلة بإبراز أهم خصائص هذا النمط من الخطابات، وقد يتعدى الخطاب المستوى العلمي إلى المستوى التعليمي من خلال تدرجه في عملية طرح الحقائق من الأبسط إلى الأعقد، لأنه في هذه المرحلة لا يفترض في من يستقبل الخطاب أن تكون لديه معلومات كافية عن مساحات المعرفة التي يتطلبها الخطاب العلمي.

- **الخطاب الأدبي ( Le discours littéraire )** : إن ما يميز هذا الخطاب هو علاقاته الافتراضية بين ما هو موجود في البنية الداخلية، وبين ما هو متحقق في الواقع الخارجي، وذلك أنه يعالج الأحداث والوقائع في شكل مواضيع أو قضايا بطريقة فنية جمالية تؤطرها الأجناس الأدبية، سواء أكانت شعرية أم نثرية.
- **الخطاب الإشهاري ( Le discours publicitaire )** : خطاب يهتم بالأبعاد السيميائية للعلامة، سواء أكانت لغوية أم غير لغوية، ويتم ذلك في إطار تداول الأفكار حسب تصورات المرسل وقناعاته الذاتية، على اعتبار أن ردود أفعال المرسل إليه تكون مؤجلة.

و يجدر التنويه بعد محاولة حصر أنماط الخطاب، أنّ كل نمط خطابي من هذه الأنماط قد يكون وصفيا وتحليليا وخبريا وحجاجيا، بما أن كل خطاب هو نص وليس العكس، على أن تفصيل الحديث في ذلك سيقتصر على "الخطاب الحجاجي".

## أسس الخطاب الحجاجي وخصائصه :

### 1- أسس الخطاب الحجاجي :

بناء على أن الحجاج تقنيات وأساليب تعمل على استمالة المتلقي وإقناعه بوجهة نظر معينة؛ فإن الخطاب الحجاجي (Le discours argumenté) يبنى من نص واحد أو من عدة نصوص على طريق هذه التقنيات والأساليب، ضمن منحى تداولي

يختلف باختلاف المواقف والمقامات، إضافة إلى أنه نمط خطابي يخضع لأسس بنائية ثابتة، وخصائص تمييزية محددة، فأما الأسس البنائية فهي خمسة، ثلاثة منها رئيسة واثنان ثانويان[1]:

**أ- الأساس الأوّل "الإيجاد" (L'invention):**

يقصد به إيجاد الأفكار بصفة عامة وإيجاد الأدلة بشكل خاص بناء على نمط الخطاب، والإيجاد بهذا المفهوم مرحلة تهتم بتحضير ما يقال، ولكن قبل بلورته في إطار نصي تحكمه ضوابط خاصة.

**ب- الأساس الثّاني "التّرتيب" (la disposition):**

ويقصد به ترتيب ما تم تحضيره من أقوال، بحيث تنظم المادة اللغوية (الأفكار والأدلة) التي وجدت حسب طبيعة الخطاب.

**ج- الأساس الثّالث "العبارة" (L'elocution):**

ويقصد به البناء اللغوي الذي يحتوي المادة المتحصل عليها من أفكار وحجج وفق آليات أسلوبية تسهم في إخراج النص، سواء أكان ذلك عن طريق الكتابة أم المشابهة ، حيث "يعمد المرسل إلى توظيف الأدوات اللغوية بمعانيها وخصائصها (...)، وتنوع وظائفها في السياقات الممكنة"[2]. وبالتالي فإن صاحب الخطاب في هذه الحالة يهتم بالعبارة من حيث أسلوبها وألفاظها ومحسناتها، بناء على ما تقتضيه الدلالة من جهة ، وما يقتضيه السياق بشقيه من جهة أخرى.

يضاف إلى هذه الأسس الرئيسة في بناء الخطاب "الإلقاء" (L'action) و"الذاكرة" (La mémoire)، وهما أساسان يتلازمان، فالإلقاء يستدعي التذكر، وذلك أن إعادة إنتاج خطاب ما من خلال إلقائه على الملأ يفرض حضور الذاكرة في هذه الأثناء، باعتبارها مجموعة الإجراءات المولدة للأحداث الكلامية المحددة سلفا وفق آلية التذكر،

---

1- هنريش بليث ، البلاغة والأسلوبية – نحو نموذج سيميائي لتحليل النص - ، ترجمة و تعليق : محمد العمري ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، د.ط ، 1999 م ، ص33 ، 34 ؛
- Jean-Jacques Robrieux, Rhétorique et argumentation, P16, 17.
2- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص477.

إضافة إلى أنهما يتكاملان مع الأسس الثلاثة الأولى، ولكنهما ثانويان بالنسبة لثلاثة أسس نصية رئيسة، فهما أساسان لا نصيان إذ لا يتعلقان إلا بالخطاب الذي أعيد إنتاجه شفويا فقط.

لكن، لابد من الإشارة إلى أن الدراسات الحديثة قد استوحت هذه الأسس من الأصول التي اقترحها "أرسطو طاليس" في كتابه "الخطابة" وهي أصول ينبغي للخطيب أن يراعيها قبل بناء خطبته[1]، "فالإيجاد" يقابله عند "أرسطو" "الإخبار من أي شيء تكون التصديقات"، ويرى الناقد "محمد العمري" أن هذا الأساس – بناء على مفهومه عند أرسطو– يضم ثقافة الخطيب الخاصة والعامة، لذلك يفضل أن يصطلح عليه بـ "مصادر الأدلة"، وأما "الترتيب" يقابله "تنظيم أو تنسيق أجزاء القول" ،حيث يؤكد أرسطو على أن الترتيب الملائم هو الترتيب الذي يقوم على ذكر الموضوع أولا، ثم يتم بعد ذلك التدليل على أفكار هذا الموضوع، ويمكن إضافة استهلال وخاتمة للموضوع إنْ تطلب الموقف ذلك، أما "العبارة" فيقابلها "الأسلوب"، إذ يربط أرسطو الأسلوب باعتباره كيفية للقول بما يجب أن يقال، فلا يكفي أن يعرف المرء ما يجب عليه أن يقوله، بل عليه أيضا أن يعرف كيف يقوله، علما أن أرسطو لم يفصل "الإلقاء" عن "الأسلوب"، بحكم أنه أثبت هذا الأخير بناء على خطاب يعتد بالمشافهة[2].

وإذا كان أرسطو قد اقترح هذه الأصول الخطابية بالنظر في نمط حجاجي خاص – الخطابة بالتحديد– فإن النقاد المحدثين أقروا بأن تلك الأسس تخدم جميع الخطابات على اختلاف أنماطها، بعد تعميم ما كان خاصا، وتعديل بعض الجزئيات، من خلال إعادة التنظير بناء على ضرورة منهجية، حيث أخر "الترتيب" عن "الأسلوب"

[1]- ينظر: أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة ، 181 ، 228 ، 229 .

[2]- محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي – مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية/الخطابة في القرن الأول نموذجا- ، إفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء ، المغرب ، إفريقيا الشرق للنشر، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2002م ، ص20 ؛ محمد العمري ، البلاغة العربية – أصولها و امتداداتها - ، أفريقيا الشرق للنشر، بيروت ، لبنان ، أفريقيا الشرق للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، د.ط ، 1999 ، ص 273 - 276.

وفصل هذا الأخير عن "الإلقاء"، فترتب على ذلك استدعاء ما اصطلح عليه بـ "الذاكرة"[1].

## 2- خصائص الخطاب الحجاجي:

إذا كان الخطاب الحجاجي يتفق مع أنماط الخطاب الأخرى من حيث الأسس البنائية، فإنه يختلف عنها من حيث الخصائص التمييزية، التي من أهمها الآتي ذكره:

أ- الخطاب الحجاجي خطاب موجه للتأثير في آراء المستمع وسلوكاته بوسائل مختلفة[2]، فقد يختار المتكلم أحيانا تغييب بعض القضايا، والسكوت عمدا عن بعض الجوانب، وتناسي الرد عن بعض التساؤلات، وتكييف الأفكار بناء على الأحوال والمقامات، وهي اختيارات تفرضها شروط النجاعة، لأنه خطاب يتوق إلى التأثير وينشد الفعل في الآخر بناء على وظيفته الإقناعية[3].

وبالتالي، يكون الخطاب الحجاجي ناجعا في تحقيق أهدافه الموجهة، بحكم أنه يسعى إلى توظيف مختلف وسائل الإثبات توظيفا ذكيا، بحيث يتلقاها السامع على أساس أنها مفاهيم صادقة عن الواقع، فهذا النمط من الخطابات خطاب غائي موجه، غايته إقناع المتلقي بما يحمله من أفكار، وما يعرضه من مواقف، ومن ثم إحداث أثر واضح في السلوكات والتصورات[4].

وعليه، فإن الهدف البراغماتي، والنجاعة الوظيفية من أهم الخصائص التي تميز الخطاب الحجاجي عن غيره من الخطابات.

---

1- ينظر: هنريش بليث ، البلاغة والأسلوبية ، ترجمة : محمد العمري ، ص38.

2- حمدي منصور جودي ، " خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي – دراسة لنماذج نصية مختارة – " ، ص50.

3- سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص41.

4- نفسه ، ص35.

ب- الخطاب الحجاجي يستجيب لنظام منطقي قابل للتحليل[1]، فهو خطاب مستدل عليه (يعتمد الاستدلال)، حيث يقوم على منطق ما في كل مراحله[2]، ويتم ذلك وفق ثلاثة مقومات اصطلح عليها الدارسون بمقومات التناغم، وهي[3]:

- **القبول:** فالمتكلم من أجل تنفيذ إراداته والتعبير عن مقاصده التي تؤدي إلى تحقيق أهدافه، لابد له من التلفظ بخطاب بناء على ما يقتضيه سياق الحال، ووفقا لما يفهمه ويقبله المتلقي من خلال وعي المتكلم بمستويات هذا المتلقي المعرفية.
- **مشابهة الحقيقة:** ذلك أن العالم المعروض في الخطاب ينبغي أن يكون متصورا، وأن تكون أشياؤه قابلة للتحديد، وعلاقاته محتملة تطابق ما يحمله المتلقي من تصورات حول الواقع، وإن لم يتحقق ذلك على مستوى الحقائق النسبية فلابد أن يتحقق على مستوى المعقول.
- **الإقرار:** إذ ينبغي للمتكلم الانطلاق من ثوابت - عرفية، دينية، قيمية - مقررة سلفا، حتى يتمكن المتلقي من تحديدها، ومن ثم العمل على الاقتداء بها، إقرارا منه بمشروعيتها؛ لأن توفر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب، يسوغ للمتلقي قبول الخطاب، أو على الأقل إمكانية التواصل من خلال الحوار، أو المناقشة، أو التنقيب، في حالة عدم اقتناعه بوجهة نظر المتكلم التي حاجج عليها هذا الأخير بالثوابت المقررة.

بناء على هذه المقومات الثلاثة، يتضح أن "الخطاب الحجاجي المتناغم" خطاب قائم على نوع من التوافق والتناسب بين أجزائه، إذ يبدو للمتلقي أن لا خلل في البناء الهيكلي، ولا تناقض بين الأفكار والمفاهيم، وهذا ما يخول قبوله بالدرجة الأولى،

---

[1]- ينظر: صابر الحباشة ، التداولية والحجاج ، ص17.

[2]- سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص26.

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب ، ص 62، 465، 466 ؛ سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص37 .

إضافة إلى أن انسجام آفاق كل من مرسله ومتلقيه يوحي بتحقق الأثر الحجاجي أثناء العملية التواصلية، كما يضمن أداء الوظيفة الإقناعية بأقل جهد فكري ممكن.

ج- إن حرص المتكلم على تناغم الخطاب الحجاجي، يعني الحرص على طرح رؤية واضحة لأهم الأفكار والتوجهات[1]، فإذا كانت دلالة الألفاظ محددة، والمرجع الذي يحيل عليه الخطاب محددا، فإن المتلقي لن يقع في مشكلة تأويل الأفكار وحصر الآراء وضبطها، وبالتالي لن يجد صعوبة في إدراك مقاصد المتكلم وأغراضه[2].

وعليه، فإن "الوضوح الدلالي" من أهم خصائص الخطاب الحجاجي؛ لأن المرسل في حالة الاستدلال لا يسعه أن يطرح أبعادا دلالية تقتضي إمكانية الفهم الخاطئ؛ فهذه الأبعاد قد تسهم في فتح فضاءات التأويل ، والخطاب – في هذه الحالة - في غنى عن كل ذلك، بل هو أحوج إلى استلاب ذهن المتلقي، بدلا من تشتيته بتعدد الاحتمالات التأويلية.

د- على الرغم من أن الوضوح الدلالي من أهم خصائص الخطاب الحجاجي، إلا أن اللغة الجمالية قلما تلتزم بذلك، إذ لا يمكن أن يكون المعنى الحرفي للوحدات اللغوية هو مدلول الخطاب الوحيد، ولكي لا يقع المتكلم في معضلة التأويل، يسعى إلى ربط الدلالة اللغوية بمقاصده من خلال الملاءمة بين الشكل اللغوي وبين العناصر السياقية[3]، فإذا أراد المرسل إحداث أثر في المتلقي لابد له من قصد معلن يمكن تحديده لسانيا بناء على الوظيفة الإيحائية – في مقابل الوظيفة الحرفية – للغة، ويمكن ضبطه تداوليا بناء على ظروف الخطاب ومعطياته الخارجية[4].

---

1- سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص37.
2- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب ، ص465.
3- السابق، ص78.
4- سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص26.

وبالتالي، يكون "القصد المعلن" سمة في الخطاب الحجاجي، ومخرجا له من الوقوع في التقصير الوظيفي إثر دخوله متاهات التأويل.

إذا، يمكن تعريف الخطاب الحجاجي بناء على أسسه وخصائصه بأنه: نمط خطابي خاضع لأسس ثابتة، تسهم في بناء وحدة نصية من سماتها التناغم (الترابط والانسجام)، والوضوح الدلالي، من أجل إقناع متلق بوجهة نظر معينة وفق تقنيات ناجعة وظيفيا، والغاية من ذلك تحقيق أهداف براغماتية ومقاصد معلنة.

## ثالثا / فنّ الخطابة :

### مفهوم الخطابة ونشأتها :

**1- مفهوم الخطابة لغة واصطلاحا :**

جاء في "لسان العرب" الخطبة (عند العرب): الكلام المنثور المسجع، ونحوه...، وهي مثل الرسالة التي لها أول وآخر[1].

وجاء في المعجم العربي الأساسي "الخطابة" مصدر خطب، خطب، خطبة، والخطبة اسم مفرد جمعه الخطب.

فأما الخطابة فهي فن محادثة الجماهير، وأما الخطبة فهي اسم للقطعة من الكلام توجه إلى جمهور الناس، يقال: خطب يخطب خطبة، نحو: فلان خطب القوم، أو خطب على القوم، أو خطب في القوم أي ألقى فيهم خطبة. ويقال أيضا: خطب يخطب خطابة، نحو خطب الشخص أي كان بارعا في الخطابة فهو خطيب، وجمع الخطيب خطباء[2].

أما "الخطابة" في الاصطلاح فهي أحد فنون النثر في الأدب العربي، والآداب الأجنبية أيضا، إذ يقابلها في الأدبين الفرنسي والإنجليزي مصطلحا: "rhétorique"[3]،

---

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة (خطب)، 275/2.

2- المعجم العربي الأساسي، ص 404 .

3- جبور عبد النور، سهيل إدريس، المنهل – قاموس فرنسي عربي-، ص910، 911؛

- Petit dictionnaire français , librairie larousse , Paris , France , 1968 , P558.

"rhetoric"[1]، على الترتيب، واشتق المصطلح العربـي "الخطابـة" مـن الخطـب العظـيم، على أن الخطب هو الشأن أو الأمر الذي تقـع فيـه المخاطبـة سـواء أصـغر أم عظـم، فيقال: خطب يسير، وخطب جليل، وجمع الخطب خطوب[2]، وقصر الاشتقاق في هـذه الحالة على جانب واحد ؛ لأن هذا الفن من فنون النثر لا يؤتى به إلاّ في الأمـور الـتي تعظم[3]. ويعرف "الشريف الجرجاني" في كتابه "التعريفات" الخطابة اصطلاحا بأنها: "قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونـة (...)، والغـرض منهـا ترغيـب النـاس فيمـا ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم"[4].

إن الجرجاني في تعريفه هذا يركز على بعدين اثنين، بعد قائم على المظنونات، وهي الأمور التي يحكم العقل فيها راجحا اتباعـا لغلبـة الظـن، كقولـك: فـلان ينقـل الأخبار، فهو جاسوس، وبعد ثان قائم على المقبولات، وهي الآراء التي يكون مصدر التصديق فيها وقوعها ممن لا شبهة في صدقه مع كونها قابلة للصدق والكذب، ولكن أحد النقاد المحدثين يرى بأن هذا التعريف يميـل مـيلا شـديدا إلى المنطـق، في حـين أن المنطق قد يخدم الخطابة دون أن يحتويها، إذ لا يصح أن تكون جزءا منه[5]؛ لأن الخطابـة بمعناها الفني إنما هي قطعة نثريـة تعـبر عـن عاطفـة إنسـانية، وعـن مظـاهر الجمـال، والذوق وعوامل التأثير في النفوس، مستندة في مستوى من مستوياتها إلى العقل[6].

ولعل تعريف الجرجاني بهذا التحليل والتفسـير يصـدق علـى علـم الخطابـة وليس على الخطابة في حد ذاتها، وذلك أن الباحثين المحدثين رأوا بأن للخطابـة علمـا يرشد الإنسان إلى فن محادثة الجماهير بطريقة إلقائية، أول مـن حـدد أصـوله وضـبط

---

1 – " Rhetoric " , http://en.wikipedia.org/wiki/rhetoric, P01,02,03.

2- ابن منظور، لسان العرب ، مادة (خطب) ، 275/2.

3- محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ص17.

4- الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، ص72.

5- توفيق الواعي ، الخطابة و إعداد الخطيب، دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط3، 1999م، ص13.

6- واضح الصمد، أدب صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص139.

قوانينه هم يونان ما قبل الميلاد، على أن علم الخطابة وإن لم يكن حاضرا عندهم بهذا المصطلح؛ فإنه كان حاضرا كمفهوم يتداخل مع مفهوم الخطابة، حيث قام أرسطو بجمع الأصول والقوانين التي استنها سابقوه في كتاب أسماه "الخطابة"[1]، وهذه القوانين والأصول في حقيقتها تؤسس لعلم وليس لفن[2].

وقد ورد في كتاب "فن الخطابة" لـ "أحمد محمد الحوفي" تعريف للخطابة يجمع فيه بين تعاريف رآها قاصرة في مقاربة المعنى العام، من بين هذه التعاريف تعريف "أرسطو" الذي ركز فيه على وظيفة الخطابة بأن قال: الخطابة/ rhetorica "قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"[3]، حيث رأى "الحوفي" أن الخطابة أشمل من أن تنحصر في الإقناع ، إذ لا يكفي تحقق شرط الإقناع – وإن كان ضروريا، فبانتفائه يغدو الكلام مجرد خواطر-، وإنما لابد من جمهور يستمع، وإلا كان الكلام حديثا أو وصية، كما لابد من مشافهة وإلا كان الكلام فنا من فنون الكتابة، إضافة إلى ضرورة توفر عوامل الاستمالة وإلا كان الكلام الملقى مجرد محاضرة[4].

وبالتالي، يمكن تعريف الخطابة على أنها: "فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته"[5].

بناء على ما ورد في التعريف، يتضح أن الباحث قد حاول طرح تعريف شامل نسبيا لفن الخطابة من خلال إلمامه بمختلف الجوانب التي لها علاقة بهذا الفن؛ وذلك بأن ألف بين كيفية أدائه، وأركانه، ووظيفته، وغايته؛ فأما الكيفية فهي المشافهة على طريق الإلقاء، وأما الأركان فهي: الخطيب، والمضمون، والجمهور، إذ ينقل المتكلم (الخطيب) كلاما مسموعا (المضمون) من خلال إلقائه على مستمع موجود

[1]- توفيق الواعي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص14، 17، 18.
[2]- ينظر: أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة.
[3]- نفسه ، ص09.
[4]- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط04، 2002م، ص 05، 06.
[5]- نفسه ، ص05.

أمامه (الجمهور)، على حين أن الإقناع وفق وسائل منطقية وأساليب خطابية هو الوظيفة، أما الاستمالة والتأثير بناء على أساليب خطابية تحددها أصول وقواعد مضبوطة سلفا، فهي غاية هذا الفن النثري.

**2- نشأة الخطابة وتطوّرها:**

إن للخطابة بهذا المفهوم الاصطلاحي امتدادا زمنيا عريقا، إذ لم يخل منها سجل أمة وعى التاريخ ماضيها، فبها أذاع الأنبياء الدين الحنيف[1]، وبها حفظ تاريخ الإغريق (اليونان) واللاتين (الرومان)، وبها تأسس مجد العرب قبل الإسلام وبعده، وبها نهض المجتمع الغربي وبعده الأمة الإسلامية إبان العصر الحديث، وقد نشأت الخطابة وتطورت في كنف هذه الأمم لارتباطها بالديمقراطية والرقي الفكري، فقد كانت الخطابة راقية عند اليونان قبل الميلاد بخمسة قرون في ظل الحرية والنضال السياسي، وكذلك كانت في ظل الإمبراطورية الرومانية، فالرومان كانوا في أول أمرهم محكومين بحكم دكتاتوري استبدادي، فكانت الخطابة مغمورة، ولكنها ارتقت بعد انتفاضة الشعب ضد الطبقة الأرستقراطية، وما إن عادت الديكتاتورية إلى سطوتها أثناء القرون الوسطى حتى زال باعث الرقي، فعادت الخطابة إلى ضعفها، حيث أضحت ضيقة الموضوعات، حكرا على النظام الحاكم، من جراء فرض قيود استبدادية، تمس التفكير العادي والعلمي والفني على حد سواء[2].

وأما الخطابة عند العرب فقد مرت بمراحل، وذلك أنها خلال العصر الجاهلي كانت ذات دور ثانوي في مقابل وظيفة الشعر، وتفسير ذلك أنهم لم يهتموا بالنثر مثلما اهتموا بالشعر، فهذا الأخير ديوان العرب فيه علومهم وأخبارهم وأيامهم وحكمهم[3]، وأما الخطابة فكانت لأغراض محددة من أهمها: المفاخرة بالمآثر ووصم

---

1- توفيق الواعي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص16.

2- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص40؛ 41.

3- حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي- الأدب القديم - ، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص322.

الخصوم بالمثالب، وتثبيت الجنود وتحمسيهم أثناء الحروب على اعتبار أن العرب آنذاك قبائل متناحرة وطوائف متنازعة، ولكنها أدت غرضا مختلفا حين تعلق الأمر بالأمم المجاورة، إذ كانت الوفود التي ترسل إلى ملوك هذه الأمم بحاجة إلى خطباء لعرض قضاياهم أو طلب حاجاتهم، إضافة إلى غرضها الاجتماعي في مجال المصاهرة والزواج والنصح والإرشاد والإصلاح[1].

ولكن دور الخطابة بعد مجيء الإسلام لم يكن كدورها في العصر الجاهلي، فقد ازدهرت ازدهارا ملحوظا في كنف مجتمع عربي جديد اختلفت مقوماته الفكرية وتوجهاته العقائدية عن أفكار وعقائد العصور السالفة لاختلاف الدواعي و الأسباب، وإثر هذا التغير الإيديولوجي بلغت الخطابة ذروة الرقي خلال فترة صدر الإسلام[2]، لكن نجمها أفل أواخر العصر العباسي إلى غاية أوائل العصر الحديث، لما طرأ على الأمة الإسلامية خلال هذه الحقبة التاريخية من انقلابات سياسية، واضطرابات اجتماعية، وانقسامات فكرية، ولم تكن هذه الظروف لتسهم في رقي الأدب بصفة عامة، على أن النهضة العلمية في أوربا وما ترتب عليها من حملات استعمارية كانت داعيا أساسا أثار الخطابة من مكامنها، إذ أضحت لسان الأمة الناطق بمختلف قضاياها والمطالب بكل حقوقها[3]، ولم يقتصر دورها الريادي خلال العصر الحديث على بلاد العرب والمسلمين فقط ، بل إنّ معظم الشعوب في العالم قد لجأت إليها، على اعتبار أنها وسيلة يقتضيها التجمع البشري في التوجيه والإرشاد والإصلاح والتسيير والقيادة[4].

---

[1]- واضح الصمد ، أدب صدر الإسلام ، ص146.
[2]- حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم - ، ص335، 336.
[3]- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة ، ص41 ، 42.
[4]- توفيق الواعي، الخطابة وإعداد الخطيب ، ص16.

## هيكل الخطابة وأنواعها:

### 1- هيكل الخطابة:

إن للخطابة بمفهومها الاصطلاحي، وعبر امتدادها التاريخي هيكلا تنظيميا موحدا عند جميع الأمم، ترجع أصوله التنظيرية إلى العصر اليوناني، حيث وضع "أرسطو" هيكلا مقسما إلى أربعة أجزاء، فقال: "ليس ثم من ضرورة إلا للقضية والدليل، فهذا هو الملائم حقا للكلام، وقصارانا السماح بـ: الاستهلال والعرض، والدليل، والخاتمة، أما التفنيد فمن شأن الأدلة"[1]، وتفصيل القول في هذه الأجزاء يكون وفق ما يلي:

**أ- المقدّمـــة** [2]: هي من الخطبة كالمطلع من القصيدة؛ لأنها أول الكلام، وفيها يمهد الخطيب لموضوع خطبته بذكره إجمالا، أو بيان أهميته، أو بتوضيح قيمته، فتكون ضرورية لا يستغني عنها الخطيب في كثير من الحالات كأن يكون الخطيب والموضوع مجهولين لا صلة للمستعمين بهما، فيؤتى بها لعقد هذه الصلة، لكن قد يحدث الاستغناء عنها إذا كان الموضوع معلوما لدى السامعين، أو كان المضمون مقتضبا لا يحتاج إلى تقديم، ومن شروطها:

- أن تكون متصلة بموضوع الخطبة لتخدمه.
- أن تكون واضحة بسيطة لأنها تمهيد لصلب الموضوع.
- أن تناسب الخطبة طولا أو قصرا.

والمقدمة مصطلح في حديث يردافه مصطلح الاستهلال عند أرسطو، دليل ذلك قوله:"الاستهلال هو إذن بدء الكلام (...)، و ينبغي في الأقوال البرهانية أن يجري التأليف هكذا: نبدأ بالتعبير عما نقصد ثم نسترسل، وكل الخطباء يلتزمون هذه القاعدة"[3].

1- أرسطو طاليس ، الخطابة، الترجمة العربية القديمة ، ص229.
2- أحمد محمد الحوفي ، فن الخطابة ، ص117، 118.
3- أرسطو طاليس ، الخطابة، الترجمة العربية القديمة ، ص230 .

**ب- العرض**[1]: هو الجزء الذي يلي المقدمة، وإن كان الخطيب يستطيع الاستغناء عن المقدمة في بعض الحالات فليس يستطيع الاستغناء عن العرض؛ لأنه صلب الموضوع، فيه يقوم الخطيب ببسط الأفكار الرئيسة وتحليلها، ومن شروطه:

- الترتيب: أي ترتيب عناصر الموضوع ترتيبا يعضده التسلسل المنطقي.
- الوحدة: وتعني أن يخدم الموضوع بعناصره فكرة واحدة.
- الوضوح[2]: ويقصد به وضوح العبارة وظهور معانيها، بحيث يكون الغرض الذي يهدف إليه الخطيب مفهوما.

**ج- التّدليل**[3]: على اعتبار أن وظيفة الخطابة هي الإقناع؛ فإن الخطيب في هذا الجزء من الخطبة يعمد إلى إثبات صحة توجهه الذي بينه وشرحه في العرض، وذلك بتوظيف الأدلة، والأدلة نوعان:

- أدلة منطقية مبنية على مقدمات يقينية ثابتة، وتؤدي هذه الأدلة إلى إقناع عقلي.
- أدلة خطابية: منها بنيات جاهزة تحيل إليها النصوص المقدسة، والأقوال المأثورة، والحقائق التاريخية، ومنها ما يبنى على مقدمات ظنية، تستند إلى العرف الشائع، أو إلى العادات والتقاليد، أو إلى أقوال الأدباء (شعر ونثر)، وينشأ عن هذه الأدلة تأثير شعوري.

وقد يلجأ الخطيب في إحدى مراحل التدليل إلى التفنيد (التكذيب) من خلال مناقشة آراء الخصم لإبطالها وفق المغالطة، أو الإنكار، و نحوهما.

كما يتم الاستغناء عن التفنيد إذا كانت الخطبة نفسها تتولى ذلك، أو إذا كان الموضوع لا يقوم أساسا على المخاصمة.

---

[1]- توفيق الواعي ، الخطابة وإعداد الخطيب ، ص93، 94، 95.
[2]- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص168.
[3]- نفسه ، ص125، 126، 132، 133.

ويقول أرسطو في أهمية الجزأين السابقين من أجزاء الخطابة: "الكلام يتضمن جزأين، إذا لا بد من ذكر الموضوع الذي نبحث فيه، ثم بعد ذلك نقوم بالبرهنة، ولهذا فمن المستحيل بعد ذكر الموضوع أن نتجنب البرهنة، أو أن نقوم بالبرهنة قبل ذكر الموضوع أولا، وذلك أنه حين نبرهن إنما نبرهن على شيء، ولا نذكر الشيء إلا من أجل البرهنة عليه. و أولى هذه العمليات هي العرض، والثانية الدليل[1]".

د- **الخاتمة**: هي آخر جزء من أجزاء الخطبة، وآخر ما يبقى في آذان السامعين، لذلك يلجأ الخطيب فيها إلى تلخيص أفكار الموضوع الرئيسة من أجل تأكيدها وترسيخها في الأذهان، مع حرصه على استمالة السامعين والتأثير في أحاسيسهم وعواطفهم بتوظيف قدراته الإبداعية[2]، مراعيا في ذلك ما يأتي[3]:

- أن لا يكون مضمون هذا الجزء ترديدا لمعاني العرض بالأساليب ذاتها.
- أن يكون مضمون هذا الجزء قصيرا موجزا مفيدا.
- أن يتم تلخيص المطالب وما يترتب عليها من أهداف في هذا الجزء، ومن ثم ترتيبها ترتيبا يتناسب مع كيفية عرض الموضوع.

على أن الخاتمة لا تدخل في كل نوع من أنواع الخطب، فهي مثلا بغير فائدة إذا كان العرض قصيرا، أو كانت تفاصيل القضية سهلة الحفظ، وفي هذه الحالة يحدث أن يحذفها الخطيب تجنبا لحشو الكلام؛ لأن الغاية من الخاتمة في حالة ما إذا كان الموضوع طويلا وتفاصيله معقدة، إنما التخفيف على الذاكرة[4].

وعليه، فإن هيكل الخطابة التنظيمي المقسم إلى: مقدمة، فعرض، فتدليل، ثم خاتمة، إنما هو هيكل نظرت له كتب النقد الأدبي المتخصصة في العصر الحديث بناء على ما احتوته أمّات الكتب في مختلف الثقافات الإنسانية.

---

[1]- أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة ، ص228، 229.

[2]- احمد محمد الحوفي، فن الخطابة ، ص137.

[3]- توفيق الواعي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص96.

[4]- أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة ، ص229.

**2- أنـواع الخطابـة:**

لقد صنف نقاد الأدب العربي القدماء كـ" أبي الحسين إسحاق بن وهب " (ق 4 هـ) ، و" أبي هلال العسكري " ( تـــ 400 هــ) الخطابة بناء على موضوعاتها إلـــى " خطابة سياسية " و "خطابة دينية" و"خطابة اجتماعية" ؛ إلاّ أن هذا التصنيف انتقد من جهة صعوبة التفريق في المجتمع الإسلامي خاصة بين ما هو سياسي، وما هو ديني، وما هو اجتماعي[1].

فحاول النقاد المحدثون أن يضبطوا هذه الأنواع من خلال البحث في طبيعة ما هو ديني وسياسي، واجتماعي[2]، فكانت نتائج البحث أن تم ربط **"الخطابة الدينية"** بقضايا العقيدة، وقد تكون الخطابة في هذه الحالة **"تعليمية"** إذا كان المتلقي خالي الذهن يتقبل المعرفة الملقاة إليه، كما قد تكون الخطابة **"وعظية"** إذا كان المتلقي متناسيا لما تعلم غافلا عما ينتظره، فيتطلب حاله الحث على العمل والترهيب من العقاب، إضافة إلى أنها قد تكون **"حجاجية"** إذا كان المتلقي عالما ولكنه مخالف لوجهة نظر الخطيب، و لعل **"المناظرات"** المتعلقة بالفرق والملل العقائدية هي ما يؤسس لهذا الصنف من أصناف الخطابة الدينية[3].

أما **"الخطابة السياسية"** فتم تقييدها بالقضايا المتعلقة بالعمل في سبيل بناء الدولة أو بسط نفوذها مثل: الحروب، وتوضيح القوانين الجديدة التي يسنها الدستور و ما أشبه ذلك ، إضافة إلى قضايا الصراع حول الخلافة والحكم داخل المجتمع[4]، على أن هناك من النقاد من رأى بأن هذه القضايا تأخذ في جانب من جوانبها بعدا عسكريا، فنظّر حديثا لما يسمى بـ: **"الخطابة العسكرية/ الحربية"**[5].

---

[1]- محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص40.

[2]- توفيق الواعي، الخطابة وإعداد الخطيب ، ص41، 46، 68 ؛ أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص64، 84، 99 ؛ حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي- الأدب القديم - ، ص337.

[3]- محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص40، 41، 43، 46.

[4]- نفسه ، ص50.

[5]- توفيق الواعي ، الخطابة وإعداد الخطيب ، ص61 – 65 ؛ حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي- الأدب القديم - ، ص337 ؛ أحمد محمد الحوفي ، فن الخطابة ، ص112.

على حين أن الخطابة الاجتماعية تتعلق بالآتي ذكره[1]:

- **قضايا التنظيم الاجتماعي**: وتضم كل ما له علاقة بالحقوق والواجبات مثل: العلاقة بين الناس وتنظيم المجتمع، ومسائل الأملاك والصلح والمخاصمات القضائية ، وإن رأى بعضهم أن المسائل القضائية تؤسس لصنف قائم بذاته[2].
- **قضايا المشاركة الوجدانية**: وتضم كل ما له علاقة بالمعاني الإنسانية في حالات الحزن والفرح كـ: التعزية والتأبين والتهنئة .

**أغراض خطابة الخلفاء الرّاشدين وخصائصها:**

ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية بشريعته وقوته الحربية وسلطانه السياسي في القرن السابع للميلاد سنة 611 م[3]، فكان ظهوره خاتمة العهد الجاهلي، إذ راح يضم صفوف العرب ويوحد كلمتهم في هذه المنطقة الجغرافية بقيادة "محمد بن عبد الله" خاتم الأنبياء والمرسلين- عليه الصلاة والسلام -[4]، متوجها في هذا التوحيد إلى ذهنية جاهلية يعالجها ويلين تحجرها، وإلى عادات وتقاليد يعمل على تبديلها أو تقويمها، وبإعادة ضبط الأوضاع الاجتماعية والتوجهات الفكرية إلى ما يوافق المنطق، أعيد ضبط فكرة السياسة إلى ما يخدم الجميع، وأصبح النظام العصبي شرائع وقوانين يضبطها القرآن الكريم، ودساتير يقرها مبدأ الشورى، بذلك تبلور مجتمع جديد تبتعد فيه فكرة الألوهية عن كل تجسيد مادي، وتنصهر فيه الفردية والعصبية أخوة ومساواة، وتسمو فيه النفوس عن كل ضآلة أخلاقية، فأضحت الحياة الإنسانية منظمة دينيا ضمن تجمع بشري يسمى الأمة[5]، وبوفاة "محمد بن عبد الله" — عليه الصلاة

---

[1]- محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ص62، 67.

[2]- توفيق الواعي ، الخطابة وإعداد الخطيب ، ص56 ؛ أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة ، ص72.

[3]- هاري هازارد ، أطلس التاريخ الإسلامي، ترجمة وتحقيق: إبراهيم زكي خورشيد، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية للطبع والنشر، القاهرة، مصر، د.ط ، 1954م ، ص06.

[4]- ابن كثير ، البداية والنهاية ، تحقيق: محمد بيومي، عبد الله المنشاوي، محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان للنشر، المنصورة، مصر، د.ط، د.ت، 175/3.

[5]- حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي- الأدب القديم- ، ص335، 336.

والسلام- سنة 632 م الموافق لسنة 11 هـ عن عمر يناهز ثلاثا وستين سنة[1]، اضطربت الأوضاع السياسية، وارتدت فئات اجتماعية، فدخلت الدولة الإسلامية فترة حكم وسمت بـ"الخلافة الراشدة"؛ وذلك أنه تحمل مسؤولية قيادة الأمة خلفاء استرشدوا بتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في إصلاح تلك الأوضاع السياسية والاجتماعية، وفي نشر الدعوة المحمدية خارج حدود شبه الجزيرة العربية[2]، وشبه الجزيرة لذلك العهد بين دولتين كبيرتين، دولة الروم البيزنطيين ودولة الفرس الساسانيين[3]،وما إن تم للنظام الإسلامي الاستقرار السياسي والإصلاح الاجتماعي في عهد "أبي بكر الصديق"[4]، والغلبة على جيوش تلك الدولتين في عهدي "عمر بن الخطاب" و"عثمان بن عفان"؛ حيث قضي على دولة الفرس وطرد الروم من الشام ومصر وشمال إفريقيا[5]، حتى دبت الفتنة في عهد "علي بن أبي طالب" بين صفوف القادة، والسبب عصبية الجاهليين التي بقيت متأصلة في نفوس العرب، فانقسموا شيعا وطوائف تضاربت مصالحهم السياسية، واختلفت توجهاتهم العقائدية[6]، فكان ذلك إيذانا بنهاية حكم لم يكن فيه للنواميس القبلية وجود، وبداية حكم سمته الأساسية توريث الخلافة بقيادة "معاوية بن أبي سفيان"، وبقيام دولة "بني أمية" سنة 622 م الموافق لسنة 40 هـ انقضى عصر الخلفاء الراشدين[7].

---

[1]- ابن كثير، البداية والنهاية ، 694/6.

[2]- ينظر: حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي، - الأدب القديم - ، ص299، 230.

[3]- هاري هازارد ، أطلس التاريخ الإسلامي، ترجمة وتحقيق: إبراهيم زكي خورشيد ، ص06.

[4]- السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، د.تح ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص60 - 63.

[5]- نفسه ، ص107، 108، 124، 125.

[6]- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، د.تح، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ط1، 2001 م ، 696/2 - 699 .

[7]- هاري هازارد ، أطلس التاريخ الإسلامي، ترجمة وتحقيق: إبراهيم زكي خورشيد، ص06.

بناء على هذه الحقائق التاريخية، يتضح أن الفترة الزمنية الممتدة من السنة الحادية عشر للهجرة إلى السنة الأربعين للهجرة احتوت أحداثا يمكن تلخيصها حسب الآتي:

- ظهور دين جديد في شبه الجزيرة العربية، يبث دعوته ويواجه خصومه قادة أشداء آمنوا به ، فحاربوا في سبيله وناضلوا من أجل إعلاء كلمة الحق.
- انتشار الدين الجديد خارج شبه الجزيرة العربية بفضل الجيوش التي فتحت أقطارا شاسعة من وسط آسيا إلى شمال إفريقيا.
- توحد القبائل العربية والبلاد المفتوحة تحت نظام جديد يحتويه مفهوم الأمة.
- تمزق شمل الأمة الإسلامية إثر فتنة كبيرة خلفت وراءها أحزابا تتجادل، وعصبيات تتنازع، ومعارضات في السياسة والاجتماع والعقائد وغيرها.

في ظل هذه الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية، جاءت خطب الخلفاء الراشدين لترسخ الإسلام في نفوس المسلمين، بشرح آدابه وبيان مزاياه، وتوضيح أسراره، ونشر فضائله، ولتحمله إلى مشارق الأرض ومغاربها، بالحث على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، دون أن تقصي في خضم ذلك توضيح نظم الحياة التي ينبغي أن تقوم عليها الدولة الإسلامية من مساواة وعدالة وتعاون وإصلاح وعمل[1].

ولم يخرج الخلفاء الراشدون الأربعة – رضي الله عنهم– خلال مسيرتهم النضالية عن هذه الأغراض؛ وكانوا يبتدئون خطبهم بحمد الله والثناء عليه، ويختمونها بالدعاء، سيرا على نهج النبي – عليه الصلاة والسلام– ، كما كانوا ينسجون أساليبهم على منوال الذكر الحكيم، مستندين في ذلك إلى الإيجاز حينا وإلى الإطناب حينا آخر[2]،

[1]- نايف معروف ، الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1998م، ص38،39،44.
[2]- نفسه ، ص61، 62.

وإن كانت خطب "أبي بكر" و"عثمان" أميل إلى الإيجاز في غير عجز، وخطب "عمر" و"علي" أميل إلى الإطناب في غير خطل، فقد أوتي أربعتهم فصل الخطاب وفصاحة اللسان، وقوة التأثير حيث كان "أبو بكر الصديق" فصيحا بليغا، وخطيبا مفوها، حاضر البديهة، قوي الحجة، شديد التأثير، يشهد بذلك خطبته "يوم السقيفة"*.

وكان "عمر بن الخطاب" من أفصح الناس منطقا وأبلغهم عبارة، وأكثرهم صوابا وحكمة، وأرواهم للشعر وأنقدهم له، أما "عثمان بن عفان"، وإن كان من أوجز الخلفاء لفظا؛ فإن خطبه تطورت بتطور الأحداث التي أحاطت به، فكانت من أجزل الخطب معنى وأسلسها عبارة[1]، على حين أن "علي بن أبي طالب" كان إمام الخطباء من المسلمين بحكم أنه سريع البديهة إلى حد لا تقف في وجهه شدة ولا يعجزه مأزق حرج، فهو أفصح العرب بعد الرسول – عليه الصلاة و السلام – إطلاقا[2]، ويثبت "الجاحظ" ذلك بقوله: "كان أبو بكر خطيبا وكان عمر خطيبا، وكان عثمان خطيبا، وكان علي أخطبهم"[3].

فجاءت الخطابة في عمومها متينة الأسلوب، بليغة التركيب، فصيحة العبارة، جزلة اللفظ، قوية التأثير، بالغة الإقناع، بعيدة عن الأسجاع، – إلا ما جاء منها عفوا– في غير تكلف ولا صنعة، إضافة إلى توجيهها الأذهان وجهة دينية جديدة، تحت تأثير القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف في وحدة موضوعية، وانسجام

---

*- وذلك أنه لما مات الرسول – عليه الصلاة و السلام - اختلف الصحابة حول من يبايعونه خليفة له عليهم، فأبت الأنصار إلا أن يكون الخليفة منهم، وأبى المهاجرون من قريش إلا أن يكون منهم، واشتد النزاع حتى كادت أن تقع الفتنة فخطب فيهم خطبة لم يلبث الجمع بعدها أن بايعوه خليفة(ابن كثير، البداية والنهاية، 266/5 وما بعدها).

[1]- عبد العزيز عتيق، في الأدب الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص277، 278.

[2]- حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم - ، ص351.

[3]- الجاحظ ، البيان والتبيين ، وضع حواشيه: موفق شهاب الدين ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998 م ، المجلد الأول ، 236/1 ، 237.

فكري، تعضده أدلة مستمدة من جهة إعمال العقل، ومن جهة أقوال تمثل سلطة ضاغطة في تجمع بشري له تاريخ عريق وثقافة خاصة[1].

وعليه، كان لنبوغ الخلفاء الراشدين في مجال فنون القول دور كبير في بلورة الأحداث، وإسهام بارز في رسم مسار الرسالة المحمدية، وكانت الخطابة بناء على أغراضها وخصائصها خلال هذه الحقبة التاريخية، من بين أهم الفنون القولية إسهاما في ذلك.

بناء على ما سبق، ودون نفي أو إثبات لما إذا كانت الخطابة العربية قد استفادت من التراث الغربي فيما يخص الجوانب النظرية، فإن ما يتم الجزم بحقيقته هو أن علماء العربية حين نظّروا لعلم البلاغة كانت الخطابة حاضرة في جلّ – إن لم تكن في كل– تطبيقاتهم الاستدلالية، باعتبارها فنّا قوليا فعالاً في هذه الفترة ، فالجاحظ – مثلا– وهو يشرح المفاهيم البلاغيّة استدل على آرائه بكلام الخطباء.

ويؤكد هذا، أن الخطابة في التراث العربي لم تتطور بفعل التنظير لها، لأن التنظير في حد ذاته كان غائبا خلال هذه الفترة ، وإنما تطورت أغراضها التواصلية، وخصائصها الفنية، وإن كانت مفاهيمها الأولية ثابتة نسبيا عند جميع الأمم، بحكم توظيفها توظيفا اجتماعيا.

---

[1]- واضح الصمد ، أدب صدر الإسلام ، ص151، 152.

# الفصل الثّاني

## بلاغة الحجّة المنطقيّة المباشرة في خطاب الخلفاء الرّاشدين

- أوّلا/ بلاغة الاستدلال بالتّقابل من خلال الاستلزام الحواري:
  - تمهيد(التّعريف بالتّقابل)
  - منطق التّداخل وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق
  - منطق التّناقض وأبعاده التّداوليّة في خطاب عمر بن الخطّاب
  - منطق الدّخول تحت التّضاد وأبعاده التّداوليّة في خطاب عثمان بن عفّان
  - منطق التّضاد وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب
- ثانيًا/ بلاغة الاستدلال بالعكس والنّقض من خلال أفعال الكلام:
  - تمهيد(التّعريف بالعكس والنّقض)
  - منطق العكس المستوي وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق
  - منطق نقض المحمول وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب

# الفصل الثّاني

## بلاغة الحجّة المنطقيّة المباشرة في خطاب الخلفاء الرّاشدين

### أوّلا / بلاغة الاستدلال بالتّقابل من خلال الاستلزام الحواري:

- **تمهيد( التّعريف بالتّقابل ):**

إن **التقابل** في المنطق الصوري استدلال مباشر يتخذ من قواعد محددة معيارا له في استنتاج صدق أو كذب قضية (الحكم) من قضية أخرى معلومة، بناء على اتفاق القضيتين في الكم أو الكيف، أو بناء على اختلافهما في الكم أو الكيف، أو فيهما معا، مع إبقاء الحدود على حالها[1]، علما أن "القضية" إطار لغوي يعبر عن تصور عقلي مرجعه مدركات حسية أو مجردة[2]، حيث يتألف هذا الإطار اللغوي من عنصرين أو أكثر بينهما علاقة، ويسمي المناطقة هذه العناصر "حدودا"، إذ يسمى الحد الأول "موضوعا" والذي يليه "محمولا" إذا كانت القضية حملية أي بسيطة (جملة واحدة)، أما الحد الذي يسمى "رابطة" فهو فعل الكينونة الذي يربط بين الموضوع والمحمول في لغات كثيرة مثل الفرنسية والإنجليزية، لكن اللغة العربية تستغني عن هذا الحد[3].

وفي غالب الأحيان تكون القضية مرتبطة بعلامة تدل على نوعها كما إذا كانت كلية أو جزئية، وكيفا إذا كانت سالبة أو موجبة، ويصطلح على هذه العلامة "بالسور"، وذلك أن الموضوع إنما يحكم عليه بالإيجاب والسلب، والمحمول إنما يحكم به إيجابا وسلبا بناء على نوع هذا السور، حيث يستدل على سور السالب في اللغة العربية بأدوات النفي (لا، ليس، لم ...إلخ)، أما سور الإيجاب فيستدل عليه بعدم النفي أي الإثبات، وإن كان يستدل على سور الكل والجزء بتوظيف الأداة "كل" في حالة الكم الكلي، وبتوظيف الأداة "بعض" في حالة الكم الجزئي[4].

---

[1]- ماهر عبد القادر محمد علي ، المنطق ومناهج البحث، ص55.

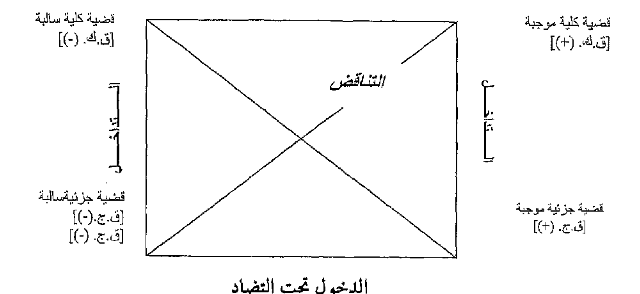
[2]- نفسه ، ص21.

[3]- محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمي ، ص17، 18.

[4]- ماهر عبد القادر محمد علي ، المنطق ومناهج البحث، ص39، 40.

ويترتب على ذلك أن التقابل على أربعة قواعد هي: التداخل، والتناقض، و الدخــول تحت التضاد، والتضاد، وحسب هذه القواعـد يكـون لكـل قضـية ثـلاث قضايا مقابلة لها، فإذا كانت القضية كلية موجبة مـثلا، فقـد تقابلـها: الكليـة السـالبة (وهي القضية المضادة لها)، أو الجزئيـة الموجبـة (وهـي القضـية المتداخلـة معهـا)، أو الجزئية السالبة (وهي القضية المتناقضة معها)، أما إذا كانت القضية جزئية سـالبة فقـد تقابلها: الجزئية الموجبة (وهي القضية الداخلة معها تحت التضاد)، أو الكليـة الموجبـة (وهي القضية المتناقضة معها)، أو الكلية السـالبة (وهـي القضـية المتداخلـة معهـا) [1]، ومربع التقابل يوضح ذلك حسب الآتي[2]:

التضـــــاد




الدخول تحت التضاد

- مربّـــع التّقـــابل -

والجدول الموالي يوجز كل الأحكام المتعلقة بالقضايا المتقابلة [3]:

1- محمد فتحي الشنيطي ، أسس المنطق والمنهج العلمي ، ص77.

2- نفسه ، ص78.

3- ماهر عبد القادر محمد علي ، المنطق ومناهج البحث ، ص61.

| القضية الأصل | كليـــــة موجبة | كليـــــة سالبة | جزئيـــــة موجبة | جزئيـــــة سالبة |
|---|---|---|---|---|
| كلية موجبة – صادقة | | كاذبة | صادقة | كاذبة |
| كلية سالبة – صادقة | كاذبة | | كاذبة | صادقة |
| جزئية موجبة – صادقة | مجهولة | كاذبة | | مجهولة |
| جزئية سالبة – صادقة | كاذبة | مجهولة | مجهولة | |
| كلية موجبة – كاذبة | | مجهولة | مجهولة | صادقة |
| كلية سالبة – كاذبة | مجهولة | | صادقة | مجهولة |
| جزئية موجبة – كاذبة | كاذبة | صادقة | | صادقة |
| جزئية سالبة – كاذبة | صادقة | كاذبة | صادقة | |

- جدول الأحكام -

و عليه، يكون من خطابات الخلفاء الراشدين خطاب حجاجي سلك نهج الاستدلال بالتقابل، ويمكن التمثيل لهذا الخطاب من خلال نماذج خطابية مختارة حسب الآتي:

**I- منطق التّداخل وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق:**

ورد في كتاب التعريفات *"التداخل"* هو عبارة عن دخول شيء في شيء آخر بلا زيادة حجم ومقدار[1]، وهذا يقتضي أن تكون العلاقة بين الشيئين علاقة كل بجزء أو العكس، لذلك يحدث التقابل المنطقي في حالة التداخل بين قضايا مختلفة الكم متحدة الكيف، فيقوم بين الكلية الموجبة والجزئية الموجبة، وبين الكلية السالبة والجزئية السالبة[2].

1- الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص40.

2- ماهر عبد القادر محمد علي، المنطق ومناهج البحث، ص57.

وما ورد في الجدول من أحكام تتعلق بالقضايا المتقابلة على طريق التداخل تم الوصول إليها بناء على قانون منطقي نصه:"إذا صدقت الكلية صدقت الجزئية المتداخلة معها، وإذا كذبت الكلية كانت الجزئية المتداخلة معها مجهولة، وإذا صدقت الجزئية كانت الكلية المتداخلة معها مجهولة، وإذا كذبت الجزئية كانت الكلية المتداخلة معها كاذبة"[1].

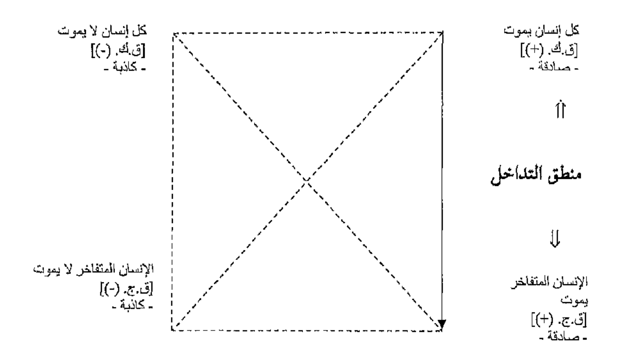
وعليه يكون قول "أبي بكر الصديق" – رضي الله عنه – من النموذج الخطابي الأول: "**إياكم والفخر، وما فخر من خلق من تراب وإلى التراب يعود، هو اليوم حي وغدا ميت**"[2] استدلالا مباشرا أسّس بناء على قاعدة التداخل حجة منطقية، وذلك أن القول يضم قضيتين (جملتين) متقابلتين، إحداهما كلية موجبة تقديرها "كل إنسان يموت"، والأخرى جزئية موجبة تقديرها "الإنسان المتفاخر يموت"، إذ تبني القضية الكلية الموجبة مقدمة حجاجية مدلولها مسلم به، بما أنه حقيقة كونية منه استمدت القضية الجزئية الموجبة طاقتها الحجاجية[3]، ومربع التقابل الآتي يلخص منطق العلاقة بينهما:

---

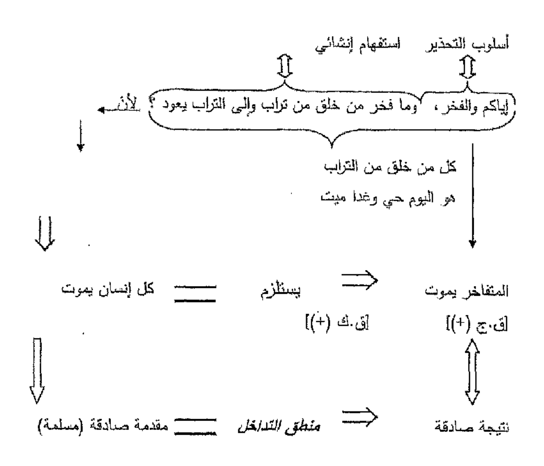
1- نفسه ، ص 57 ، 58 .

2- ابن عبد ربه الأندلسي ، كتاب العقد الفريد ، شرحه وضبطه ورتب فهارسه: إبراهيم الأبياري ، قدم له: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت ، لبنان ، د. ط ، د.ت ، 63/4.

3- ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص111، 112.




وبالتالي عملت علاقة الاحتواء بين الكل والجزء على دعم التقابل بين القضيتين بناء على منطق التداخل، والمخطط الموالي يوضح ذلك:




**- المخطط رقم 03 -**

بناء على ما ورد في المخطط، يتضح أن للبنية النصية أبعادا تداولية ضمن سياق استدلالي استلزم اقتضاء تخاطبيا أدى إليه خرق مبدأ الكم، ويمكن بيان ذلك بتحليل دلالة البنية المنطقية إلى:

1 - **معنى صريح يقتضي:**

**أ- قوة إنجازية حرفية** يؤديها تركيب نحوي سليم ذو دلالة معجمية محددة: "جملة فعلية [مقيدة بالمفعول به (حذف الفعل والفاعل وجوبا لإنشاء التحذير بضمير النصب المنفصل "إياكم")[1] + استئناف بـ"الواو" +جملة اسمية [مبتدأ (ما الاستفهامية) + خبر + مضاف إليه الاسم (الموصول "من") + صلة الموصول ⇔ جملة فعلية ⇐ فعل ماض مبني للمجهول + شبه جملة جار ومجرور (نائب فاعل) + حرف عطف (وصل بلاغي "بالواو") + حرف جر +اسم مجرور +فعل مضارع فاعله ضمير مستتر تقديره "هو")[2] + جملة اسمية [مبتدأ (الضمير المنفصل "هو") + مفعول فيه (شبه جملة ظرفية زمانية متعلقة بمحذوف حال) + خبر + عطف نسق (حرف العطف "الواو" + معطوف)][3]".

ب- **محتوى قضويا** يؤديه مدلول يفيد بأن الفناء مصير كل إنسان، وأن الفخر والتفاخر لا يضمن له الخلود.

2- **معنى ضمني:**

يحيل إليه الهدف من بناء هذه البنية المنطقية، حيث أراد الخطيب من خلالها التنبيه إلى سيئة من السيئات (التفاخر) بناء على استفتاحه البنية النصية بضمير النصب المنفصل "إياكم"، وهو من إحدى وسائل أسلوب التحذير، غرضه تنبيه المتلقي على أمر مكروه ليجتنبه[4]، ولتأكيد هذا الغرض لجأ الخطيب إلى "الإطناب" بتكرار مفردتي "الفخر" و"التراب"، لأن التكرار وإن كان وسيلة يلجأ إليها الخطاب الحجاجي لشد انتباه المتلقي، فإن مواقف الإنذار والتحذير تستدعي التكرير بما أنه زيادة في اللفظ على

---

1- عبده الراجحي، التطبيق النحوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1988م، ص224.

2- نفسه، ص 52، 60، 77، 78، 179، 189، 192، 358، 361.

3- نفسه، ص77، 78، 242، 243، 394.

4- إبراهيم عبود السامرائي، الأساليب الإنشائية في العربية – النمط والاستعمال -، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008 م، ص95، 97.

المعنى لفائدة غرضها التأكيد[1]. وكان لأسلوب الاستفهام أيضا أثر بالغ في ذلك، لأنه خرج عن أصل دلالته، وهي طلب الفهم، وأفاد معنى مجازيا هو "النهي"[2]، على حين حملت الجملة الفعلية المبنية للمعلوم بقول الخطيب: "وإلى التراب يعود" غرضا تأكيديا بما أنها ضرب خبري طلبي تم بناء على أسلوب قصر بلاغي طريقه تقديم ما حقه التأخير (شبه الجملة)[3]، وقد حدث تأكيد الخبر لشرف الحكم وتقويته، مع أنه ليس فيه تردد ولا إنكار، أما عطف الجملة المبنية للمعلوم على جملة مبنية للمجهول (خلق من التراب) بحرف "الواو" فقد أفاد وصلا بلاغيا أدى إليه تناسب الجملتين في المعنى واتفاقهما في الخبرية والفعلية والإطلاق[4].

كما أسهم التضاد الدلالي في الجملة الاسمية بعد الاستفهام في استحضار واقع من وقائع المستقبل بتجسيد مسار الحياة تجسيدا مختزلا ولكنه يقيني، فمن يحيا اليوم سيموت غدا– سواء أكان الغد غدا قريبا أم بعيدا–، ولعل في ذلك حثا صريحا على التواضع، وتنبيها ضمنيا إلى المسارعة في فعل الخيرات[5].

إلا أن ما تجدر الإشارة إليه بالنظر إلى السياق الخطابي الذي وردت فيه البنية المنطقية هو توظيف الخطيب قوله تعالى:(يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾)[6] تدعيما لنتيجتها، حيث يمثل القرآن الكريم في

---

1- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع -، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت، ص193.

2- خديجة محمد الصافي، أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2009م، ص64.

3- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط و تدقيق و توثيق: يوسف الصميلي، الدار النموذجية المكتبة العصرية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط2، 2000 م، ص57، 60، 167، 168.

4- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع -، ص166،165.

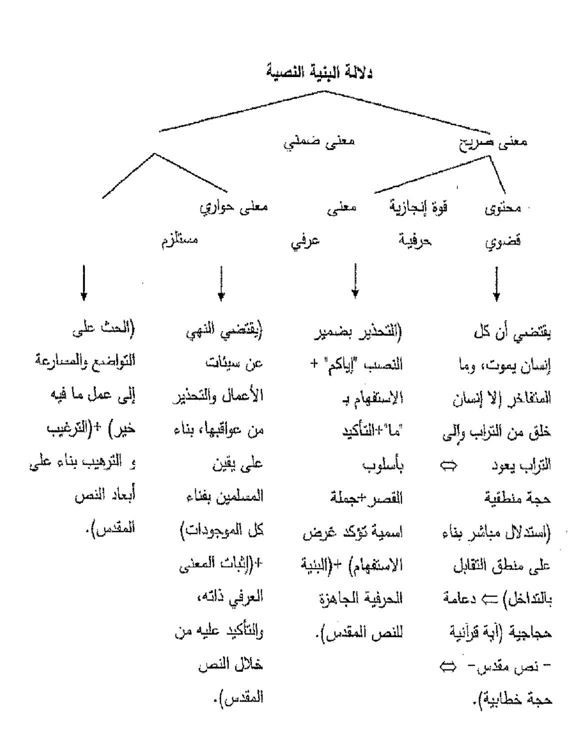
5- ينظر: نفسه، ص494.

6- آل عمران / 30.

الثقافة الإسلامية دعامة حجاجية لها سلطة خطابية لا تقل درجة عن سلطة البنى المنطقية، وإنما تصنف أعلى درجة منها[1]. وعلى هذا الأساس يكون الهدف من توظيف الآية هدفا تأكيديا، حيث عمل مدلولها القطعي على إثبات ما تقدم من كلام الخطيب، فكل إنسان سينتقل إلى دار البقاء، وهناك سيجزى بما كسب من أعمال، فإن كان عمله صالحا فله، وإن كان سيئا فعليه، ولعل لهذا التوظيف أبعادا أخرى تتعلق بما يتركه أسلوب الترهيب و الترغيب في الآية من أثر في نفس المتلقي، كالخوف من غضب الله في الدنيا، وخشية سوء العذاب في الآخرة، فيسعى من جراء ذلك إلى مرضاة الله بالعمل الصالح راجيا الجزاء الحسن.

وعليه يمكن تلخيص دلالة البنية النصية فيما يلي:

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص537.




**- المخطط رقم 04 -**

**منطق التّناقض وأبعاده التّداوليّة في خطاب عمر بن الخطّاب:**

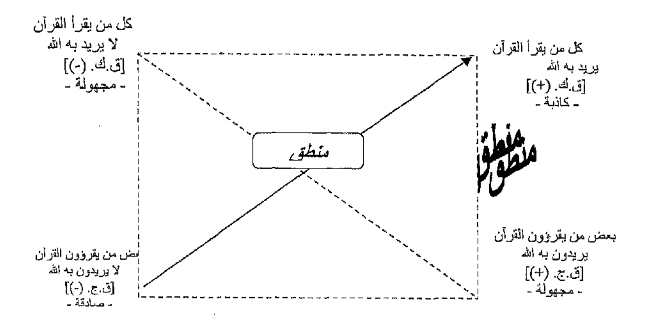
**التناقض** هو اختلاف القضيتين إيجابا و سلبا، بحيث يقتضي لذاته صدق إحداهما وكذب الأخرى[1]، ويشير المناطقة إلى أن التناقض أتم حالات التقابل وأكملها، وذلك أنه على اختلاف حالات التقابل الأخرى يحدث بين قضيتين مختلفتين كما وكيفا، أي أنه يحدث بين الكلية الموجبة والجزئية السالبة، وبين الكلية السالبة والجزئية الموجبة[2].

إضافة إلى أن حكم التقابل بالتناقض من أوضح أحكام التقابل على الإطلاق، لأن القانون يستلزم: "إذا صدقت إحدى القضيتين كذبت الأخرى، وإذا كذبت إحداهما صدقت الأخرى"[3]، وهذا ما بينه جدول الأحكام.

بناء عليه، فإن قول "عمر بن الخطاب" – رضي الله عنه – من النموذج الخطابي الأول: "**يا أيها الناس، إنه أتى على حين وأنا أحسب أنه من قرأ القرآن إنه إنما يريد به الله وما عنده، ألا وقد خيل إليّ أن أقواما يقرؤون القرآن يريدون به ما عند الناس**"[4] بنية منطقية قوامها قضيتين حمليتين متقابلتين بالتناقض، وذلك أن الجملة: "إنه أتى عليّ حين وأنا أحسب أنه من قرأ القرآن إنه إنما يريد به الله وما عنده" اقتضت أن يكون الخليفة حاملا لتصور عملت حدوده على بناء قضية كلية موجبة تقديرها: "كل من يقرأ القرآن يريد به الله"، ولكن تطور الخطاب، واستدراك الخليفة كلامه بالجملة: " ألا وقد خيل إليّ أن أقواما يقرؤون القرآن يريدون به ما عند الناس" اقتضى تفنيد القضية الكلية الموجبة بناء على استدلال منطقي استقى من الواقع قضية جزئية سالبة تقديرها: "بعض من يقرؤون القرآن لا يريدون به الله"، وبتقابل القضيتين حسب قاعدة التناقض يثبت كذب القضية الكلية الموجبة بما أن القضية الجزئية السالبة

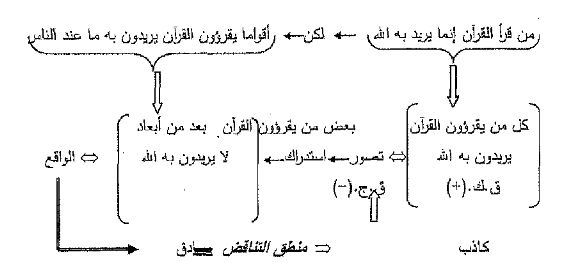
[1]- الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات ، ص49.
[2]- ماهر عبد القادر محمد علي، المنطق ومناهج البحث ، ص58.
[3]- نفسه ، ص. نفسها.
[4]- الجاحظ، البيان والتبيين، المجلد الثاني، 88/3.

صادقة بمقتضى أن "الوقائع" ثابتة لاشك فيها، "فهي تمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس (...) والتسليم بالواقعة من قبل الفرد ليس إلا تجاوبا منه مع ما يفرض نفسه على جميع الخلق، إذ الواقع يقتضي إجماعا كونيا"[1]، وبالتالي فإن الواقع عضد الاستدلال المباشر في بناء مقدمة حجاجية، ومربع التقابل يلخص منطق العلاقة بين القضيتين حسب ما يلي:




ويمكن توضيح هذه البنية المنطقية وفق المخطط الآتي:

[1]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص111.




- المخطط رقم 05 -

وعليه، فإن ما تم إثباته يستدعي أن يكون للبنية المنطقية أبعاد تداولية تستلزم اقتضاء تخطابيا، لأن دلالة هذه البنية – وإن كان مبدأ التعاون قائما بناء على عدم خرق أي قاعدة من قواعده – تحيل إلى:

**معنى صريح يقتضي:**

أ- **قوة إنجازية حرفية** مؤشرها تؤديه الوحدات الصوتية والدلالات المعجمية للصيغ الصرفية والتراكيب النحوية المؤسسة لهذه البنية: "جملة فعلية [مقيدة بالبدل ( حذف الفعل والفاعل وجوبا لإنشاء النداء بالأداة "يا")] + جملة اسمية [مقيدة بـ "إن" اسمها (معرف بالإضمار- ضمير متصل-) + خبرها جملة فعلية مقيدة بالحال (جملة اسمية ⇐ "واو" الحال + مبتدأ (ضمير رفع منفصل) +الخبر جملة فعلية مقيدة بمفعولين (م.به① +م.به②)⇐ فعل مضارع متعد لمفعولين فاعله ضمير مستتر تقديره "أنا"+ مصدر مؤول في محل نصب م.به أول[1] (جملة اسمية مقيدة بـ "أن" اسمها ضمير متصل، خبرها الاسم

[1]- بلقاسم دفة ، في النحو العربي - رؤية علمية في: المنهج، الفهم، التعليم، التحليل- ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر، د. ط ، 2003/2002 م ، ص94.

الموصول "من" (صلة الموصول جملة فعلية) + مفعول به ثان⇐ جملة اسمية مقيدة بـ"إنّ" اسمها ضمير متصل، خبرها جملة فعلية ⇐ مصدرة بأداة القصر "إنما" + فعل مضارع فاعله ضمير مستتر تقديره "هو" + شبه جملة جار ومجرور+ مفعول به + حرف عطف + معطوف (الاسم الموصول "ما")+ صلة موصول شبه جملة ظرفية)]+جملة فعلية [مصدرة بأداة التنبيه "ألا" + أداة التحقيق قد + فعل ماض مبني للمجهول متعد لمفعولين + شبه جملة جار ومجرور + مصدر مؤول في محل رفع نائب فاعل[1] (جملة اسمية* ⇐ مقيدة بـ"أن" + اسمها نكرة موصوفة + صفة (جملة فعلية ⇐ فعل مضارع فاعله ضمير متصل (واو الجماعة) + مفعول به) + مفعول به ثان (جملة فعلية ⇐ فعل مضارع فاعله ضمير متصل (واو الجماعة) + شبه جملة جار ومجرور+ مفعول به (الاسم الموصل"ما") + صلة موصول شبه جملة ظرفية)]"[2].

ب- **محتوى قضويا** استدعى أن الخليفة كان يتصور أن كل من يقرأ القرآن إنما يقرؤه لوجه الله تعالى، ولكنه استدرك ذلك بأن أنكر على بعضهم قراءة القرآن نفاقا ابتغاء لمرضاة الناس.

**معنى ضمني:**

يوحي به منطق الاستدلال المباشر، حيث أراد الخليفة من جراء هذا الاستدلال وفق تركيب خبري إنكاري ميزه أسلوب قصر إضافي* (قصر صفة على موصوف بـ"إنما")[3] أن يؤكد صحة ما أثبته الحكم الجديد، ولاسيما بعد أن وظف حرف التنبيه "ألا" ثم أداة التحقيق "قد" في صدر الجملة الفعلية، وفي هذا التوظيف دلالة على تحقق ما

---

[1]- نفسه ، ص. نفسها.

*- الجملة الاسمية تم حذف خبرها وجوبا لأن اسم "إن" النكرة تقدم جملة فعلية [ورد نكرة مختصة (من مسوغات الابتداء بالنكرة)]، وفي هذه الحالة يكون الأولى أن تقع الجملة الفعلية في محل نصب صفة للاسم النكرة بدلا من أن تقع في محل رفع خبر "إن" ⇐ (عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص109).

[2]- ينظر: عبده الراجحي، التطبيق النحوي ؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع.

*- قصر الصفة على الموصوف قصرا إضافيا هو ما لا تتجاوز فيه الصفة الموصوف إلى غيره من الموصوفات أو الموصوفين وإن كان هو يتجاوزها إلى صفات أخرى (قصر صفة قراءة القرآن على إرادة الله بها- موصوف).

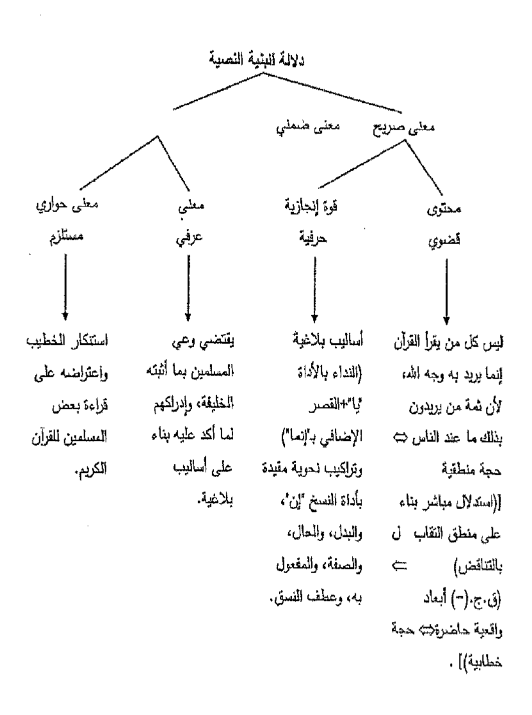
[3]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص170، 171.

بعدهما، ومن هنا تأتي دلالتهما على معنى التأكيد[1]. والخطيب بذلك يستنكر حقيقة هذا الحكم على من أقام عليهم الحجة في هذا الفعل الشنيع، فمن المخزي أن يكون النفاق بين أظهر من بعث منهم رسول أنزل عليه وحي من السماء.

وبالتالي قد يكون لذلك التأكيد والاستنكار أثر في نفس المتلقي، ولكنه أثر قد يؤدي إلى تغيير في السلوك إما إيجابا، وإما سلبا، لأن الأثر في مثل هذه الحالة قد لا يؤدي وظيفته الوعظية، وإنما قد يسهم في احتراز المتلقي فيما أثبت عليه من دليل.

والمخطط الآتي يلخص دلالة البنية النصية بناء على تحليلها وفق نظرية الاستلزام الحواري:

1- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص53، 56.




- المخطط رقم06 -

## منطق الدّخول تحت التّضاد وأبعاده التّداوليّة في خطاب عثمان بن عفّان :

إذا كان **التضاد** في اللغة يأتي بمعنى التخالف[1]، فإن **الدخول تحت التضاد** عند المناطقة يقوم بين قضيتين جزئيتين مختلفتين في الكيف، وهما الجزئية الموجبة، والجزئية السالبة[2] ، وحكم القضايا المتقابلة بالدخول تحت التضّاد حسب جدول الأحكام يحدده قانون يقتضي: "إذا كذبت إحدى القضيتين صدقت الأخرى، وإذا صدقت إحداهما فقد تكذب الأخرى"[3].

بناء على ذلك يكون قول "عثمان بن عفان" – رضي الله عنه – من النموذج الخطابي الأول: **إنكم لم تعدلوا في المنطق، ولم تنصفوا في القضاء**"[4]، بنية نصية ثبتت حجيتها ضمن سياق خطابي يروم دحض ادعاء المعارضين، والمناسبة الموقفية للخطاب تبين هذا السياق، حيث ثبت تاريخيا أن بعض المسلمين قد خرجوا عن طاعة عثمان، لأنهم أنكروا عليه توليه الحكم، فقالوا بأن تخلي عثمان عن خلافة المسلمين وتبرؤه من إمارتهم فيه عدل بينهم، أما قضاؤهم القتال من دونه ففيه حسب رأيهم إنصاف لهم[5]. وهذا ما أدى بالخليفة إلى التصدي لهم لا بالقوة والعنف، وإنما من خلال عدة خطابات ألقاها فيهم محاججا إياهم، ورادا بها عليهم آراءهم، فكان خطابه الذي بينه النموذج الأول حجاجا صريحا لجأ من خلاله الخطيب إلى بناء حجة منطقية، وذلك أن الجملة التي افتتح بها الخطاب: "إنكم لم تعدلوا في المنطق، ولم تنصفوا في القضاء" إنما هي نتيجة منطقية توصل إليها عن طريق محاجة الخصم بالبرهان، حيث كافأت هذه النتيجة قضية حملية جزئية الكم سالبة الكيف تقديرها: "بعض المسلمين لم يعدلوا في المنطق، ولم ينصفوا في القضاء" ، على أن السياق العام للخطاب يقتضي أن

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ضدد)، 113/4.
[2]- ماهر عبد القادر محمد علي، المنطق ومناهج البحث، ص57.
[3]- نفسه ، ص. نفسها .
[4]- الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، 667/2.
[5]- ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص126 - 130.

يكون لهذه القضية قضية تقابلها بناء على أن بعضا من المسلمين يعتقدون أنهم عدلوا في المنطق، وأنصفوا في القضاء، وهذا الاقتضاء يستلزم أن القضية جزئية موجبة تقديرها: "بعض المسلمين عدلوا في المنطق، وأنصفوا في القضاء".

وحتى يرد الخليفة على مناوئيه هذا الاعتقاد، عمد إلى البرهان على كذب القضية الجزئية الموجبة بتوظيفه أساليب لغوية مكنته من بناء بنيتين حجاجيتين تصنفان ضمن ما اصطلح عليه منظرو الحجاج بـ"مواضع الكيف"، وتكمن الخاصية الحجاجية لهذه الأخيرة في وحدتها الشكلية أثناء مواجهة الجمع نحو: موضع الحق في ذاته الذي يباين كل ماعداه من باطل، في مقابل "مواضع الكم" التي تعمل على إثبات أن أمرا أفضل من آخر انطلاقا من معايير كمية[1].

ويمكن الاستدلال على مدلول البنية الأولى من خلال قول الخطيب: **"أما قولكم: تخلع نفسك، فلا أنزع قميصا قمصنيه الله – عزوجل – وأكرمني به وخصني به على غيري، ولكني أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون، فإني – والله – الفقير إلى الله، الخائف منه. أما أن أتبرأ من الإمارة، إن تصلبوني أحب إليّ من أن أتبرأ من أمر الله وخلافته"**[2]. وهذا الموضع – في هذه الحالة - يبيّن الحق، وبالتالي فإن ما يخالفه باطل؛ لأنه يخالف أمر الله تعالى، وأمر الله تعالى حق في ذاته، لذلك يكون اعتقاد المعارضين بأنهم عدلوا في المنطق بين المسلمين مردود عليهم، أما قوله: **"وأما قولكم: تقاتلون من قاتل دوني، فإني لا آمر أحدا بقتالكم، فمن قاتل دوني فقد قاتل بغير أمري. ولعمري، لو كنت أريد قتالكم، لقد كتبت إلى الأجناد، فقادوا الجنود وبعثوا الرجال أو لحقت ببعض أطرافي بمصر أو عراق. فالله الله في أنفسكم، فأبقوا عليها إن لم تبقوا عليّ، فإنكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دما"**[3]، فإنما هو بنية

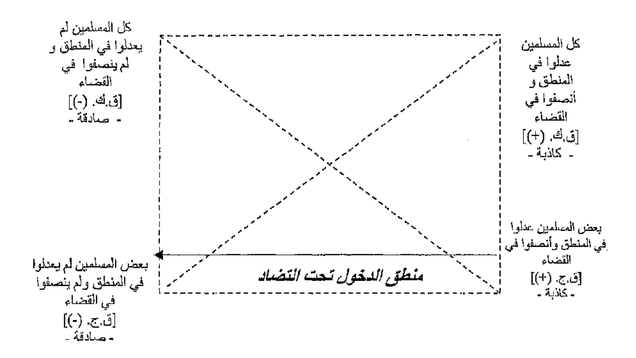
---

[1]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص113 ؛ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص72.

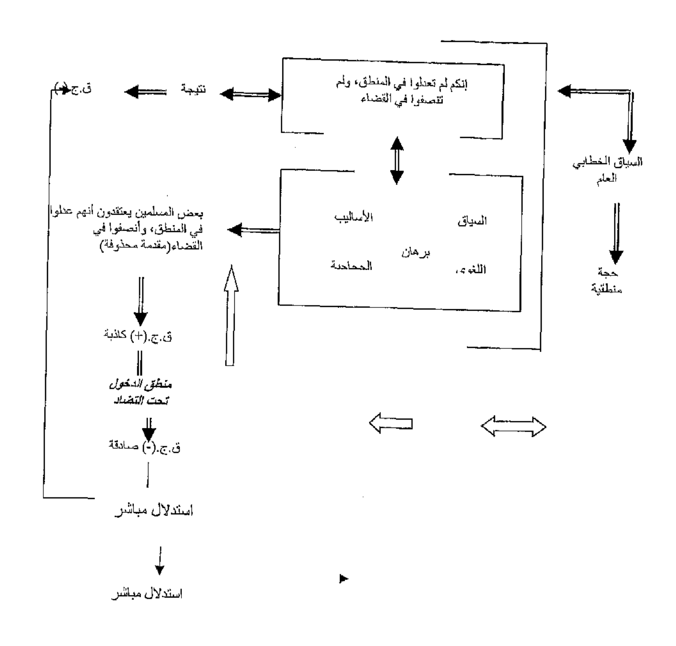
[2]- الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، 667/2.

[3]- نفسه ، ص.نفسها .

حجاجية ثانية فنّد من خلالها الخليفة إمكانية أن يكون قضاء المعارضين فيه إنصاف للمسلمين، لأن تقاتل فئتين دعوتهما واحدة يؤدي إلى الفتنة، وبما أن الفتنة باطل فإن العدول عما يؤدي إليها حق، وبالتالي فإن الخليفة على حق، وترتب على هذا البرهان أن تكون العلاقة بين القضيتين علاقة منطقية حسب قاعدة الدخول تحت التضاد، ومربع التقابل يوضح منطقية هذه العلاقة وفق ما يلي:




وعليه، كان تقابل القضيتين الحمليتين بناء على إثبات صدق الجزئية السالبة من خلال تفنيد الجزئية الموجبة استدلالا مباشرا أسهم في بناء حجة منطقية حسب الآتي:




المخطط رقم 07 –

إن مدلول المخطط يحيل إلى ما صرح به "إرفنغ غوفمان" (E.Goffman) بقوله: "من المسلّم به أن الأقوال تفترض لا فقط نصا سابقا وأشياء متوافرة في المحيط المباشر ومعارف واردة، ولكن تفترض أيضا معايير سلوك"[1]، وذلك أنه كان للظواهر السلوكية التي أوحت بها مناسبة الخطاب وظروفه المقامية دورا وظيفيا في تحديد نظام البنية المنطقية، حيث عمل هذا النظام على ضمان الاتساق فيما بين القضايا الاستدلالية، وبالتالي فإن منطق الاستدلال في البنية النصية ككل لم يكن وراء تركيب لغوي معين، وإنما نشأ بتضافر بنى لغوية وأخرى غير لغوية، فأسهم ذلك في بناء وحدة تواصلية لها أبعاد تداولية تقتضي

استلزاما تحاوريا – وإن كان مبدأ التعاون قائما– قد يدفع بالمتلقي إلى فعل معين، سواء على مستوى سلوكاته أو على مستوى قناعاته و أفكاره .

و يمكن استنتاج طبيعة هذه الأبعاد بتحليل الوحدة التواصلية حسب ما يلي:

**المعنى الصريح للبنية المنطقية يقتضي:**

**أ- قوة إنجازية حرفية** تمثلها تراكيب نحوية متسقة دلاليا، مقيدة بأدوات التأكيد والقسم والنفي والشرط: "جملة اسمية [مقيدة بأداة النسخ "إنّ" خبر جملة فعلية مقيدة بأداة النفي "لم" + وصل بلاغي بـ"الواو" (غرضه إشراك الجملة الموالية في الحكم الإعرابي للجملة السابقة) + جملة فعلية مقيدة بأداة النفي "لم"] + أسلوب شرطي (جملة الشرط اسمية + جملة الجواب فعلية) [مقيد بأداة الشرط "أما"، وحرف النفي "لا"، والمفعول به، والنعت (جمل فعلية تم الوصول فيما بينها بلاغيا بـ"الواو"] + استئناف بحرف "الواو" + جملة اسمية [مقيدة بأداة النسخ "لكنّ" وحرف النفي لا، والمفعول به (خبرها متعدد ⇐ جمل فعلية تم الوصل بينها بلاغيا بـ"الواو")] + استناف بـ"الفاء" + جملة اسمية [مقيدة

[1]- فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ترجمة: صابر الحباشة ، دار الحوار للنشر و التوزيع ، اللاذقية ، سورية ، ط1 ، 2007 م، ص77.

بـأداة النسخ "إنّ" + اسمها معرف بالإضمار (ضمير متصل) + خبرهـا متعـدد معـرف بـ "ال" (غرضه إفادة قصره على المسند إليه مبالغة لكمال معناه في المسند إليه)، والقسم التأكيدي الوارد بين اسم "إنّ" وخبرها جملة اعتراضية] + أسلوب شرطي (جملة الشـرط اسمية + جملة الجواب اسمية) [مقيد بأداة الشرط "أما" والمفعول به] + استئناف بـ"الواو" + أسلوب شرطي (جملة الشرط اسمية + جملة الجواب اسمية) [مقيد بأداة الشرط "أمـا" و أداة النسخ "إنّ" وحرف النفي "لا" والمفعول به] + استئناف بـ"الفاء" + أسـلوب شـرطي (جملـة الشـرط اسميـة + جملـة جـواب الشـرط فعليـة مصـدرة بقـد) [مقيـد باسـم الشرط "من"] + استئناف بالواو + جملة اسمية خبرهـا محـذوف وجوبـا لإنشـاء القسـم (تقديره "قسمي")[1] [ لام الابتداء + مبتدأ معرف بالإضافة (ضـمير متصـل في محـل جـر مضـاف إليـه) + جـواب القسـم أسـلوب شـرطي[2](مقيـد بـأداة شـرط "لـو"، والفعـل الناسخ "كان" والمفعول به، جوابها جملة جواب القسم المقدر (جملة اسمية مصدرة بـ"لقد" لإنشاء القسم[3]+ مقيدة بالفعل الناسخ "كان") + وصل بلاغي بالفاء + جملتين فعليتين ثم وصلهما بلاغيا بالواو [مقيدتين بـالمفعول بـه] + وصـل بلاغـي بـ"أو" + جملـة فعليـة [مقيدة بعطف نسق أداته "أو"] + اسـتئناف بالفـاء + جملـة فعليـة [مقيـدة بـالمفعول بـه (حذف المسند والمسند إليه وجوبا لإنشاء التحذير)] + أسـلوب شـرطي [مقيـد بـأداة الشرط "إنْ" وحرف النفي "لم" (جوابـه جملـة فعليـة محذوفـة تـدل عليهـا الجملـة الفعليـة المتقدمة ⇐ فـ + فعل أمر+ شبه جملة جار ومجرور) ⇔ رأي البصريين[4]] + أسـلوب

---

1- صبحي عمر شو، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009 م، ص67.

2- نفسه، ص98.

3- نفسه، ص103.

4- السابق، ص87، 88.

شرطي [مقيد بأداة الشرط "إنْ"، والمفعول به (جوابه جملة اسمية محذوفة تدل عليها الجملة الاسمية المتقدمة⇐ فـ + إن + اسمها معرف بالإضمار (ضمير متصل) + خبرها + شبه جملة (حرف جر+ اسم مجرور (مضاف) + مضاف إليه) +تمييز) ⇔ رأي البصريين][1].

ب- **محتوى قضويا** ترتب على القوة الإنجازية الحرفية، أفاد بأن الخطيب يأخذ على مناوئيه خروجهم على أمره بناء على أسباب خاصة بهم، فيعدهم بالتوبة إلى الله فيما أعابه المسلمون عليه، لكنه يرفض التخلي عن السلطة ويتمسك بمنصبه الذي وصل إليه بشرع الله وأمره، وإن استدعى الحال نشوب حرب بين الطرفين، فإن ذلك لن يكون بأمره ولا بقيادته، لأن فيه فتنة للمسلمين.

**المعنى الضمني للبنية المنطقية:**

بناء على القوة الإنجازية الحرفية، ومدلول المحتوى القضوي يتضح أن المقاصد التخاطبية متعددة، حيث اعترض الخطيب في بداية خطابه على ما أقرّ به معارضوه واستدل على حجية اعتراضه بمؤكدات برهانية، ثم جنح إلى الوعد بتعديل سياسته في التعامل مع المسلمين إن كان فيها أذى لهم، ومن ثم حذر معارضيه برفق ولين راجيا منهم أن يعيدوا النظر فيما عزموا عليه لأن فيه هلاكهم، وهلاك المسلمين قبل هلاكه وكان للكناية[2] في إثبات هذا المعنى أثر واضح، لأن من أسرار بلاغتها عرضها الحقيقة مصحوبة بدليلها، وطرحها القضية وفي كنهها برهانها[3]، وإن كانت إمكانية إرادة المعنى الأصلي واردة بقول الخطيب: "إنكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دما"؛ فإن

---

1- ينظر: عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص66، 272؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص150، 151، 156.

2- ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص286، 287، 288.

3- نفسه ، ص293.

قرينة عقلية تستبعد ذلك، فالخطيب لا يخشى إراقة الدم بقتله، وإنما سعى إلى الترهيب من وقوع فتنة قد لا توصد أبوابها أبدا.

ضف إلى ذلك أن الأساليب البلاغية المقيدة بالنفي، والشرط، وأدوات النسخ والقسم كان لها أثر واضح في بيان الأغراض الكلامية[1]، حيث أفادت الجمل المنفية بـ "لم" و"لا" غرض الاعتراض، أما أساليب القسم (والله، لعمري، لقد) [2] فكان لها مدلول تأكيدي ، و هو ما دعم وظيفة أداة النسخ "إنّ"، كما كان لأداة النسخ "لكنّ" وظيفة بلاغية أحال إليها غرض الوعد، على حين حمل أسلوب التحذير[3] بقول الخطيب: "الله الله في أنفسكم" مدلول الترجي والاستعطاف، ومن ثم عضدت صيغة الأمر بقوله: "فأبقوا عليها" هذا الغرض البلاغي، وأما الشرط بـ "أما، ومن، ولو، وإن" فكان غرضه إيضاح وجهة نظر الخطيب وبيان رأيه، إضافة إلى أداء "أما" وظيفة التأكيد بما أنها حرف شرط وتفصيل وتوكيد[4].

وما تجدر الإشارة إليه أيضا، هو قول الخطيب: "الله الله في أنفسكم، فأبقوا عليها إن لم تبقوا، فإنكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دما"، وذلك أن سيبويه وجمهور النحاة رأوا أن جملة جواب الشرط لا تتقدم على جملة الشرط إطلاقا وإنما الجملة المتقدمة تدل على جملة الجواب المحذوفة (رأي البصريين) [5]، إلا أن من النحاة من رأى أن السياق اللغوي يكون له أثر في بلاغة المعنى بهذا التقديم، حيث تقدم جملة الجواب للتوكيد، وللتنويه بما سبق ذكره على سبيل القصر (رأي الكوفيين) [6].

وعليه، ورغم أن بعض الأغراض البلاغية كان لها أثر مؤجل (الوعد، الرجاء)، وبعضها الآخر كان له علاقة بجوانب منطقية (الاعتراض، التأكيد)، فإن

---

[1]- السابق ، ص150، 151، 155.

[2]- إبراهيم عبود السامرائي، الأساليب الإنشائية في العربية، ص135، 136، 137.

[3]- ينظر: نفسه ، ص95.

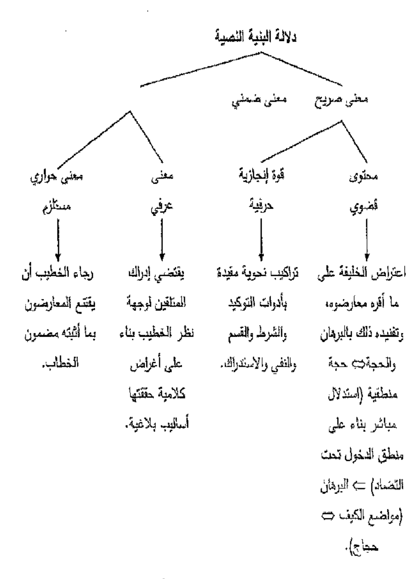
[4]- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع – ، ص52.

[5]- صبحي عمر شو، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم ، ص87، 88.

[6]- محمد كراكبي، بنية الجملة ودلالاتها البلاغية في الأدب الكبير لابن المقفع - دراسة تركيبية تطبيقية -، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، ط1، 2008م، ص112.

ذلك وإن أدى بالمتلقي إلى إعادة نظر في السلوكات، فإنه لم يؤد به إلى إحداث أي أثر في القناعات والأفكار، لأن الخطيب في موقفه ذاك وقف أمام متلق أثبت التاريخ أنه متلق من نوع خاص، إذ لم تؤثر فيه عوامل التأكيد والتوجيه والالتزام، وأساليب الوعد والرجاء.

بناء على هذا التحليل يمكن تلخيص دلالة البنية النصية حسب المخطط الآتي:




- المخطط رقم08 -

## منطق التّضاد وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب:

بما أن **التضاد** في المنطق الصوري هو تقابل قضيتين كليتين مختلفتين في الكيف، إذ يقوم بين الكلية الموجبة والكلية السالبة، فإن ذلك يؤدي إلى منطق تكون عليه القضايا في حالة اتحاد في الكم (الكلي) واختلاف في الكيف؛ أي أن تكون إحدى القضيتين موجبة والأخرى سالبة[1].

وحكم القضايا المتقابلة بالتضاد تم الوصول إليه من طريق القانون الذي ينص على: "إذا صدقت إحدى القضيتين كذبت الأخرى، وإذا كذبت إحداهما فقد تصدق الأخرى"[2]، وجدول الأحكام السابق لخص كل الحالات المتعلقة بهذه القاعدة.

وبالتالي، يأتي التقابل بالتضاد في النموذج الأول من خطاب "علي بن أبي طالب" – رضي الله عنه – حين قال: **"لقد بلغني أنكم تقولون: "علي يكذب"! قاتلكم الله! فعلى من أكذب؟ أعلى الله؟ فأنا أول من آمن به؟ أم على نبيه؟ فأنا أول من صدقه؟ كلا والله ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من أهلها. ويلمه كيلا بغير ثمن، لو كان له وعاء، ولتعلمن نبأه بعد حين!"**[3].

إنّ البنية النصية حجة منطقية ردّ بها الخليفة رأي من حكموا عليه بالكذب، وذلك أن قول أهل العراق: "علي يكذب" حكم ذاتي يكافئ ما اصطلح عليه المناطقة بـ"القضية الشخصية"؛ لأن القضية الشخصية هي ما انصب فيها الحكم على شخص بالذات، وقول العراقيين حسب هذا المفهوم يوافق تماما الصيغة الرياضية "كل ع هي ح"، وبالتالي تدمج القضية الشخصية في القضايا الكلية موجبة كانت أم سالبة[4].

بناء عليه يتم تقدير قول العراقيين في هذه الحالة بـ:

"كل كلام علي فيه كذب"، فتكون الجملة الاسمية "علي يكذب" قضية حملية كلية الكم موجبة الكيف، وبما أن قاعدة التضاد تقتضي أن تتقابل القضية ك.(+) مع قضية

---

1- ماهر عبد القادر محمد علي، المنطق ومناهج البحث، ص57.

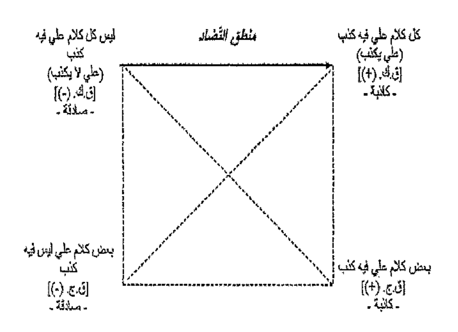
2- نفسه، ص. نفسها.

3- الشريف الرضي، نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 2005م، 74/1.

4- محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص71.

أخرى تتفق معها في الكم وتخالفها في الكيف، أي أن تكون ك.(-)، فإن القول الذي صاغه الخطيب، والذي حمل في طياته بنية متفقا على حجيتها حقق ذلك ، حيث برهن من خلال هذه البنية على أن ادعاء العراقيين باطل، وما قوله: "فعلى من أكذب؟ أعلى الله فأنا أول من آمن به؟ أم على نبيه فأنا أول من صدقه؟" إلا دليلا على ذلك، حيث ثبت تاريخيا أن عليا – كرم الله وجهه – أول صبي آمن بالله، وصدق رسوله[1].

وقد استوحى الخطيب من هذا الواقع التاريخي طاقة حجاجية شحن بها أساليب خطاب ألقي على تجمع بشري يدرك جيدا أن الإيمان الصحيح والكذب لا يلتقيان، فكيف يجترئ علي الكذب على الله أو على رسوله مع قوة إيمانه، وكمال يقينه، وبالتالي أتت مواضع الكيف[2] مرة أخرى لتثبت أن عليا لا يكذب، فأدى ذلك إلى أن تكون نتيجة البرهان: "علي لا يكذب" هي ما يكافئ القضية الكلية السالبة، وبما أن السياق الاستدلالي حكم بصدق هذه القضية، فإن منطق التقابل بالتضاد يقتضي حتما أن تكون القضية الكلية الموجبة كاذبة، ومربع التقابل الموالي يوضح ذلك:

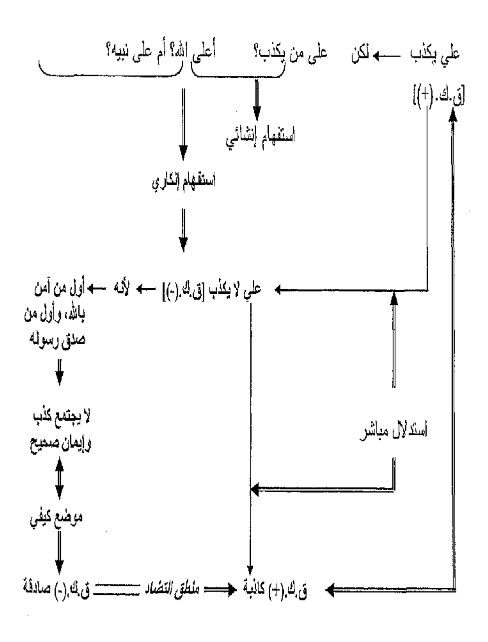



---

1- السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص134.

2- ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص113.

وفيما يلي يتم تلخيص خطوات الاستدلال المباشر بناء على منطق التقابل بالتضاد:




- المخطط رقم 09 -

بناء على ما أثبته المخطط، يتضح أن للبنية المنطقية أبعادا تداولية تقتضي استلزاما حواريا – رغم أن قواعد التعاون متحققة – يوحي به السياق الاستدلالي بناء على دلالة تحيل إلى:

**معنى صريح يستدعي:**

**أ- قوة إنجازية حرفية** تحدها تراكيب نحوية مقيدة بأساليب التأكيد والشرط، وأدوات النفي: "جملة فعلية [مصدرة بـ"لقد" لإنشاء القسم (الجملة الفعلية جواب لقسم يقدر بالجملة الفعلية "أقسم" أو شبه الجملة "والله")[1] ] + جملة فعلية [مقيدة بالمفعول به فاعلها لفظ الجلالة (الله) لإنشاء الدعاء] [2]+ استفهام إنشائي بـ "على من؟" [غرضه التعجب]+ استفهام إنكاري بـ"الهمزة" (همزة التعيين) [3]+ نفي بأداة الردع "كلا"[4]+ أسلوب قسم [والله] جوابه محذوف لدلالة السياق عليه[5] [ تقديره: "أنا لا أكذب" ] + جملة اسمية [مقيدة بأداة الاستدراك "لكن"، والصفة (جملة فعلية + وصل بلاغي بـ"الواو" + جملة اسمية مقيدة بأداة النفي "لم"، والفعل الناسخ "كان")] + جملة اسمية [خبرها جملة فعلية مقيدة بالمفعول المطلق (تم حذف فعلها وفاعلها لإنشاء المدح بكلمة الاستعظام "ويلمه")[6]] + أسلوب شرطي [ مقيد بأداة الشرط "لو"، والفعل الناسخ "كان" + جوابه جملة اسمية محذوفة دلت عليه الجملة الاسمية المتقدمة(رأي البصريين)] [7]+ استئناف بـ"الواو" + جملة فعلية [مؤكدة بما لحق الفعل لتعلمن (اللام والنون الثقيلة)

---

[1]- إبراهيم عبود السامراني، الأساليب الإنشائية في العربية ، ص145، 146.

[2]- نفسه ، ص101.

[3]- إياد عبد المجيد إبراهيم، في النحو العربي- دروس وتطبيقات -، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002م، ص203.

[4]- نفسه ، ص226.

[5]- صبحي عمر شو، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم، ص99.

[6]- الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج1، هامش ص74.

[7]- صبحي عمر شو، أسلوب الشرط و القسم من خلال القرآن الكريم ، ص87، 88.

لإنشاء القسم (الجملة الفعلية جواب لقسم مقدر – والله –)[1] + مقيدة بالمفعول به، والمفعول فيه (ظرف زمان)].

ب- **محتوى قضويا** يتوسل من القوة الإنجازية الحرفية مدلولا سياقيا مقتضاه حكم أهل العراق على علي بالكذب، ولكن المحكوم عليه استدرك ذلك بتفنيده هذا الحكم.

**معنى ضمني:**

تحيل إليه الأغراض البلاغية بناء على أساليب لغوية كان لها أثر بالغ في تفنيد حكم المدعين، حيث حمل أسلوب الاستفهام الإنكاري مدلولا اعتراضيا، بما أن المعنى بعد أداة الاستفهام (الهمزة "أ") أفاد النفي[2]، وبالتالي خرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على أن المستفهم عنه أمر منكر شرعا لا عرفا، مستمدا مصداقية هذه الدلالة من مرجعية تاريخية، وفي هذه الحالة يكون غرضه إبطاليا لا توبيخيا[3].

أما تقييد الجمل بأدوات النفي وأسلوب الشرط في خاتمة الخطاب فقد حمل بعدا سلوكيا اقتضاه مدلول الذم، وهو مدلول أوحت به الصورة البيانية التي احتوتها التراكيب المقيدة بقول الخطيب: "كلا والله ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من أهلها ويلمه كيلا بغير ثمن، لو كان له وعاء" و هي صورة يمكن تقديرها من خلال تركيب أبسط بـ:"أنا أكيل لكم الحكمة كيلا بلا ثمن لو أجد وعاء أكيل فيه، أي لو أجد نفوسا قابلة وعقولا عاقلة"[4].

إذا، يكون التصوير البياني مجازا مفردا بالاستعارة (استعارة تصريحية)، له أثر واضح في بلاغة المعنى، كما أسهم إسهاما جليا في مقاربة مدلول الذم، حيث استعار الخطيب لفظ الوعاء (مشبه به) للدلالة على عقول واعية (مشبه)، بناء على وجه شبه لم يذكر، بما أن المجاز المفرد بالاستعارة لابد فيه من عدم ذكر وجه الشبه، وأداة التشبيه

---

[1]- نفسه ، ص68.

[2]- خديجة محمد الصافي، أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق ، ص63.

[3]- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص98 ، 99.

[4]- الشريف الرضي، نهج البلاغة ، ج1، هامش ص74.

أيضا، بل ولابد من تناسي التشبيه الذي من أجله وقعت الاستعارة فقط مع ادعاء أن المشبه عين المشبه به[1]، ويمكن شرح هذه الصورة بشكل أوضح من خلال ما يلي[2]:

*مستعار منه ←—— وهو المشبه به: الوعاء.

*مستعار له ←—— وهو المشبه: العقول الواعية (محذوف) + الأداة (محذوفة) + وجه الشبه (محذوف).

*مستعار ←—— وهو اللفظ المنقول: الوعاء بمعناه المجازي في سياقه الجديد

( أكيل لكم الحكمة بغير ثمن لو أجد
عقولا واعية كالوعاء الذي لا يضيع
ما يوضع فيه).

*العلاقة ←—— المشابهة.

*القرينة ←—— مقالية ( لهجة الحكمة ).

وعليه، فإن الخطيب عقد الصورة البيانية بناء على تشبيه العقول الواعية بالوعاء الذي يحتوي ما يوضع فيه ولا يضيعه، على أن القرينة المقالية بقول الخطيب: "لهجة غبتم عنها، ولم تكونوا من أهلها" أي لهجة الحكمة، منعت من إرادة الوعاء حقيقة، فورد مجازا؛ لأن ما يحتوي هذه اللهجة ليس الأوعية، بل العقول التي تفقهها وتعيها، ومن ثم لا تضيّعها، وبالتالي فإن وجه الشبه المحذوف لم يصدق على العراقيين، لأن عقولهم لم تدرك – قبل هذا الموقف – أبعاد النصيحة التي أسداها إليهم، إذ كذبوه، لذلك فإن عقولهم وإن كانت أوعية فإنها أوعية غير صالحة للكيل بما أنها تأبى الحكمة حيث كانت.

علما أن المجاز قسيم الحقيقة، فالحقيقة اللغوية هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له، والمجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير

[1]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص258.
[2]- ينظر: نفسه ، ص. نفسها.

بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع[1]، والمجاز نوعان، عقلي ولغوي، على أنه ورد في البنية النصية لغويا لا عقليا، وبالتحديد استعاريا لا مرسلا، بما أنه مجاز لا علاقة له بالإسناد النحوي من جهة، ولأنه لم يرسل عن التقييد بعلاقة المشابهة من جهة أخرى[2].

بناء على هذا المفهوم يكون اللفظ الذي لا يتصرف فيه عند الاستعمال "حقيقة"[3]،أما اللفظ الذي يتصرف فيه عند الاستعمال[4]:

فإن كان التصرف بإسناده إلى غير ما حقه أن يسند إليه سمي "مجازا عقليا"، أو "إسنادا مجازيا".

وإن كان هذا التصرف ينقله من معنى لمعنى لعلاقة وقرينة: فإن منعت قرينته إرادة المعنى الموضوع له فـ"مجاز بالاستعارة" إن كانت العلاقة المشابهة، وإن كانت العلاقة غيرها فـ"مجاز مرسل".

على أن من المعلوم أن القرينة إن لم تمنع إرادة المعنى الأصلي، فإن الصورة البيانية تكون إما "تشبيها" يعتد بأدوات معلومة، وإما "كناية" ذات أقسام محدودة.

ولما كانت الاستعارة في اصطلاح البيانيين هي استعمال اللفظ في غيرما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي[5]، فإن فاعليتها في الخطاب كمنت في تناسبها مع ما اقتضاه السياق، حيث مثلت أبلغ وأقوى الآليات اللغوية، و يظهر التوجه العملي لها في ارتكازها على المستعار منه؛ فكانت بذلك أدعى من الحقيقة في تحريك همة المتلقي إلى الاقتناع، ووسيلة من أهم الوسائل اللغوية التي استغلها الخطيب واعتمدها بشكل كبير جدا في

[1]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ، تقديم وتبويب و شرح: علي بوملحم ، دار و مكتبة الهلال للطباعة و النشر، بيروت ، لبنان ، د. ط ، 2000 م ، ص229 ، 230.

[2]- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص337، 350، 351.

[3]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان و البديع ، ص217.

[4]- نفسه ، ص217 ، 218.

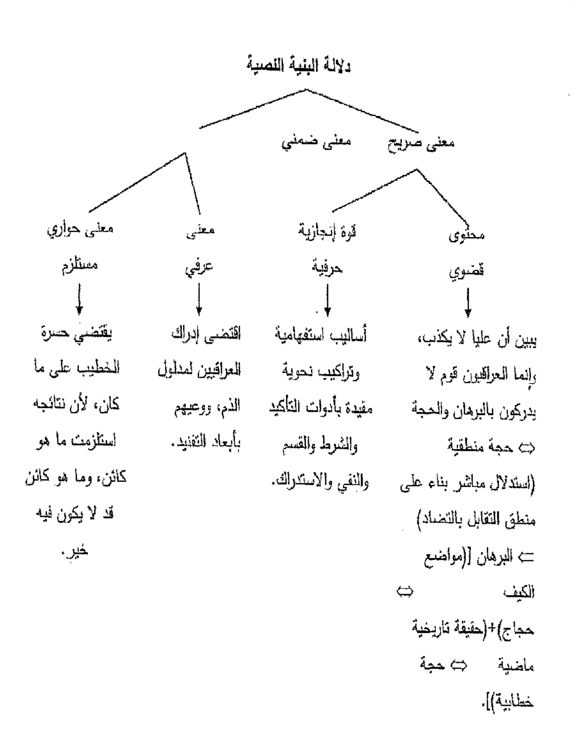
[5]- نفسه ، ص258.

تفنيد حكم المدعين عليه، ومن ثم للوصول إلى أهدافه الحجاجية بما أن التسليم بفرضية الطابع المجازي للغة كان قائما أنذاك[1].

ويجدر التنويه في هذه الحالة، بأنّ الخطيب في مقامه هذا لم يكترث بموقف المتلقي وما تتركه المقاصد التخاطبية والأغراض الكلامية من أثر في نفسه، إذا اقتصر هدفه على التفنيد، ولم يعنه أ اقتنع المتلقي أم لم يقتنع، بناء على أن ما قد يترتب على هذه المقاصد والأغراض من آثار في السلوكات والأفكار يكون قد فات أوانه، أما مقتضى التفنيد إنما نجم عن حسرة خلفتها عوامل معصية أثبتت مناسبة الخطاب وظروفه الخارجية أن إمكانية إصلاح نتائجها أمر مستحيل.

وفيما يلي تلخيص لدلالة البنية النصية بناء على تحليلها حسب نظرية الاستلزام الحواري:

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص496، 497.




- المخطط رقم10 -

وفي مقام خطابي آخر لجأ "علي بن أبي طالب" – رضي الله عنه – إلى منطق التقابل بالتضاد أيضا، وذلك حين ألقى في العراقيين خطبته الشهيرة الموسومة بخطبة الجهاد (النموذج الخطابي الثاني)، حيث استدعى الموقف الختامي منها تفنيد ما ادعته قريش في حقه، وكان لمواضع الكم هذه المرة أثر واضح في ذلك[1]، لأن قول الخطيب: "**أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش: " إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب"، لله أبوهم! وهل أحد منهم أشد لها مراسا، وأقدم فيها مقاما مني؟ ولقد نهضت فيها، وما بلغت العشرين، و ها أناذا قد ذرفت على الستين، ولكن "لا رأي لمن لا يطاع**"[2] يشير إلى أن قول القرشيين حكم ذاتي يكافئ قضية كلية سالبة تتضاد مع قضية كلية موجبة يحيل إليها السياق الاستدلالي إثر استحضار مواضع كمية أثبتت أن باع "علي" في الحرب أطول من باعهم، مستمدة في هذا الإثبات حقائقها من وقائع التاريخ وأحداثه، بما أن الحقائق قد تقوم على فكرة الربط بالواقع[3]، فكان التاريخ بذلك بنية جاهزة أدت أهلية الخطيب وبراعته في توظيفها حسب ما يتطلبه السياق إلى تأسيس دعامة حجاجية أنبأت طبيعتها المصدرية عن مدى قوتها[4]، حيث ثبت تاريخيا أن "عليا" قديم العهد بالحرب، فقد شارك في جميع غزوات الرسول – عليه الصلاة والسلام – إلا غزوة تبوك، وساند الخلفاء في معظم الفتوحات الإسلامية، ولما آلت إليه الخلافة ظل قائما على الجهاد، دائم الدعوة إليه حرصا منه على أداء حق الرعية عليه، بحكم استفحال الفتن الطائفية التي أدت إلى اضطرابات سياسية معقدة خلال هذه الفترة، فكان شديد المراس في جميع الحروب التي خاضها، شجاعا مظفرا يحمل اللواء في أغلبها[5].

---

[1]- ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص113.

[2]- الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، 46/1.

[3]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص111 ، 112.

[4]- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص537.

[5]- السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص134، 139 ، 140 ؛ محمود شاكر، موسوعة الحضارات وتاريخ الأمم القديمة و الحديثة ، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008م، 401/1، 402.

وعليه، فإن مصداقية هذه الدعامة تؤكد أن "علياً" وإن لم يكن أعلم من قريش بالحرب، فإن له دراية بها.

إضافة إلى أن البنية النصية قد احتوت دعامة حجاجية أخرى أسهمت في عضد هذه النتيجة، وذلك حين قال الخطيب مثلما قالت العرب قبل موقفه هذا: "**لا رأي لمن لا يطاع**"[1]، إذ يمكن للمثل بما أنه تشبيه حادثة بحادثة من خلال تركيب لغوي يربط المضرب (الموقف الحاضر) بالمورد (الموقف الماضي) ليماثله، بهدف التعبير عن غرض ما[2]، أن يؤدي وظيفة الإقناع في سياقات متجددة (المضرب) تتقاطع مع السياق الأصلي له (المورد)، بما أنه بنية جاهزة تقع في موقف من المواقف حجة ودليلا[3]، ويتم ذلك بناء على افتراض مسبق يقتضي وعي الخطيب بأن المتلقي يدرك سلطة هذه البنية باعتبارها مرجعية واقعية، على أن كفاءته في إجراء عملية ذهنية سريعة تعمل على استحضار هذه المرجعية، تكمن خلف الأداء الناجح لهذه البنية من خلال كفاءة الخطيب في مطابقة محتواها الدلالي بالموقف الحالي، أي مطابقة المقصود بالمعنى الأصلي[4]، ونجح الخطيب في تحقيق هذه المطابقة بناء على ما ورد في سياق الخطاب بقوله: "**فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر، قلتم: "هذه حمارة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحر"، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء، قلتم: "هذه صبارة القر أمهلنا ينسلخ عنا البرد"، كل هذا فرارا من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون، فأنتم والله من السيف أفر (...) قاتلكم الله! لقد (...) أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان**"[5]،

---

[1]- أبو هلال العسكري ، كتاب جمهرة الأمثال ، تحقيق وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، عبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، د.ت، 408/2.

[2]- نوار عبيدي، التركيب في المثل العربي القديم – دراسة نحوية للجملة الاسمية -، مطبعة المعارف، د.ب، ط1، 2005م، ص15.

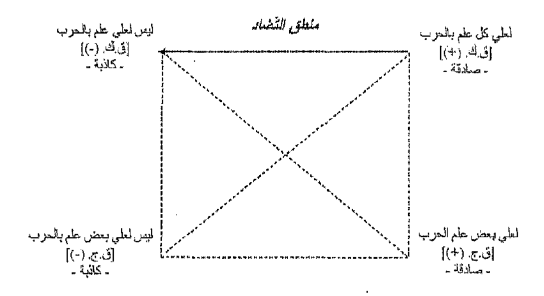
[3]- المعجم العربي الأساسي، ص118.

[4]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص542، 543.

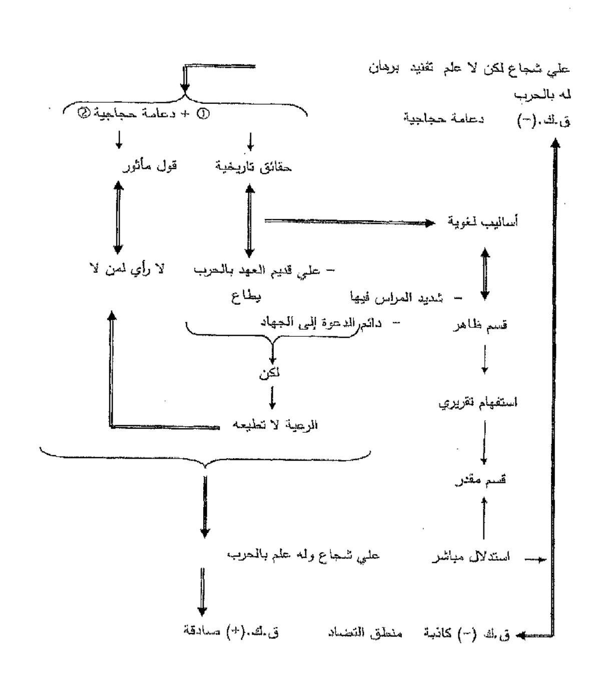
[5]- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 46/1.

وبالتالي كان حال العراقيين بتخلفهم عن الجهاد يوهم من لا علم لهم بحقيقة هذه المعصية أن خليفة المسلمين لا دراية و لا علم له بشؤون القيادة العسكرية.

ومربع التقابل فيما يلي يوضح منطقية العلاقة بين القضيتين:




و المخطط الآتي يفصل آلية الاستدلال المباشر بناء على منطق التقابل بالتضاد:




- المخطط رقم11 -

مما أثبته المخطط، يتضح أن الاستلزام الحواري للدعامتين الحجاجيتين له بعد اعتراضي، حيث أسهمت الأغراض الكلامية في مقاربة مقاصد التخاطب بناء على قوة إنجازية حرفية عملت على بلورة البنية المنطقية ككل، وعلى هذا الأساس يمكن تحديد الأبعاد التداولية للبنية المنطقية، بما أن ***القوة الإنجازية الحرفية*** يؤديها أسلوب خبري إنكاري، ضم أساليب إنشائية غير طلبية؛ لأن التقديرات التي تحتملها هذه الأساليب تخرجها من باب الإنشاء إلى باب الخبر، أو لأنها في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء[1]، ويتم ذلك من خلال ظواهر متعددة، ورد منها في البنية النصية "القسم باللام" بنوعيه الظاهر (لله أبوهم)، والمقدر (لقد)، على أن القسم الظاهر في هذه الحالة يكون تعجبيا بما أن "لام" القسم إذا استعملت أفادت معنى القسم والتعجب معا[2].

وورد أيضا من تلك الظواهر في البنية النصية "الاستفهام التقريري" بـ"هل"، علما أن حقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي، وتبعا لذلك عمل معنى التقرير- أي تقرير حقيقة استفهاما لا الاستفهام عنها تساؤلا - في البنية النصية على إثبات دلالة منفية[3]، ضف إلى أن ما يؤيد معنى التقرير بالاستفهام هو تقييد التركيب بمنصوب من غير المفاعيل الخمسة، وبالتحديد "تمييز" محول عن المبتدأ، لأن أصل التركيب الاستفهامي: "هل مراس علي أشد أم مراس القرشيين؟ ومقام أيهما أقدم؟"، حيث أفاد الاسم المنصوب بعد كل خبر إزالة الإبهام عنه، ومن ثم بيان ما خفي – تناسيا لا جهلا – على القرشيين من خصائص مميزة نسبت لذات الخطيب حقيقة لا ادعاء بما أن التاريخ شاهد عليها[4].

---

[1]- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص70.

[2]- إبراهيم عبود السامرائي، الأساليب الإنشائية في العربية، ص136، 137، 139.

[3]- خديجة محمد الصافي، أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق، ص63، 64.

[4]- إياد عبد المجيد إبراهيم ، في النحو العربي، ص165، 167 ؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص156.

وما غرض الخطيب من التقرير بالاستفهام أثناء قوله: "وهل أحد منهم أشد لها مراسا وأقدم فيها مقاما مني؟" إلا حمل المتلقي على الإقرار والاعتراف بحقيقة ثابتة عنده، وهي أن لا أحد من قريش بتلك الصفات والمميزات[1].

أما غرض كل من القسم الظاهر والمقدر، فهو توكيد ما تم القسم عليه، أي توكيد الدلالة المنفية بعده بقوله: "لله أبوهم ! هل أحد منهم أشد لها مراسا...؟" وتوكيد الدلالة المثبتة في قوله: "لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين..."، بناء على أن القسم في الاصطلاح هو جملة – فعلية أو اسمية – تؤكد بها جملة مثبتة أو منفية[2].

إلا أن ما تجدر الإشارة إليه، هو أن الاستدراك بـ أداة الابتداء "لكن"[3]، الذي لجأ إليه الخطيب أثناء قوله: "ولكن لا رأي لمن لا يطاع" عمل على تفنيد حكم المدعين عليه، فكان لبلاغة إيجاز البنية الجاهزة أثر واضح في شمولية الدلالة ودقتها، بما أنه إيجاز جمع المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة مع الإبانة والإفصاح (إيجاز قصر) [4]، وإن كان من شروط الخاتمة في هذا الفن النثري ما ينص على ذلك ويقتضيه.

كما تجدر الإشارة أيضا إلى أن علماء البلاغة قد اتفقوا على أن "التلميح بالمثل" أثناء الكلام يكون من باب "المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية"، بما أن هذا الأخير هو تركيب يستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة من متعدد، وذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بأخرى ثم تدخل المشبه في الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه[5]، بناء عليه، عقد الخطيب تصويرا بيانيا يقوم على أساس

---

[1]- خديجة محمد الصافي، أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق، ص63.

[2]- صبحي عمر شو، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم ، ص73.

[3]- إياد عبد المجيد إبراهيم ، في النحو العربي ، ص206.

[4]- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص179.

[5]- احمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص275، 342 ؛ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، صحح أصله: محمد عبده ، محمد محمود التركزي الشنقيطي، علق عليه: محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 2001 م، ص61.

وجه شبه بين حاله الذي ترتب عليه ادعاء بعدم سداد الرأي، وموقف العرب قبل ذلك حين قالوا: "لا رأي لمن لا يطاع"[1].

على حين أدى مدلول البنية المنطقية ***محتوى قضويا*** أثبت بأن الخطيب يصب جام غضبه وسخطه على رعيته عبر ***معان ضمنية*** مثقلة بالألم والمرارة وخيبة الأمل، فعمل ذلك على تجسيد عظيم مصاب خلفته عوامل المعصية والخذلان، وما زاد الأمر سوءا حكم القرشيين عليه بعدم العلم والدراية بشؤون الحرب، فلجأ إثر ذلك إلى ما يمكن أن يهون مصابه ويخفف ألمه وغيظه، بما أن الخطاب الحجاجي خطاب تقويمي يهدف إلى التأثير في سلوكات المتلقي أو معتقداته بما يحمله من أدلة حددتها – في هذا الموقف التواصلي– مضامين بنى حجاجية منطقية وخطابية، ولاسيما إن عمل على أداء هذه المضامين بنية إيقاعية ذات تأثير شعوري مؤكد، بما أنها بنية تركيبية يربط بين عناصرها اللغوية توازن صوتي يعكس فكرا مرتبا متزنا مقنعا، رغم أنه يتعلق بتوازي التراكيب وتناسبها في الوزن، مع اختلافها ألفاظا ومعنى (التوازي في حالة القصر: "هل أحد منهم أشد لها مراسا، وأقدم فيها مقاما مني؟"، التوازي في حالة الطول: "لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنذا قد ذرفت على الستين")[2]، كما يتعلق أيضا بتوافق التراكيب في الفواصل (سجع حققه توافق الفواصل في الوزن والحرف الأخير: "العشرين والستين"، وموازنة حققها توافق الفواصل في الوزن مع اختلاف حرفها الأخير: "مراسا ومقاما")[3].

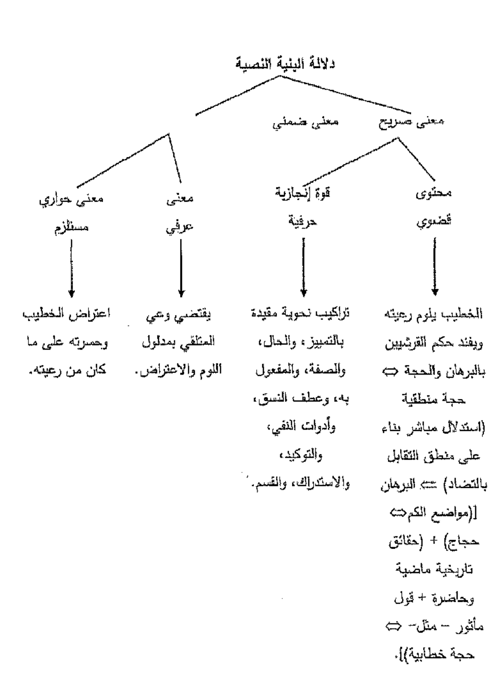
---

[1]- أبو هلال العسكري ، كتاب جمهرة الأمثال، 408/2.

[2]- عبد الرحمن تبرماسين، " التوازنات الصوتية – التوازي، البديع، التكرار- " ، مجلة المخبر- أبحاث في اللغة والأدب الجزائري- ، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر، العدد1، 2004م، ص109 ؛ حمدي منصور جودي، " خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي " ، ص69، 70.

[3]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص325، 328.

وعليه، أسهمت التراكيب اللغوية بناء على تعدد أغراضها البلاغية في مقاربة مقاصد الخطيب وأهداف الخطاب، إثر تبلور المعنى الضمني بناء على معان عرفية استلزم سياقها الاستدلالي اقتضاء تخاطبيا وإن كان مبدأ التعاون قائما وقواعده متحققة ، ويمكن تلخيص ذلك وفق الآتي:




- المخطط رقم12 -

## ثانيّا / بلاغة الاستدلال بالعكس والنّقض من خلال أفعال الكلام :

**تمهيد( التّعريف بالعكس والنّقض ) :**

إن قوانين **العكس والنقض** في المنطق الصوري تؤدي استدلالا مباشرا من خصائصه المميزة أن القضيتين الحمليتين المتقابلتين بناء على هذه القوانين تكونان متساويتين، بحيث يمكن لكل قضية أن تقوم مقام الأخرى، دون أن يمس ذلك سياق الحجة وسلامتها من الناحية المنطقية، فإذا كانت الأولى صادقة كانت الثانية صادقة أيضا، والعكس صحيح، على أن يراعى ألاّ تضيف القضية المستدل إليها شيئا جديدا ليس في القضية المستدل منها، فهي إما أن تأتي مساوية لها أو أقل منها. وتعتمد العمليات المنطقية في هذا الاستدلال على قوانين مختلفة، من أهمها قانونان أساسان هما: قانون العكس المستوي، وقانون نقض المحمول[1].

وعليه، وبناء على النماذج الخطابية المختارة، فإن ما تم التعريف به وارد في النموذج الثاني من خطاب " أبي بكر الصديق " ، والنموذج الثالث من خطاب "علي بن أبي طالب " – رضي الله عنهما – وفق ما يلي:

## منطق العكس المستوي وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق :

إن **العكس** في اللغة يعني التبديل والقلب، أي رد آخر الشيء على أوله[2]، ومن هذا المعنى اللغوي يستمد العكس المستوي مفهومه الاصطلاحي، فهو عملية استدلال مباشر يحدث فيها جعل الجزء الأول من القضية ثانيا، والجزء الثاني أولا[3]، أي أن يوضع الموضوع مكان المحمول، والمحمول موضع الموضوع، فتنشأ بذلك قضية

---

[1]- محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص79، 80.

[2]- ابن منظور، لسان العرب ، مادة (عكس)، 400/4.

[3]- الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص109.

جديدة مكافئة للقضية المعطاة بناء على قانون العكس المستوي[1]، وذلك أن عملية العكس هذه تخضع لقانون عام يحده شرطان أساسان هما[2]:

- شرط الكيف: وهو شرط يقرر ضرورة اتحاد القضية الأصل والقضية العكس كيفا، فالقضايا الموجبة تظل موجبة والسالبة تظل سالبة.
- شرط الاستغراق: الذي ينص على أنه لا ينبغي أن يستغرق في القضية العكس حدا لم يكن مستغرقا في القضية الأصل.

علما أن "الاستغراق" في اللغة يعني التضمن والشمول[3]، وبالتالي يكون استغراق الحد في المنطق أن ينصب الحكم على جميع الأفراد الذين يومئ إليهم الحد[4]، والجدول الآتي يلخص حالات الاستغراق من عدمها بناء على طبيعة القضية[5]:

| القضية | الموضوع | المحمول |
|---|---|---|
| **كلية موجبة** | مستغرق | غير مستغرق |
| **كلية سالبة** | مستغرق | مستغرق |
| **جزئية موجبة** | غير مستغرق | غير مستغرق |
| **جزئية سالبة** | غير مستغرق | مستغرق |

**- جدول الاستغراق -**

بناء على جدول الاستغراق، وبناء على ما قيل قبله، يمكن استنتاج طبيعة القضية المعكوسة عكسا مستويا بناء على طبيعة القضية الأصل، وما يلي يلخص ذلك[1]:

---

1- ماهر عبد القادر محمد علي، المنطق ومناهج البحث، ص61.
2- نفسه ، ص 61، 62.
3- الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص19.
4- محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص72.
5- نفسه ، ص73.

| القضية الأصل (المعطاة) | القضية المعكوسة عكسا مستويا |
|---|---|
| كلية موجبة | جزئية موجبة |
| كلية سالبة | كلية سالبة |
| جزئية موجبة | جزئية موجبة |
| جزئية سالبة | لا تعكس |

جدول القضايا المعكوسة[1] –

بناء على هذه المفاهيم النظرية، فإن هناك بنية نصية ضمن النموذج الثاني من خطاب "أبي بكر الصديق" نجح الاستدلال المباشر من خلال قانون العكس المستوي في بلورة منطقيتها، وما قوله – رضي الله عنه –: "**إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم**"[2] إلا سياق لغوي احتوى معالم هذه البنية، وبما أن هذا السياق ورد مختزلا، فإن التركيب اللغوي "إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه" مثل قضية معطاة (الأصل) في مقابل قضية مكافئة، يمكن تحديدها ضمن سياق خطابي يدعم عكس القضية الأصل عكسا مستويا إلى: "كل ما لا يراد به وجه الله من الأعمال لا يقبل"، وبما أن نفي النفي إثبات، فإن تصور القضية المعكوسة يكافئ مدلول العبارة: "كل ما أريد به وجه الله من الأعمال يقبل"، وبالتالي تكون الجملة الفعلية المثبتة: "فأريدوا الله بأعمالكم"، والتي استدعت بدورها متمما دلاليا تقديره: "كي يقبلها"، نتيجة خطابية سوغها منطق القضية المضمرة بناء على أن قرائن المقام تعضد هذه القضية وتحيل إليها، كما أن الغرض البلاغي لهذه القرينة المقالية يستمد طاقته الإقناعية من المعطيات الحجاجية المضمرة ذاتها.

---

1- السابق، ص82.

2- ابن كثير، البداية والنهاية، 696/6.

وما يأتي يوضح آليات الإجراء التي استفاد منها الاستدلال المباشر في بناء الحجة:

المنطق ⇐ عضد البنية النصية بدليل

⇐ البنية النصية ⇔ تركيبان لغويان

⇐ تركيب لغوي أول ⇔ جملة اسمية منسوخة بـإنّ + أسلوب قصر

⇐ التركيب اللغوي الأول ⇔ قضية معطاة

⇐ البنية اللغوية للقضية المعطاة ⇔ جملة اسمية خبرها جملة فعلية منفية

⇐ القضية المعطاة ⇔ الله لا يقبل من الأعمال ما لا يراد به وجهه

القضية كلية سالبة

*قانون العكس المستوي* ⇔ الكيف يظل سالبا بما أنه سالب في الأصل

⇐ ⇔ الموضوع والمحمول يستغرقان، لأنهما مستغرقان في الأصل

⇔ الموضوع يأخذ مكان المحمول، والمحمول يأخذ مكان الموضوع

⇐ البنية اللغوية للقضية المعكوسة ⇔ جملة اسمية خبرها جملة فعلية منفية

⇐ القضية المعكوسة ⇔ كل ما لا يراد به وجه الله من الأعمال لا يقبل

القضية كلية سالبة

⇔

⇔ نتيجة منطقية مضمرة

⇔ نتيجة خطابية ظاهرة ⇐ أسلوب أدبي

⇔ جملة فعلية ( أسلوب أمر+ متمم دلالي مقدر)

⇐ البنية اللغوية للنتيجة الخطابية ⇔ أريدوا الله بأعمالكم، كي يقبلها

⇐ النتيجة الخطابية ⇔ تركيب لغوي ثان

⇐ البنية النصية ⇔ استدلال مباشر

⇐ السياق الاستدلالي ⇔ حجة منطقية

- المخطط رقم13 -

وعليه، يتضح أن للبنية النصية أبعادا تداولية ضمن سياقها الاستدلالي، وحسب مفاهيم نظرية أفعال الكلام بناء على ما أثبته "أوستين"، فإن هذه الأبعاد تصنف ضمن أفعال "القرار" (التنفيذ) و "الإيضاح" (العرض)، أو ضمن أفعال "التوجيهات" و "التأكيدات" (الإخبار) حسب تعديلات "سيرل"، علما أن التباين في المصطلحات لا يحيل إلى مفاهيم مختلفة، ويمكن بيان ذلك بتحليل الفعل الكلامي للبنية النصية إلى:

1) **فعل نطقي**: تؤديه الوحدات الصوتية والدلالات المعجمية للصيغ الصرفية، والتراكيب النحوية المؤسسة لهذه البنية: "جملة اسمية مقيدة بأداة النسخ "إنّ" و "حرف النفي "لا"+أداة الاستثناء "إلاّ"⇐ (أسلوب قصر) + عطف بـ"الفاء"(وصل بلاغي) + جملة فعلية ( فعل أمر+ فاعل ضمير متصل- واو الجماعة - + شبه جملة جار ومجرور)"[1].

2) **فعل قضوي**: يؤديه مدلول الفعل النطقي، وهو مدلول يقتضي أن من يعمل عملا ويبتغي من ورائه مرضاة الناس، فإن الله لا يقبله وإن كان عملا صالحا.

3) **فعل إنجازي**: يحيل إليه منطق العكس المستوي من جهة، وأسلوب الفعل النطقي من جهة أخرى، حيث أدت العلاقة المنطقية بين القضية الأولى (المعطاة) والنتيجة الخطابية إلى إثارة فعل تأكيدي عمل على دعم الأغراض البلاغية لأسلوب الفعل النطقي، وهو أسلوب خبري إنشائي، فأما الخبري فورد في القضية الأولى إنكاريا بناء على إثبات الخبر بأداة النسخ "إنّ"[2]، إضافة إلى قصر قبول الله الأعمال الصالحة (مقصور) على إرادته بها (مقصور عليه) قصرا لا حقيقيا بل إضافيا، لا يتجاوز فيه المقصور (الموصوف) المقصور عليه (الصفة) إلى شيء غيره، وإن كان المقصور عليه يتجاوزه في ذلك (قصر

[1]- إياد عبد المجيد إبراهيم ، في النحو العربي، ص14، 15، 16، 103، 127، 174.
[2]- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص57، 58.

موصوف على صفة طريقه النفي والاستثناء)[1]، علما أن الخطيب لم يؤكد الخبر – سواء أتعلق ذلك بفائدة الخبر أم بـ لازم الفائدة – لأن المتلقي قد يكون منكرا له أو شاكا ومترددا في تصديقه، فثقافته الإسلامية كفيلة بدحض هذا الإنكار والشك والتردد، وإنما عمد إلى ذلك لأنه خرج بالكلام عن مقتضى الظاهر بأن أنزل المتلقي غير المنكر منزلة المتلقي المنكر بفائدة الخبر بناء على افتراض مسبق يقتضي أن مطالب الحياة الدنيا قد تنسي جل الناس – إن لم يكن كلهم – وتشغلهم عن بذل ما ينفعهم في الآخرة، وبما أن سياق الكلام وقرائن الأحوال أحالت إلى أن النموذج الخطابي خطبة وعظية، يكون للأسلوب الخبري غرض بلاغي ألقي من أجله هو التنبيه والتذكير والحث على السعي في طلب مرضاة الله[2].

أما القضية الثانية (النتيجة الخطابية) فورد أسلوبها إنشائيا بما أن مضمونها استدعى مطلوبا غير حاصل في اعتقاد الخطيب وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل، من خلال فعل الأمر "أريدوا"، وبما أن صيغ الأمر قد تخرج عن معناها الحقيقي الذي هو طلب الفعل من الأعلى للأدنى على وجه الوجوب والإلزام، إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام وظروفه الخارجية، فإن الأمر في هذا التركيب خرج عن معناه الأصلي إلى معنى طلبي لا تكليف ولا إلزام فيه، لأنه طلب حمل بين طياته أبعاد النصح والتوجيه والإرشاد[3].

4) **فعل تأثيري:** بما أن لهذا الفعل علاقة بما تتركه الأغراض الإنجازية في المتلقي، وبما أن لأبعاد التنبيه والتذكير والنصح والإرشاد آثار مؤجلة، فإن الخطيب عمد إلى دعم هذه الأبعاد حتى يستقر مفعولها في ذهن المتلقي وإن كان لفترة محدودة المدى، بناء على محاورة بعيدة (التناص) تمت بينه وبين بنيات جاهزة

[1]- نفسه ، ص167، 168، 170، 171.
[2]- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص57، 58، 63.
[3]- نفسه ، ص73 ، 74.

منقولة على لسانه[1]، علما أن لهذه المحاورة أصولا مفاهيمية في البلاغة العربية، حيث أسهم التلميح إلى أبعاد الماضي بما فيه من أحداث وأخبار وقصص[2]، في تأسيس دعامة حجاجية تناسبت وموقف الخطيب حين قال: "**اعتبروا عباد الله بمن مات منكم، وتفكروا فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟ أين الجبارون الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب؟ قد تضعضع بهم الدهر، وصاروا رميما، قد نزلت عليهم القالات، الخبيثات للخبيثين، والخبيثون للخبيثات، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟ قد بعدوا ونسي ذكرهم، (...) إلا أن الله عز وجل قد أبقى عليهم التبعات (...) ومضوا والأعمال أعمالهم، والدنيا دنيا غيرهم، وبعثنا خلفا بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا، وإن انحدرنا كنا مثلهم، أين الوضاءة الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟ صاروا ترابا، وصاروا ما فرطوا فيه حسرة عليهم، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط، وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور، (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾)[3]، أين من تعرفون من آبائكم وإخوانكم؟ قد انتهت بهم آجالهم، فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة أو للسعادة بعد الموت**"[4].

وبالتالي، قد يكون لهذا القول سلطة خطابية على المتلقي، لأن الخطيب نجح في اختيار البنيات المناسبة بناء على توافق مضامينها مع موضوع الخطاب من جهة، ومن جهة أخرى، لأن معانيها وأساليبها مقتبسة من القرآن الكريم، وتم ذلك على اعتبار أن الخطيب قد خبر طبيعة المتلقي وقدّر مكانته، وأدرك أن أنجع السبل للتأثير في

[1]- طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص47.
[2]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص348.
[3]- مريم/98.
[4]- ابن كثير، البداية والنهاية ، 696/6.

معتقداته وأفكاره وسلوكاته، وأنفع الوسائل لمخاطبة عقله ووجدانه هي حقائق التاريخ ومعاني القرآن الكريم، بما أن الأفعال الإنجازية لهذه البنيات أفعال تأكيدية يقينية غير مؤجلة.

ضف إلى ذلك، أنه تم توظيف بنية جاهزة أخرى أدت إلى تأسيس دعامة حجاجية في خاتمة الخطاب، ولعل الخطيب عمد إلى الاستدلال خلال هذه المرحلة من مراحل الخطاب، بحكم أن المتلقي يتذكر بنسبة أكبر آخر ما يرد في الكلام، إذ لجأ إلى صيغة نظمية تقتضي طبيعتها التأثير والإقناع[1]، حيث كان لقول الحكماء على لسان الخطيب: "**لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة**"[2] مصداقية في سياقه الجديد، بناء على أنه نتيجة عرفية متفق على منطقيتها ضمن هيئة اجتماعية معينة، فعرضها في كلامه من دون أن يشير إلى مقدماتها المنطقية يقينا منه أن المتلقي لن يتساءل عنها، لأنه يسلم بما أقرت به على اعتبار أنها خلاصة قوة عقلية علمية عرفت أفضل الأشياء بأفضل العلوم، فأحالت إلى صواب الأمر وسداده واضعة الشيء في موضعه[3]، وكانت اللغة بتراكيبها النحوية وأساليبها البلاغية عاملا وظيفيا عمل على تجسيد هذه الخلاصة، وعلى ضمان سلطتها الحجاجية بضمان قيمتها الدلالية عبر العصور، فأضحت بذلك قولا مأثورا من مأثورات الثقافة العربية الإسلامية، وحجة خطابية تستدعيها المواقف التواصلية المناسبة[4].

وفيما يلي تلخيص لما تم تحليله بناء على نظرية أفعال الكلام:

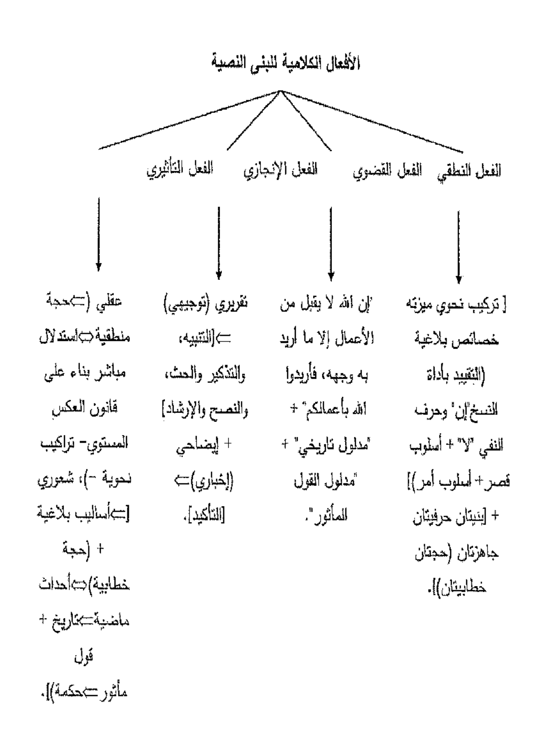
---

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص541.

[2]- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 414/4.

[3]- المعجم العربي الأساسي، ص342 ؛ الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات ، ص66.

[4]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ، ص542.




- المخطط رقم14 -

## منطق نقض المحمول وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب:

إذا كان النقض في اللغة يأتي بمعنى إفساد ما تم إصلاحه، وهدم ما تم بناؤه، وكسر ما تم إحكامه[1]، فإن نقض المحمول في الاصطلاح هو عملية منطقية مباشرة يحدث فيها الاستدلال من قضية معطاة إلى قضية أخرى محمولها نقيض المحمول الأصلي[2]، وإن كان الاستدلال في هذه العملية لا يلتزم بشرطي العكس المستوي، فإنه يقوم بإجراء منطقي مزدوج تميزه خطوتان أساستان هما[3]:

- الخطوة الأولى: يحدث فيها نقض محمول القضية الأصل من خلال نفيه إن كان مثبتا، أو إثباته إن كان منفيا.
- الخطوة الثانية: يحدث فيها تغيير كيف القضية فتصبح القضايا الموجبة سالبة والعكس صحيح، على أن يتم الاحتفاظ بكم القضية.

وعليه يمكن استنتاج طبيعة القضايا منقوضة المحمول بناء على طبيعة القضايا الأصلية، والجدول الآتي يلخص ذلك[4]:

| القضية الأصلية | القضية بعد نقض المحمول |
|---|---|
| كلية موجبة | كلية سالبة |
| كلية سالبة | كلية موجبة |
| جزئية موجبة | جزئية سالبة |
| جزئية سالبة | جزئية موجبة |

– جدول القضايا المنقوضة –

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة (نقض) ، 245/6.
2- محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص80.
3- ماهر عبد القادر محمد علي، المنطق ومناهج البحث، ص63.
4- نفسه ، ص. نفسها.

بناء على ما تم إثباته من مفاهيم نظرية يكون قول "علي بن أبي طالب" – رضي الله عنه – من النموذج الخطابي الثالث: **إن العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطريق الواضح إلا بعدا من حاجته، والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح"**[1] استدلالا مباشرا استند إلى قانون نقض المحمول في بناء الحجة، وذلك أن الجملتين :"إن العامل بغير علم كالسائر على غير طريق واضح"، و "العامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح"، قضيتان كليتان متكافئتان بناء على إخضاع القضية الأولى لقانون النقض، فكانت النتيجة هي القضية الثانية، أما ما سوغ تصنيف القضيتين ضمن القضايا الكلية، أن القضيتين تصنفان منطقيا ضمن "القضايا المهملة"، و "القضية المهملة" هي ما كان فيها السور مهملا (محذوفا) لفظا، ولكن واقع المعرفة أو مقتضى الحكم فيها يقدر طبيعته، نحو أن تقول: "النسور جارحة"، و"البقر وحشي"، فإن أمثال هذه القضايا يحدد سورها بمعرفة أن كل النسور جارحة"، وأن "بعض البقر وحشي"[2]، وبالتالي يقدر سور القضيتين المتكافئتين بمقتضى الحكم فيهما على النحو الآتي: "كل عامل بغير علم كالسائر على غير طريق واضح"، و "كل عامل بالعلم كالسائر على طريق واضح"، وثبتت حجية القضيتين ضمن سياق خطابي أثبت صدق القضية الأولى (الأصلية)، وترتب على ذلك صدق القضية الثانية، حيث ضمت البنية النصية استدلالا آخر أيضا استلزم مصداقية القضية الأصلية، علما أنه استدلال غير مباشر (استقراء ناقص)، وفيما يلي يمكن توضيح مراحل هذه العملية المنطقية:

---

[1]- الشريف الرضي، نهج البلاغة ، 172/2.

[2]- محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص71.

| | | |
|---|---|---|
| مرحلة التدليل في الخطبة | ⇐ | حجج |
| الحجة | ⇔ | استدلال |
| الاستدلال | ⇐ | بنية نصية |
| البنية النصية | ⇔ | قضيتان (جملتان) |
| البنية اللغوية للقضية الأولى | ⇔ | جملة اسمية منسوخة "بإن" خبرها شبه جملة |
| القضية الأولى (الأصلية) | ⇔ | إن العامل بغير علم كالسائر على غيرطريق واضح |
| | ⇐ | القضية كلية موجبة |
| منطق الاستدلال غير المباشر | ⇐ | القضية صادقة |
| ***قانون نقض المحمول*** | ⇐ | نقض المحمول بحذف "غير" |
| | ⇐ | إن العامل بغير علم، كالسائر على طريق واضح |
| | ⇐ | تغيير كيف القضية من موجب إلى سالب |
| القضية الثانية | ⇐ | ليس العامل بغير علم، كالسائر على طريق واضح |
| | ⇐ | القضية كلية سالبة |
| الأسلوب الأدبي | ⇐ | نفي النفي إثبات |
| القضية مثبتة | ⇐ | العامل بالعلم، كالسائر على طريق واضح |
| البنية اللغوية للقضية المثبتة | ⇔ | جملة اسمية خبرها شبه جملة |
| منطق الاستدلال المباشر | ⇐ | القضية المثبتة نتيجة منطقية صادقة |
| السياق الاستدلالي | ⇐ | الحجة منطقية مباشرة |

**- المخطط رقم15 -**

وعليه، فإن ما تم إثباته يقتضي أن للبنية المنطقية أبعادا تداولية تصنف ضمن أفعال "التوجيه" والتأكيد "حسب توجه "سيرل"، أو ضمن أفعال "القرار" و "الإيضاح" حسب اصطلاح "أوستين" ، لأن الفعل الكلامي للبنية يحيل إلى:

1. **فعل نطقي:** تؤديه أصوات لغوية وصيغ صرفية تنتظم داخل تركيب نحوي سليم له دلالة معجمية وإحالة محددة: "جملة اسمية مقيدة بأداة النسخ "إنّ"، والحال (شبه جملة جار ومجرور)، خبرها شبه جملة جار ومجرور+ عطف "بالفاء" (وصل بلاغي) + جملة فعلية مقيدة بحرف النفي "لا" والمفعول به، والصفة، وأداة الاستثناء "إلاّ" والمفعول المطلق (النفي والاستثناء ⇐ أسلوب قصر) + عطف "بالواو" ( وصل بلاغي ) + جملة اسمية مقيدة بالحال (شبه جملة جار ومجرور)، خبرها شبه جملة جار ومجرور مقيدة بالصفة"[1].
2. **فعل قضوي:** توحي به الإحالة المحددة للفعل النطقي، وهي إحالة مرجعها أن العامل بغير علم سائر على غير طريق بناء على وجه شبه يجمع بين الحالتين، أما العامل بالعلم فإنه يختلف عن العامل بغير علم، لأن مساره محدد بما أنه يشبه في ذلك سائرا على طريق واضح.
3. **فعل إنجازي:** بما أن الفعل الإنجازي عمل يتم تحققه بمجرد التلفظ بملفوظ محدد [القول= فعل نطقي (تركيب نحوي) + فعل قضوي (دلالة سياقية)]، فإن وظيفة التركيب النحوي السليم بناء على ما تحيل إليه وحداته المعجمية من مدلول سياقي، تكمن في تجسيد الأعمال المنجزة من جراء هذا التلفظ (آلية الكلام)، إما تجسيدا مباشرا من خلال ما يحمله التركيب من دلالة حقيقية في مختلف السياقات التواصلية، وإما تجسيدا غير مباشر من خلال ما يقتضيه التركيب من زيادة على

[1]- إياد عبد المجيد إبراهيم، في النحو العربي، ص70، 73، 159، 160، 174، 186، 187، 201، 206، 207 ؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص141، 167، 168، 179، 181، 182.

المعنى الحقيقي يقوم المتلقي باستنتاجها ضمن موقف محدد بناء على نجاح المتكلم في إنجازها بما أتيح له من وسائل لغوية وغير لغوية، وبالتالي فإن التراكيب النحوية للبنية المنطقية عملت على تجسيد عمل إنجازي مباشر قام بحمله أسلوب خبري طلبي في التركيب الأول (جملة اسمية مقيدة بأداة النسخ "إن" + جملة فعلية مقيدة بالنفي والاستثناء)، وهو عمل تأكيدي بما أن الأسلوب الخبري الأول مؤكد بـ"إن"، أما الثاني فمؤكد بقصر إضافي طريقه النفي والاستثناء[1]، وبما أن التركيب الثاني (جملة اسمية) يوافق التركيب الأول في كونه أسلوبا خبريا، فإن وصل التركيب الثاني بما قبله بحرف "الواو" مظهر بلاغي أدى إلى إشراك الجملة الاسمية الثانية في حكم التأكيد وإن كانت غير مؤكدة بمؤكد[2].

إضافة إلى ذلك فإن التراكيب النحوية عملت على تجسيد عمل إنجازي غير مباشر بناء على احتوائها صورة بيانية اقتضت زيادة في المعنى الأصلي، فترتب عليها بعد تداولي إيضاحي توجيهي، وذلك أن عقد علاقة بين العامل بغير علم، والسائر على غير طريق بناء على وجه شبه مدلوله ضياع وضلال لا يزيد صاحبه إلا بعدا من حاجته، أدى إلى استحضار عمل تفسيري ضمني، فالسائر على غير طريق ضال، وكذلك العامل بغير علم فهو ضال بما أن في الجهل ضلالا عن اليقين، وبناء على منطق النقض، فإن ما أثبته التشبيه المرسل المفصل (ذكر أداة التشبيه، ووجه الشبه) في التركيب الأول من فائدة الخبر، عمل على تأكيده في التركيب الثاني تشبيه مرسل مجمل بما أن وجه الشبه محذوف[3]، ويتم تقديره بناء على تكافؤ التركيبين منطقيا، فيكون العامل بالعلم كالسائر على طريق واضح، والسير على الطريق الواضح يلغي إمكانية الضياع والضلال،

---

[1]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص57، 58، 178، 179.
[2]- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية، - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص165.
[3]- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص216، 217، 226.

وكذلك طلب العلم، فإنه يعمل على رفع صفات الجهل وتبعاته، وبالتالي يؤدي إلى إلغاء عوامل الضلال، فلا يزيدهما ذلك إلا قربا من حاجتهما.

على أن هذا العمل التفسيري في كلا التركيبين يستدعي عملا توجيهيا ضمنيا تقديره: "اطلبوا العلم واعملوا به، فإن العلم لا يزيد الإنسان إلا قربا من حاجته"، بما أن صيغة الأمر في هذا التركيب المقدر تخرج عن معناها الأصلي وتقتضي مدلولا سياقيا غرضه النصح والإرشاد بناء على موقف الخطيب الوعظي الذي أحال إليه السياق اللغوي للنموذج الخطابي.

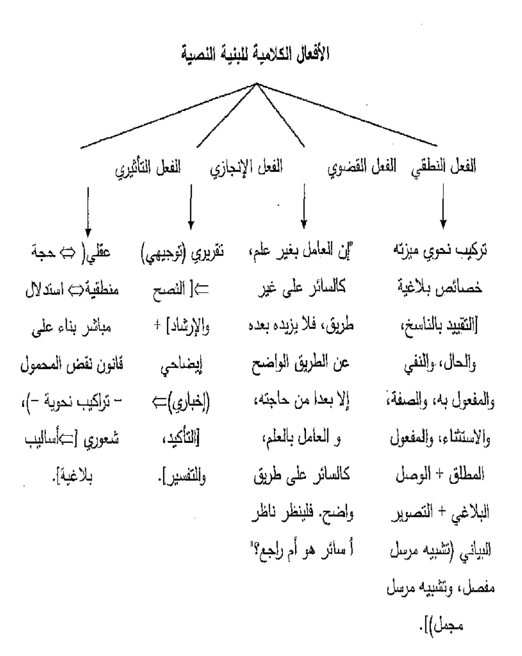
4. **فعل تأثيري**: كان لابد أن يكون للأسلوب الإنشائي بعد البنية المنطقية أثر في سلوك المتلقي، لأن قول الخطيب: "**فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع؟**"[1] لم يؤت به طلبا للقيام بفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، كما لم يؤت به طلبا لفهم على سبيل التساؤل[2]، وإنما لجأ الخطيب إلى هذه الأساليب البلاغية استفزازا للمتلقي، وعيا منه بأن الإقناع المنطقي في مثل هذه المواقف – مواقف الوعظ – يجب أن يعضده تأثير شعوري.

وعليه يمكن إيجاز ما تم تحليله حسب نظرية أفعال الكلام فيما يلي:

---

[1]- الشريف الرضي، نهج البلاغة ، 172/2.

[2]- إبراهيم عبود السامرائي ، الأساليب الإنشائية في العربية ، ص21، 34.




- المخطط رقم16 -

# الفصل الثّالث

## بلاغة الحجّة المنطقيّة غير المباشرة في خطاب الخلفاء الرّاشدين

- أوّلا/ بلاغة الاستدلال بالقياس من خلال أفعال الكلام:
- تمهيد (التّعريف بالقياس)
- منطق القياس الحملي وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق
- منطق القياس المضمر وأبعاده التّداوليّة في خطاب عمر بن الخطّاب
- منطق القياس الشّرطي وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب
- ثانيّا/ بلاغة الاستدلال بالاستقراء من خلال الاستلزام الحواري:
- تمهيد (التّعريف بالاستقراء)
- منطق الاستقراء التّام وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق
- منطق الاستقراء النّاقص وأبعاده التّداوليّة:
- في خطاب عمر بن الخطّاب
- في خطاب عثمان بن عفّان
- منطق الاستقراء وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب:
- منطق الاستقراء التّام
- منطق الاستقراء النّاقص

# الفصل الثّالث

# بلاغة الحجّة المنطقيّة غير المباشرة في خطاب الخلفاء الرّاشدين

## أوّلا / بلاغة الاستدلال بالقياس من خلال أفعال الكلام :

### تمهيد( التّعريف بالقياس ):

ورد في "كتاب الفروق" أن القياس هو حمل الشيء على الشيء في بعض أحكامه لوجه، أو هو حمل الشيء على الشيء و إجراء حكمه عليه لشبه بينهما عند الحامل، لذلك لا يستعمل القياس في شيء من غير اعتبار له بغيره، وإنما يقال قست الشيء بالشيء، ولا يقال لمن شبه شيئا بشيء من غير أن يحمل أحدهما على الآخر ويجري حكمه عليه "قايس"[1]، وبالتالي يكون المفهوم العام للقياس: أنه عملية استدلال غير مباشر يمكن أن تذكر فيها ضابطة عند وجودها تستقيم هذه العملية[2].

وبما أن القضايا هي قوام منطق الاستدلال فإن استنتاج قضية (نتيجة) من قضيتين (مقدمتين)، بناء على قياس إحداهما على الأخرى لوجه شبه مشترك بينهما في تقرير هذا الاستنتاج، إنما هو عملية استدلال منطقي ولكنه غير مباشر، حيث تسمى القضيتان المستدل منهما مقدمتين، تكون إحداهما كبرى والأخرى صغرى، وأما القضية المستدلة فتسمى نتيجة[3].

وهذا التعريف ينص صراحة على أن القياس يستدعي مفاهيم أساسة، تجلت مظاهرها من خلال خطاب الخلفاء الراشدين حسب الآتي:

---

[1]- أبو هلال العسكري، كتاب الفروق، ص83، 84.

[2]- الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص128.

[3]- محمود زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، ص20، 21.

**منطق القياس الحملي وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق:**

**القياس الحملي** قياس مركب من ثلاث قضايا حملية، القضية الأولى تسمى مقدمة كبرى، لأنّها تضم حدا أكبر، والقضية الثانية تسمى مقدمة صغرى لأنها تضم حدا أصغر، أما القضية الثالثة فهي نتيجة استلزمها ارتباط المقدمتين من طريق الحد الأوسط، أي حمل إحدى القضيتين (المقدمتين) على الأخرى في إجراء الحكم (النتيجة) لوجه شبه مشترك بينهما، علما أن الحد الأوسط هو حد مشترك بين المقدمتين (حد ورد في الكبرى وتكرر في الصغرى) وأما الحدان الآخران، أي الأكبر والأصغر، فيمكن تمييزهما بالنظر في النتيجة، حيث يكون موضوع النتيجة هو الحد الأصغر، ومحمولها هو الحد الأكبر[1].

على أن إجراء هذه العملية لا يكون منطقيا إلا إذا وافق القواعد الآتية[2]:

- يجب أن يستغرق الحد الأوسط مرة واحدة على الأقل في إحدى المقدمتين.
- يجب ألا يستغرق في النتيجة حدّ لم يكن مستغرقا من قبل في إحدى القضيتين (المقدمتين).
- لا إنتاج عن سالبتين.
- إذا كانت إحدى المقدمتين سالبة كانت النتيجة سالبة.
- لا إنتاج عن جزئيتين.
- النتيجة تكون جزئية إذا كانت إحدى المقدمتين جزئية.

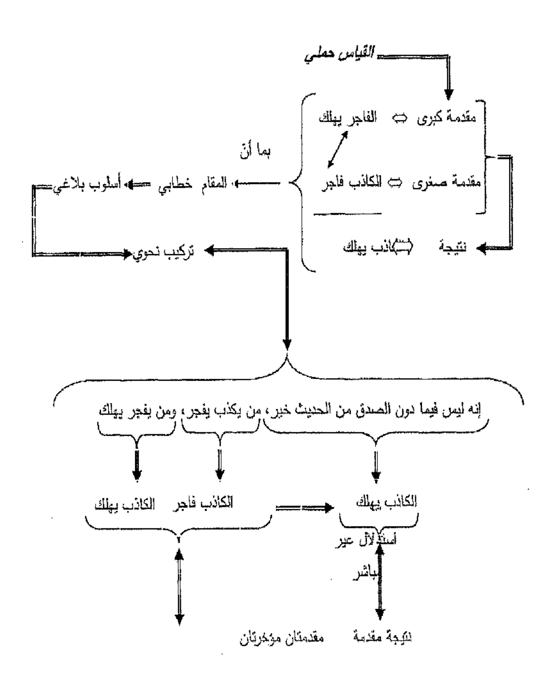
مما سبق ، يكون قول "أبي بكر الصديق" – رضي الله عنه – في النموذج الخطابي الأول: "**إنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك**"[3] قياسا حمليا يشرحه المخطط الآتي:

---

[1]- محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمي، ص20.

[2]- ماهر عبد القادر محمد علي ، المنطق ومناهج البحث ، ص87.

[3]- ابن عبد ربه الأندلسي، كتاب العقد الفريد ، 63/4.




- المخطط رقم 17 -

بناء عليه، وبما أن للاستدلال كيفيات في نظم الدليل، و مقاما يقتضي أن يطابقه الكلام مطابقة تجعل لخواص التركيب فيه دلالات تناسب مقتضى الحال[1]، فإن البنية النصية تركيب استدلالي منطقي اقتضى دلالات تناسب مقتضى حال أوحى به موضوع الخطاب، على أن لهذه الدلالات أبعادا تداولية، وحتى تتسنى مقاربتها لابد من تحليل الفعل الكلامي للبنية النصية حسب الآتي:

1. **الفعل النطقي**: يتمثل الفعل النطقي للبنية النصية في وحداتها الصوتية وتراكيبها النحوية، ودلالات صيغها الصرفية المعجمية: "جملة اسمية [مقيدة بأداة النسخ "إنّ" + اسمها معرف بالإضمار (ضمير متصل) + خبرها جملة اسمية مقيدة بأداة النسخ "ليس" (خبرها شبه جملة تقدم عن اسمها النكرة)] + فصل بلاغي + أسلوب شرطي [جملة اسمية مقيدة بأداة الشرط "من" (مبتدأ) خبرها جملة فعلية (جملة فعل الشرط) + جملة فعلية (جملة جواب الشرط)] + وصل بلاغي بحرف العطف "الواو" + أسلوب شرطي [جملة اسمية مقيدة بأداة الشرط "من" (مبتدأ) خبرها جملة فعلية (جملة فعل الشرط) + جملة فعلية (جملة جواب الشرط)] (جملة جواب الشرط لا محل لها من الإعراب)"[2].
2. **الفعل القضوي**: يمثل مدلول البنية النصية فعلا قضويا يقتضي أن الهلاك مصير كل فاجر، وبما أن الكذب يؤدي بالإنسان إلى الفجور فإن الهلاك مصيره.
3. **الفعل الإنجازي**: إنّ تحديد الأفعال الإنجازية للبنية النصية يتعلق بمعرفة خواص تركيب الكلام الاستدلالي، وبما أن معرفة خواص تركيب الكلام الاستدلالي جزء من معرفة خواص تراكيب الكلام عامة[3]، فإن البنية المنطقية استمدت

---

[1]- شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديد المتحدة للنشر، بيروت، لبنان، توزيع دار أويا، طرابلس، ليبيا، ط2 ، 2010م ، ص81.

[2]- عبده الراجحي، التطبيق النحوي ، ص94، 95، 96، 98، 108، 109، 121، 142، 357 ؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص109،150،151،181،183.

[3]- شكري البمخوت، الاستدلال البلاغي ، ص81.

خصائصها التركيبية من علم المعاني،وذلك أنها اعتدت بمظاهر بلاغية أسهمت في تحصيل الأغراض الكلامية،حيث

كان تقييد التركيب بأداتي النسخ "إنّ" و "ليس"، وباسم الشرط "مَن"، عاملا في إيضاح فائدة الخبر للمتلقي، لما هو معروف من أن الحكم كلما ازدادت قيوده ازداد إيضاحا وتخصيصا، وحينئذ تكون فائدته أتم وأكمل مما لو ألقي على الإطلاق، علما أن الإطلاق والتقييد وصفان للحكم، فالإطلاق أن يقتصر في الجملة على ذكر المسند والمسند إليه حيث لا غرض يدعو إلى حصر الحكم ضمن نطاق معين بوجه من الوجوه، والتقييد أن يزاد على المسند والمسند إليه شيء يتعلق بهما أو بأحدهما، مما لو أغفل لكان الكلام غير مقصود، ويكون التقييد بالتوابع، وضمير الفصل، والنواسخ، وأدوات الشرط والنفي، والمفاعيل الخمسة، والحال والتمييز... [1]، لذلك فغرض إلقاء الخبر مؤكدا تأكيدا طلبيا يختلف عن غرض إلقائه في مقام إخبار على ابتداء أو مقام رد على إنكار، على أن في تقييد الخبر بأداة التوكيد "إنّ"، وفي توكيده بقصر طريقه تقديم ما حقه التأخير، خروجا على مقتضى الظاهر، فالمتلقي ليس خالي الذهن عن فائدة الخبر، ولا عن لازم الفائدة، كما أنه ليس شاكا أو منكرا لهما، وإنما طبيعة الموقف اقتضت فعلا تأكيديا على اعتبار التنبيه و التذكير[2].

على حين كان تقييد الدلالة بالنفي عاملا في ضبط الحكم الصحيح، فلو تم إغفال أداة النسخ "ليس" لفاتت الفائدة المقصودة، ولكان الحكم من دونها كاذبا، أما تقييد التركيب بأداة الشرط "مَن" موصولة بالفعل المضارع ( تركيبان شرطيان⇐ أداة شرط "من" + فعل مضارع مجزوم + جواب شرط فعله مضارع مجزوم )، فكان غرضه إثبات ديمومة الحكم واستمراريته[3]، أي إثبات ديمومة الهلاك مادام الكذب مستمرا، ولعل في هذا الإثبات فعلا توجيهيا هدفه التحذير من عاقبة الكذب الوخيمة.

---

1- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص141.

2- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص57.

3- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ب، ط1، 2000م، 4/59، 62، 63.

إضافة إلى ذلك فإن الغرض من تقديم ما حقه التأخير في الجملة الاسمية المقيدة بأداة النسخ "ليس" هو تخصيص المسند بالمسند إليه، وما يؤكد هذا الغرض أن خبر الجملة الاسمية المقيدة بأداة النسخ "إنّ" ورد جملة أيضا، والمقصود من ذلك تخصيص الحكم (ما أثبتته الجملة الاسمية الواردة خبرا) بالمسند إليه[1]، والهدف من هذا التخصيص تقوية الحكم بما أن مدلول الخبر الجملة ( ليس فيما دون الصدق من الحديث خير بل هلاك ) يحيل إلى نتيجة سببها الكذب ( اسم "إنّ" و أحال إليه في التركيب الضمير المتصل "الهاء" )[2]، على أن هذا الأخير لم يرد صريحا في التركيب الاسمي بما أن خاصية التضاد الدلالي في الأسلوب البلاغي عملت على إيضاح مدلوله إيضاحا يغني عن التصريح بداله اللفظي، كما أدى هذا التضاد الدلالي بين الصدق والكذب إلى إحداث اتحاد تام بين التركيبين الاسمي والشرطي بناء على أن مدلول التركيب الشرطي فيه بيان لمدلول التركيب الاسمي وتوكيد عليه[3]، وبالتالي أدى كمال الاتصال الدلالي إلى ترك أداة العطف بين التركيبين، وفي ذلك فصل بلاغي، وإن كان وصل التركيبين الشرطيين بحرف "الواو" وصلا بلاغيا سوغه اتفاقهما خبرا، وتناسبهما في المعنى والتقييد والمضارعة[4].

ضف إلى ذلك أن هذا التناسب ولد مظهرا بلاغيا آخر وظيفته شدّ انتباه المتلقي وتركيزه إلى جزئيات الخطاب، حيث أدى توافق الجملتين في الوزن (الصيغ الصرفية نفسها في كلتا الجملتين) إلى توازيهما صوتيا (الازدواج) [5].

و ما تجدر الإشارة إليه، بما أنّ مدلول التركيب الشرطي فيه بيان لمدلول التركيب الاسمي وتوكيد عليه، أنّ في ذلك إطنابا بلاغيا حققه تذييل الكلام بالتركيب الشرطي، إذا علمنا أن الإطناب بالتذييل هو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على

---

[1]- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص136، 137.

[2]- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص105.

[3]- نفسه ، ص148، 149، 150.

[4]- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص163 ، 164 ، 166.

[5]- عبد الرحمن تبرماسين ، " التوازنات الصوتية – التوازي، البديع، التكرار- " ، ص109.

معناها للتوكيد، وفي هذه الحالة يكون التذييل جار مجرى المثل، لأن التركيب الشرطي يستقل بمعناه ويستغني عما قبله، فقول الخطيب: "من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك" وإن كان يشتمل على معنى الجملة السابقة: "ليس فيما دون الصدق من الكلام خير" إذ قد تم التعقيب على هذه الأخيرة توكيدا لمعناها، فإن فهمه (التركيب الشرطي) لا يتوقف على فهم ما قبله[1].

4. **الفعل التأثيري:** من المعلوم أن المتكلم عندما يطالب غيره بتعديل الأفكار والاعتقادات أو بتصحيح الأفعال والسلوكات، فإن مطالبه لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تنهج منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوعة تجر المتلقي جرا إلى الاقتناع بما عرضه المتكلم، وقد تزدوج الأساليب الإقناعية بالأساليب البلاغية فتكون إذ ذاك أقدر على التأثير في اعتقاد المتلقي وتوجيه سلوكه لما يهبها هذا الأسلوب الفني من قوة في استحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها له كأنه يراها رأي العين[2]. إن هذا النهج هو ذات النهج الذي سلكه الخطيب في تحصيله الأهداف الاستدلالية ومن ثم المقاصد الخطابية، وبما أن البنية المنطقية جزء من سياق عام ضم بنية منطقية أخرى تم ضبط فعلها التأثيري، فإن هذا الفعل يكون فعلا مشتركا بين البنيتين، لأن أغراضهما واحدة، وهي الحث على اجتناب سيئات الأعمال، والتحذير من عواقبها الوخيمة، وإن عمد الخطيب في هذا المقام الوعظي إلى منطق استدلالي يرتضيه العقل بأسلوب لغوي فني، فإنه لم يكتف بذلك، ولجأ إثره إلى قوله تعالى: (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾)[3] جازما به حجية ما ذهب إليه، بما أنه بنية نصية نتائجها ثابتة وأحكامها قطعية، وتأثيرها في المتلقي أقوى من أيّ بنية أخرى[4].

---

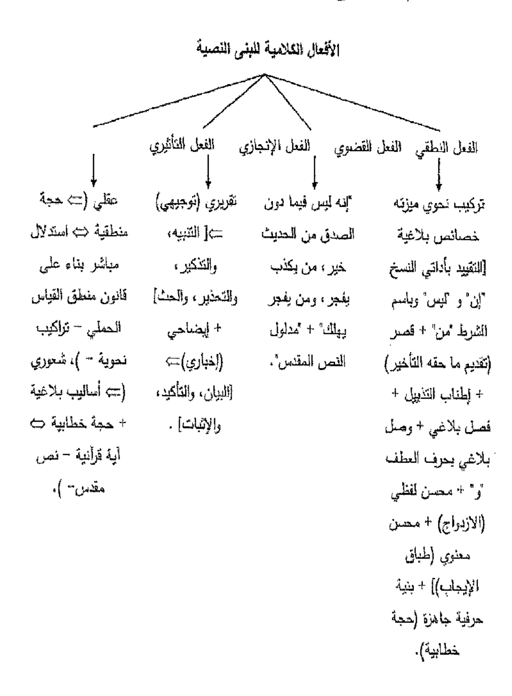
[1]- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص190، 191.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص446.

[3]- آل عمران / 30.

[4]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص537.

بناء عليه، يتم إيجاز نتائج التحليل حسب نظرية أفعال الكلام وفق ما يلي:




– المخطط رقم18 –

## منطق القياس المضمر وأبعاده التّداوليّة في خطاب عمر بن الخطّاب:

إنّ قول "عمر بن الخطاب" – رضي الله عنه – من النموذج الخطابي الأول: "**اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها، فإنها طلعة، وإنكم إلا تقدعوها تنزع بكم إلى شر غاية**"[1] استدلال غير مباشر، وذلك أن الخليفة من خلال هذه البنية النصية إنما يخاطب أولئك الذين أقام عليهم الحجة في ابتغائهم ما عند الناس بقراءة القرآن، وبتطور سياق الخطاب تأتي الحجة المنطقية مرة أخرى، ولكن في صورة "**قياس حملي مضمر**"[2]، وذلك أن الإضمار وإن كان من خصائص الأسلوب الأدبي، فإنه وارد في البنى الاستدلالية، فبما أن الأصل في الدليل التصريح بأجزائه جميعها، فإن الإضمار يستمد مشروعيته من مفهومه، فهو إخفاء بعض أجزاء الدليل بحذفها من التركيب بعد التأكد من ثبوت ما يحيل إليها، أي "إسقاط الكلام لفظا لا معنى، أو ترك اللفظ مع بقاء أثره"[3]، ولعل داعي حذف المقدمة الصغرى من القول راجع إلى أن ذكرها يؤدي إلى إيضاح ما هو جلي ، وبيان ما هو بيّن، خاصة وأن السياق الدلالي يحيل إليها بشكل صريح ، وبالتالي قد يقع الخطيب بالذكر في حشو الكلام من طريق التطويل[4].

و المخطط الآتي يوضح آلية الاستدلال – غير المباشر- بناء على محتوى البنية النصية:

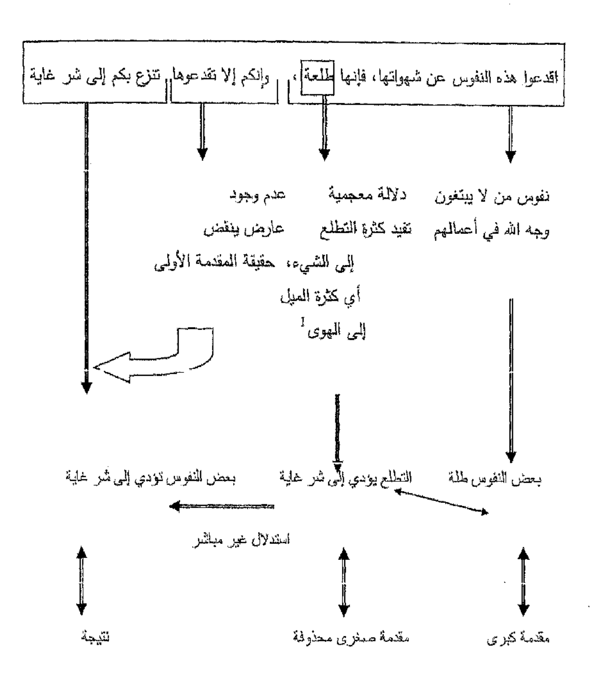
---

[1]- الجاحظ ، البيان والتبيين، المجلد الثاني، 88/3.

[2]- ينظر: ماهر عبد القادر محمد علي ، المنطق ومناهج البحث ، ص79.

[3]- الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، ص24.

[4]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص145، 150.




- المخطط رقم 19 -

وعليه، وبما أن النموذج الخطابي خطاب حجاجي وعظي، فإن البنية المنطقية تقتضي أبعادا تداولية تصنف ضمن أفعال "التأكيد"، وأفعال "التوجيه"، وتحليل الفعل الكلامي للبنية يبين ذلك فيما يلي:

1. **الفعل النطقي:** يحيل إلى "جملة فعلية (أسلوب أمر) [مقيدة بالمفعول به والبدل] + استئناف بـ"الفاء" + جملة اسمية [مقيدة بأداة النسخ "إنّ" + اسمها معرف بالإضمار(ضمير متصل) + خبرها مفرد (صيغة مبالغة ⇐ فعلة) [1]] + وصل بلاغي بحرف العطف "الواو" + جملة اسمية [مقيدة بأداة النسخ "إنّ" + اسمها معرف بالإضمار (ضمير متصل) + خبرها جملة فعلية [مقيدة بأداة الشرط والنفي "إلاّ" (إن + لم) والمفعول به ⇐ جملة فعل الشرط (جملة جواب الشرط جملة فعلية لا محل لها من الإعراب)] أسلوب شرطي ]" [2].
2. **الفعل القضوي:** فعل تؤديه دلالة تقتضي أن بعض النفوس تتطلع إلى معرفة ما ليس فيه خير، وهذا التطلع قد يؤدي بها إلى شر غاية إذا لم يتعهدها صاحبها بما يقدعها عن شهواتها.
3. **الفعل الإنجازي:** بناء على أن اللغة ليست مجرد وسيلة تواصل، بل إنها أيضا أداة تأثير في النفوس ووسيلة إقناع، فإن وظيفتها الإقناعية ضمن سياق محدد تستدعي فعلا معينا تكون له علاقة وطيدة بقول ما، لأن لكل قول غاية عملية، إذ يؤدي تحقق هذه الغاية العملية إلى صياغة واقع جديد في صورة فعل لفظي يحتمل أبعادا تداولية أفعالها لا لفظية بما أن لها صلة بالأغراض والمقاصد الخطابية[3]، وعليه كان للبنية المنطقية أبعاد تداولية صنفت ضمن أفعال "التوكيد" و "التوجيه"، حيث

[1] - محمود مطرجي ، في الصرف وتطبيقاته ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ، ط1 ، 2000م، ص169، 170.

[2] - عبده الراجحي ، التطبيق النحوي ، ص49 ، 66 ، 357 ؛ إياد عبد المجيد إبراهيم ، في النحو العربي ، ص17، 18، 70، 71، 72، 103، 138، 198، 201 ؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص71، 109، 148، 150، 151، 155، 179 ، 181.

[3] - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص147.

اضطلعت التراكيب اللغوية بأغراض كلامية عملت على إنجازها أساليب بلاغية، وذلك أن فاتحة البنية النصية وردت جملة فعلية يتصدرها فعل الأمر "اقدعوا"، وبما أن أسلوب الأمر أسلوب إنشائي، فإنه خلافا للخبري لم ينقل واقعا ولم يحك حدثا، فلم يحتمل تبعا لذلك صدقا أو كذبا، وإنما عمل على توجيه المتلقي إلى القيام بالفعل لا تكليفا وإلزاما وإنما نصحا وإرشادا[1]، أما خاتمة البنية النصية فورد أسلوبها خبريا حملته جملتان اسميتان منسوختان بالأداة "إنّ" خبر الثانية منهما جملة فعلية (جملة فعل الشرط)، وبالتالي أفاد التقييد بكل من أداة التوكيد، والشرط، والنفي غرضا تأكيديا توضيحيا ينفيه الإطلاق[2]، وبما أن ظواهر علم المعاني أسهمت في بناء تركيب استدلالي بلاغي، فإن مدلول صيغة المبالغة "طلعة" أسهم في تأسيس الدلالة، ومن ثم أسهم في تقدير المقدمة المحذوفة، علما أن الحذف ضرب من ضروب الإيجاز، يلجأ إليه المتكلم عندما يكون في كلامه ما يدل على المحذوف، ولا يكون هذا الضرب إلا فيما زاد معناه على لفظه، حيث تؤدي الزيادة في المعنى بناء على فاعلية القرائن (المقامية أو المقالية أو كليهما معا) إلى الاستغناء عن اللفظ، فتحذف من الكلام كلمة أو جملة أو أكثر حسب المقتضى[3]، وبالتالي عمل الإيجاز بحذف جملة في البنية النصية على جمع المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة مع الإبانة والإفصاح بناء على قرينة مقالية دلالية، وفي ذلك مطابقة الكلام بمقتضى الحال، بما أن هذا الأخير اقتضى الاختصار (ألفاظ قليلة الخطاب شفوي) والإيضاح (معان كثيرة الخطاب حجاجي)[4].

4. **الفعل التأثيري:** إن للأدلة المنطقية ضمن الخطاب سلطة على المتلقي، لكن هذه السلطة لا تكون سلطة فاعلة إلا إذا عملت الأدلة على إقناعه والتأثير فيه من

---

1- ينظر: الخطيب القرزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص131، 140، 141.
2- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص141، 150، 151.
3- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع – ، ص172، 173.
4- نفسه ، ص179.

خلال حمله على القيام بما يوافق مقتضاها إما قولا أو فعلا، على أن استراتيجية الإقناع المنطقي وإن كانت فاعليتها لا تتعدى حدود العقل في بعض المواقف، فإن الأساليب البلاغية التي لجأ إليها الخطيب في موقفه هذا كانت لها أغراض إنجازية ومن ثمّ أبعاد تداولية سعى الخطيب إلى تدعيمها بتوظيفه بنية حجاجية أقوى فاعلية بما أن إستراتيجيتها الإقناعيـــة وإن كان لا يتحكم فيها المنطق، فإن العقل لا يرفضها[1]، وذلك أن في قول الخطيب: **"ترك الخطيئة خير من معالجة التوبة"**[2] حكمة سلم المجتمع الإسلامي بسلطتها، وآمن بحقيقتها بما أنها قول بليغ موجز صائب يصدر من عقل وتجربة وخبرة بالحياة، ويحتوي قيمة عرفية تم الاعتراف بها[3]، وإن كانت هذه البنية قد تفشل في توجيه المتلقي، فإن مرد ذلك ليس لأن المتلقي منكر لسلطتها، أو لأن قيمتها الحجاجية فقدت مصداقيتها عنده، وإنما لأنه يتجاهل حقائقها الفعلية عمدا.

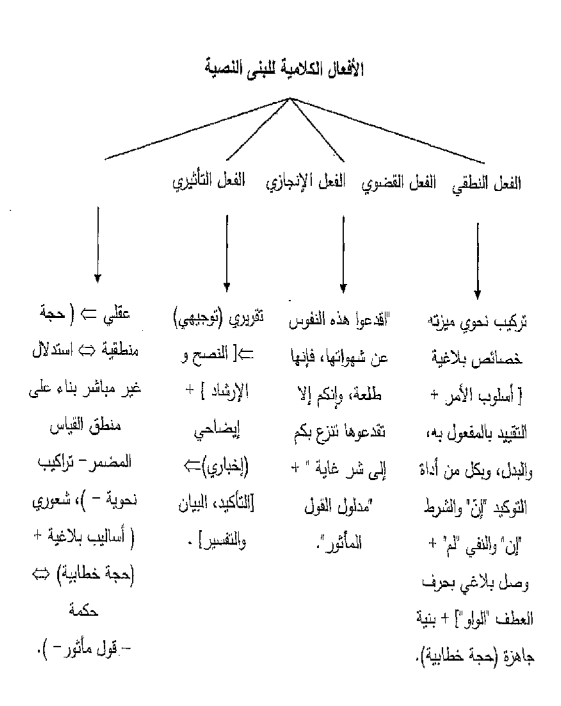
بناء عليه ، يتم إنجاز نتائج التحليل حسب نظرية أفعال الكلام وفق ما يلي:

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص444، 445، 446، 537، 538.

[2]- الشريف الرضي، نهج البلاغة ، 385/4.

[3]- نوار عبيدي ، التركيب في المثل العربي القديم ، ص20.




- المخطط رقم20 -

## منطق القياس الشّرطي وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب:

**القياس الشرطي** قياس مركب من ثلاث قضايا أيضا، ولكنه يختلف عن القياس الحملي في المقدمة الكبرى، حيث تكون هذه الأخيرة قضية شرطية لا حملية[1]، وإذا كان قوام القضية الحملية سور وموضوع ومحمول، فإن قوام القضية الشرطية قضيتان حمليتان تكون إحداهما شرطا للأخرى ، إذ تؤسس القضية الأولى حدا شارطا يأتي بعد أداة الشرط يسمى "مقدّما"، أما القضية الثانية فتؤسس حدّا مشروطا يمثله جواب الشرط يسمى "تاليا"[2].

بناء على هذه المعطيات، يكون قول "علي بن أبي طالب" – كرّم الله وجهه – من النموذج الخطابي الثاني: **"ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا، وسرا وإعلانا، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات، وملكت عليكم الأوطان"**[3] قياسا شرطيا متصلا لا منفصلا، وذلك أن القياس المنفصل هو ما كانت فيه المقدمة الكبرى شرطية منفصلة، أي أنها تفيد العناد، على حين أن المقدمة الكبرى في البنية النصية وردت شرطية متصلة، والقضية الشرطية المتصلة هي ما كان فيها المقدم سببا للتالي[4]، ويترتب على ذلك أن تكون المقدمة الصغرى استثنائية حملية تثبت أو تنفي أحد طرفي المقدمة الكبرى، وتكون النتيجة حملية أيضا، لأنها قد تثبت أو تنفي الطرف الباقي بناء على طبيعة هذا الاستثناء[5].

إلا أن خاصية الإضمار اقتضت أن ترد النتيجة بشكل ضمني غير صريح، بما أن حذف دالها اللفظي لا يلغي أثرها الدلالي، إذ قد يؤدي الاهتمام بالتفاصيل في مثل هذا الموقف (موقف التدليل) إلى إلغاء ما لا يقبل التأجيل[6].

---

[1]- محمد فتحي الشنيطي ، أسس المنطق والمنهج العلمي ، ص99.

[2]- نفسه ، ص74.

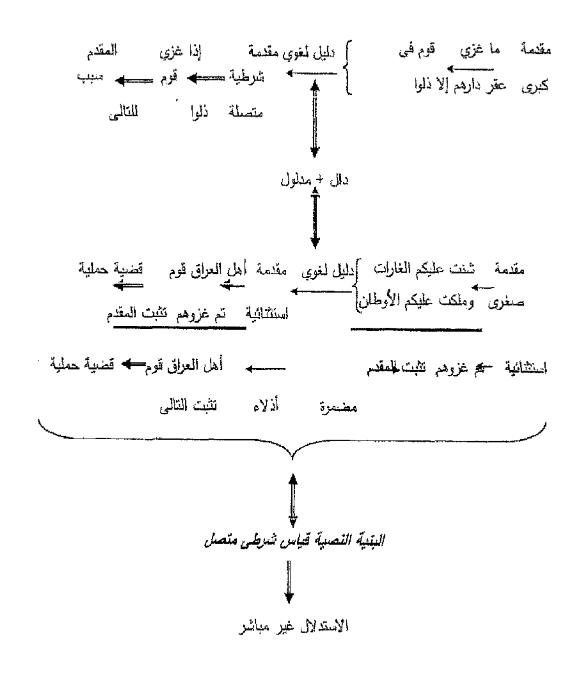
[3]- الشريف الرضي، نهج البلاغة ، 45/1.

[4]- محمد فتحي الشنيطي ، أسس المنطق والمنهج العلمي ، ص75.

[5]- نفسه ، ص99، 101.

[6]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص150.

والمخطط الموالي يثبت اتصال الشرط في البنية المنطقية ويحيل إلى النتيجة المضمرة:




**- المخطط رقم 21 -**

بناء على ما أثبته المخطط، يتضح أن للبنية المنطقية أبعادا تداولية تصنف ضمن كل من أفعال التأكيد (الإيضاح) والتوجيه (القرار) والتصريح (السلوك)، وما يؤكد هذا أن تحليل فعلها الكلامي أنبأ عن الآتي:

1. **الفعل النطقي:** "جملة اسمية [مصدرة بأداة الابتداء 'ألا' + مقيدة بأداة النسخ 'إن' + اسمها معرف بالإضمار (ضمير متصل) + خبرها جملة فعلية (مصدرة بأداة التحقيق 'قد' + مقيدة بالمفعول به، والمفعول فيه (ظرف زمان + ظرف مكان)، وعطف النسق – بالواو)] + وصل بلاغي بحرف العطف 'الواو' + جملة فعلية [مقيدة بالمفعول به (جملة مقول القول[1] ⇐ جملة فعلية (أسلوب أمر) مقيدة بالمفعول به، والمفعول فيه، والنفي (ما) والاستثناء (إلا) ⇐ (أسلوب قصر) + قسم تأكيدي] + وصل بلاغي بحرف العطف 'الفاء' + جملة فعلية [مقيدة بعطف النسق (الواو، حتى)]"[2].
2. **الفعل القضوي:** يؤديه مدلول ترتب على الفعل النطقي، يحيل إلى أن الخطيب أمر رعيته مرارا وتكرارا بجهاد العدو، لأن في ذلك عزة لهم، ولكن العدو نال منهم، بما أنهم آثروا المذلة بمعصية أمره.
3. **الفعل الإنجازي:** لئن كان علم النحو يدرس البنية اللفظية، فينظر في كيفية التركيب وأصله ، فإن علم المعاني يدرس مطابقة القول لمقتضى الحال بتحليل خواص التراكيب بحسب وظيفتها التخاطبية في صلتها بالأغراض الكلامية، ومدى تحقيق خصائص التراكيب لهذه الأغراض[3]، وبالتالي أدى تحليل خواص تركيب البنية المنطقية إلى حصر أغراضها الكلامية، حيث ورد الأسلوب الخبري

---

[1]- عبده الراجحي ، التطبيق النحوي ، ص333، 334.

[2]- إياد عبد المجيد إبراهيم ، في النحو العربي ، ص17،18، 70، 71، 72، 103، 138، 198، 201 ؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص58، 71، 109، 148، 150، 151، 155، 167، 168، 179، 181.

[3]- شكري المبخوت ، الاستدلال البلاغي ، ص90.

إنكاريا، وذلك أن الخطيب أنزل متلقيه غير المنكر لفائدة الخبر ولا لازم الفائدة منزلة المتلقي المنكر، لظهور أمارات الإنكار عليه بمعصية أمره والرضى بالذل والمهانة بدلا من السعي في سبيل الله[1]، فاستلزمت هذه الحال تأكيد الكلام بأكثر من مؤكد، وعمل على ذلك:

- حرف الابتداء والتنبيه "ألا" بما أن دلالته على التأكيد تأتي من دلالته على تحقيق ما بعده[2].
- تقييد صدر الكلام بـ "إن" بما أنها أداة نسخ تفيد التوكيد[3].
- تصدير الجملة الفعلية (خبر إن) بـ "قد" بما أنها أداة تحقيق أفادت التوكيد في سياقها اللغوي[4].
- القسم بـ "الواو" بما أن أدوات القسم من مؤكدات الخبر[5]، إضافة إلى أن القسم أسلوب من الأساليب الإنشائية يلجأ إليه المتكلم في موقف يستدعي تأكيد شيء واقع في الماضي ليزيل الشك من نفس المخاطب[6].
- تقييد جملة مقول القول بالنفي والاستثناء لإفادة القصر (قصر موصوف على صفة قصرا إضافيا طريقه النفي بـ "ما" والاستثناء بـ "إلا")، بما أن القصر من أقوى طرق التوكيد[7].

وإن كان الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين، إفادة المتلقي الحكم الذي تتضمنه الجملة أو العبارة (فائدة الخبر)، أو إفادة المتلقي أن المتكلم عالم أيضا بالحكم الذي يعلمه المتلقي (لازم الفائدة)، إلا أن خروج الكلام عن مقتضى الظاهر أي عن هذين الغرضين، أدى به إلى إفادة غرض بلاغي أحال إليه سياق الكلام، تمثل في لفت

---

1- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص49، 57، 58.
2- نفسه ، ص56.
3- نفسه ، ص51.
4- نفسه ، ص53.
5- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص58.
6- إبراهيم عبود السامرائي ، الأساليب الإنشائية في العربية ، ص135.
7- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص227، 228، 229.

انتباه الرعية إلى ما هم فيه من ضلال بناء على تأكيد مقتضاه، ولعل في ذلك تصريحا ضمنيا بفعل سلوكي عمل على إنجازه مدلول اللوم والتوبيخ (لوم المتلقي وتوبيخه) بحكم الحسرة والغيظ (حسرة الخطيب وغيظه)[1].

إضافة إلى هذا الغرض البلاغي، أفاد التركيب غرضا آخر من خلال تقييده بأسماء منها ما هو منصوب على الظرفية الزمانية، ومنها ما هو منصوب على الظرفية المكانية، وكان غرض كل منهما توضيحيا، حيث أفاد ظرف الزمان "ليلا ونهارا" (⇐ مفعول فيه) بيان زمن وقوع الفعل، أما ظرف المكان "سرا وإعلانا" (⇐ مفعول فيه) فأفاد بيان المكان الذي تمت من خلاله دعوة الخطيب[2].

على أن ما زاد النسق التوضيحي إيضاحا هو طباق الإيجاب بين "الليل والنهار"، وبين "السر والإعلان"، بما أن التضاد بعامة يسهم في الإفصاح عن المعاني، ومن ثم في إيضاح الدلالة[3].

وبالتالي ترتب على الغرض التوضيحي إنجاز فعل تأكيدي، كان له أثر في إثبات أن دعوة الخليفة رعيته للجهاد كانت متكررة.

أما حذف الفاعل ببناء الفعل للمجهول في خاتمة البنية النصية، فحتما لم يكن الغرض من ذلك تعظيم الفاعل بما أنه معلوم لدى الخطيب ومتلقيه، وإنما تحقيره بصون اللسان عن ذكره، نظرا لما تسبب فيه من شقاق بين المسلمين من جهة، ولما ألحقه بهم من دمار سببته إغارات بغير وجه حق من جهة أخرى، لذلك كان غيظ الخطيب وحسرته أشد وأعمق فهزائمه لم تتوال عليه لأن الخصم أجدر منه، أو لأن لا دراية له بشؤون الحرب، بل لأن رعيته من أهل العراق لا عزة فيهم، تواكلوا وتخاذلوا حتى جر عليهم تقاعسهم ويلا أذلهم[4].

---

[1]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص55، 56.

[2]- إياد عبد المجيد إبراهيم ، في النحو العربي ، ص150، 151، 152 ؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص156.

[3]- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص287.

[4]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص163.

وبذلك كان فعل التوجيه قائما على تعيين نتيجة المعصية، من خلال حمل المتلقي على تقدير هذه النتيجة المضمرة، لأن المشاركة المطلوبة منه في تقدير ما حذف تجعله وكأنه لم يحمل على النتيجة حملا، وإنما وصل إليها بمحض إرادته، فيقيم هو ذاته الحجة على نفسه[1]، بناء على أن خصائص الخطاب الاستدلالي المنطقي لا تتصل بأساس العمليـــة الاستدلالية وبنياتها اللزومية، بل تتصل بإمكانية التصريح بمكونات الاستدلال أو الكناية عنها، وهو أمر تفرضه مقتضيات الأحوال، بحيث يسلك المستدل مسلك الخطاب الأدبي إذا كان المقام الخطابي – وخاصة الشفوي- يستدعي عدم التدقيق والتفصيل، لأن للبلاغة في مثل هذه المقامات منافذ استراتيجية (الإضمار، الحذف، الإيجاز) [2]، فكان الإيجاز بحذف جملة في البنية النصية أبلغ أثرا في المتلقي مما لو عمد الخطيب إلى بسط وحداتها التركيبية، بما أنه التزم بما يضمن سلامة التركيب أثناء الحذف، وبالتالي تناسب كلامه مع الوصف الذي أثبته الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز قائلا: "هو باب [ أي باب الحذف] دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[3]، وذلك أن الأصل في جميع المحذوفات على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل عليها، وإلا كان الحذف تعمية وإلغازا لا يصار إليه بحال، فمن شرط حسن الحذف أنه متى ظهر المحذوف زال ما كان في الكلام من البهجة والطلاوة، وصار إلى شيء غث لا تناسب بينه وبين ما كان عليه أولا[4].

وعليه، فإن الأغراض البلاغية أدت وظيفتها في البنية المنطقية إذ عملت على توجيه المتلقي إلى أهداف الخطاب ككل، فبمواجهة الأعداء وصدهم، تستقيم الحياة

---

[1]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص150.

[2]- شكري المبخوت ، الاستدلال البلاغي ، ص91.

[3]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص106.

[4]- نفسه ، ص117، 118.

الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في ظل استقرار سياسي يحفظ للإنسان كرامته وعزته.

4. **الفعل التأثيري**: بما أن ردود أفعال المتلقي التي يستدعيها مقتضى الدليل المنطقي هي إحداث تعديل في الأفكار والمعتقدات، وإجراء تصحيح للأفعال والسلوكات، إلا أن استراتيجية الإقناع المنطقي وإن كانت فاعلة في بعض المواقف رغم أن فاعليتها لا تتعدى حدود العقل، فإنها استراتيجية قد لا تنجح في مواقف أخرى إطلاقا، لأنها مواقف تحتاج إلى تأثير شعوري أكثر منها إلى إقناع منطقي[1]، على أن ذكاء المستدل في مثل هذه المواقف قد يؤدي به إلى ضمان الإقناع المنطقي إضافة إلى تحقيق التأثير الوجداني، ويتضح ذلك بناء على اقتضاء البنية النصية وظيفة إقناعية أحال إليها منطق الاستدلال القياسي، ووظيفة تأثيرية أوحت بها الأبعاد التداولية، وبالتالي وبما أن للأغراض البلاغية إسهام في ضبط هذه الأبعاد التداولية، تكون قواعد البناء المنطقي، وأساليب التعبير الفني مسؤولة عن أداء هذه الوظائف التواصلية، ومن ثم تكون مسؤولة عن تحقق الأهداف الاستدلالية، لذلك تم تدعيم ذات القواعد والأساليب من خلال بنى تركيبية جاهزة تضطلع بفعل تأثيري يستند إلى أسس عقائدية، فبما أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المعجز الذي أنزله على نبيه ورسوله إلى البشرية كافة "محمد بن عبد الله"، وبما أن الحديث هو كل قول أو فعل أو تقرير نسب إليه – عليه الصلاة والسلام –، فإن الثقافة الإسلامية سلمت بهما حجة يمكن تصنيفها في أعلى درجات السلم الحجاجي، لأن أحكامها – من دون شك – يقينية ثابتة، فيؤدي الاستدلال بها في المواقف المقامية المتعددة والمختلفة حتما إلى تأسيس دعامة حجاجية قوية بالنظر إلى سلطتها الخطابية، وهي سلطة تسهم في رفع ذات المتكلم بما أنه يرقى بالاستدلال بها إلى ما هو أرفع في الكلام، وعندها

---

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص457.

يتبوأ الخطاب مكانا عليا لأن السلطة تؤول إليه بناء على أهلية وبراعة مرسله في كيفية التوظيف[1].

ويرى أحد النقاد المحدثين أن توظيف البنيات الجاهزة – سواء أكانت مقدسة أم غير ذلك – خاضع لأسس مرجعها محاورة بعيدة تتم بين المرسل والبنيات المنقولة على لسنه، منها الاقتباس والاستشهاد[2].

وقد لجأ الخطيب إلى الحديث النبوي مقتبسا منه في مقدمة خطابه حين قال: "**فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه، رغبة عنه، ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة، وضرب على قلبه بالأسداد، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف**"[3]، كما استشهد بأحداث التاريخ عقب البنية المنطقية بقوله: "**وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني: أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها، وقلبها، وقلائدها ورعاثها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا أريق لهم دم**"[4].

وبما أن "الاقتباس" ملمح من ملامح البلاغة العربية، يقوم على تضمين المتكلم منثوره أو منظومه شيئا من القرآن أو الحديث على وجه لا يشعر بأنه منهما[5]، فإن الخطيب عمد إلى قوله عليه الصلاة والسلام: "**من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من**

1- السابق، ص537، 544.

2- طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص47.

3- الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، 45/1.

4- السابق، 45/1، 46.

5- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص338.

**أبواب الجنة: (...) ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد**"[1] دون أن يحيل إلى طبيعته بحكم ما أضفاه عليه من معاني الترغيب في الثبوت على الطاعة، والترهيب من عواقب المعصية.

أما "الاستشهاد" وبما أن من معانيه السياقية الإتيان بما يثبت صحة أمر ما مع الإحالة إلى طبيعته ومصدره[2]، فإن الخطيب لجأ عقب البنية المنطقية إلى ما يدعم منطقه من خلال استشهاده بما حدث لأهل العراق في الأنبار من استباحة محارمهم، ونهب خيراتهم، وقتل رعاياهم، وما ذلك إلا فعل شنيع قام به "سفيان بن عوف" وجنوده بأمر من "معاوية بن أبي سفيان" معلنا بذلك خروجه عن طاعة الخليفة[3].

بناء على ما تم تحليله، يمكن ضبط الأفعال الكلامية للبنى النصية فيما يلي:

---

[1]- الحسين بن المبارك ، مختصر صحيح البخاري- التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح - ، شرحه ووضع حواشيه: الشيخ الشرقاوي ، ابن قاسم الغزي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005 م ، ص221.

[2]- المعجم العربي الأساسي ، ص705.

[3]- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 3/149،150.




- المخطط رقم22 -

## ثانيّا / بلاغة الاستدلال بالاستقراء من خلال الاستلزام الحواري:

**تمهيد( التّعريف بالاستقراء ):**

**الاستقراء** في تعريف المناطقة هو عملية استدلالية غير مباشرة، يتم فيها انتقال الفكر من أحكام جزئية خاصة إلى حكم كلي عام[1]، إما باللجوء إلى أمثلة جزئية يكمن فيها صدق قضية عامة، وإما بالبرهنة على أن قضية ما صادقة صدقا كليا بإثبات أنها صادقة في كل حالة جزئية إثباتا تجريبيا، وبالتالي يكون الاستقراء صنفين: تام وناقص[2]، تجلى كل منهما في خطاب الخلفاء الراشدين حسب الآتي:

### منطق الاستقراء التّام وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق:

يكون الاستقراء **استقراء تاما** إذا تم فيه الانتقال من أحكام تتعلق بقضايا تمثل إحصاء لكل الحالات الجزئية الممكنة إلى تعميم ما حكمت به النتيجة، بناء على علاقة قياسية تجمع بين هذه القضايا، وبالتالي يكون الاستقراء التام قياسا، ولكنه قياس قائم على أكثر من مقدمتين (ثلاث مقدمات على الأقل)، نتيجته وإن كانت يقينية فهي لا تقرر شيئا جديدا لم يكن متضمنا في المقدمات، لذلك يصنف هذا الاستدلال ضمن الاستقراء التام، **لأن** تعميم الحكم في النتيجة نجم بناء على استقراء كل القضايا التي لها علاقة بموضوع الاستدلال[3].

إذا، يمكن أن يكون الاستدلال الذي لجأ إليه "أبو بكر الصديق" – رضي الله عنه – من النموذج الخطابي الثالث بقوله: "**من كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت**"[4] استقراء تاما، لأن النتيجة – وإن

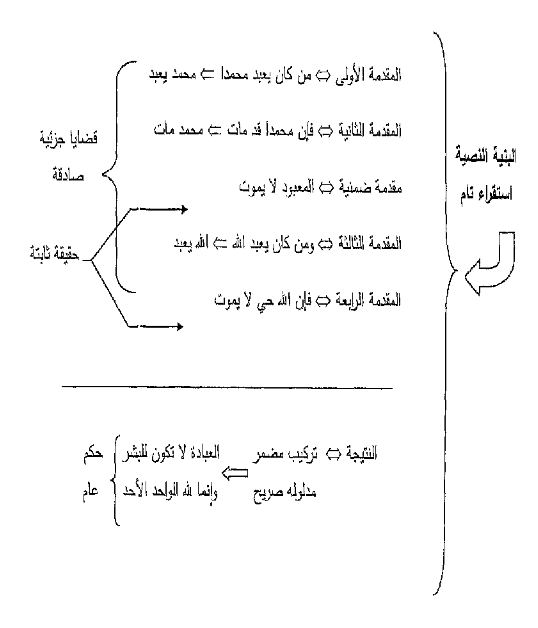
[1]- الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، ص20.

[2]- محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمي ، ص27.

[3]- السابق، ص25 ؛ ماهر عبد القادر محمد علي ، فلسفة العلوم – المنطق الاستقرائي- ، 22/1، 23.

[4]- ابن كثير ، البداية والنهاية ، المجلد الثالث ، 264/5.

كانت مضمرة – فإنها قد عممت حكما بناء على استقراء مقدمات منها ما هي قضايا جزئية شاملة، ومنها ما هي حقائق ثابتة، وما يلي يوضح ذلك:




– المخطط رقم 23 –

بناء على ما أثبته المخطط يتضح أن للبنية النصية أبعادا تداولية يمكن حصرها في:

**معنى صريح يقتضي:**

أ- **قوة إنجازية حرفية:** يحيل إليها "تركيب شرطي① جوابه محذوف[1] ⇐ [أداة الشرط "من" + جملة فعل الشرط مقيدة بأداة النسخ "كان" + جملة اسمية مصدرة "بالفاء"، مقيدة بأداة النسخ "إن"، خبرها جملة فعلية مصدرة بأداة التحقيق "قد"][2] + حرف العطف "الواو" (وصل بلاغي) + تركيب شرطي② جوابه محذوف ⇐ [أداة الشرط "من" + جملة فعل الشرط مقيدة بأداة النسخ "كان" + جملة اسمية مصدرة بالفاء، مقيدة بأداة النسخ "إن"، والحال (جملة فعلية مقيدة بأداة النفي "لا")[3] ][4].

ب- **محتوى قضويا:** يؤكد وفاة الرسول – عليه الصلاة والسلام – ويجزم بحقيقة الخلود التي لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى، ومن ثم فإن العبادة لا تصح إلا له، وأما محمد عليه السلام، فما هو إلا نبي آدمي أرسله سبحانه وتعالى لينذر البشرية كافة.

**معنى ضمني يستلزم:**

أ- **معنى عرفيا:** تفقهه الثقافة الإسلامية بشكل جيد، وذلك أن الخطيب صاغ حجته وفق تراكيب لغوية وأساليب بلاغية شكلت حلقة وصل بينه وبين المتلقي، وذلك أن إلقاء البنية النصية مؤكدة بأكثر من مؤكد (إنّ + قد + إنّ) اقتضى أسلوبا إنكاريا عالج جزع المسلمين (المتلقين) ممن ساورهم الشك فيما يخص وفاة الرسول – عليه الصلاة والسلام –، وآخر طلبيا كان غرضه التنبيه إلى أن الله سبحانه وتعالى

---

[1]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص171؛ صبحي عمر شو، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم، ص49، 50.

[2]- عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص67، 347، 348، 357.

[3]- إياد عبد المجيد إبراهيم، في النحو العربي، ص159.

[4]- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص58، 141، 150، 151، 155، 156، 188.

أزلي خالد في الوجود، وعليه فإن البنية وردت مقيدة بأداة النسخ "إنّ" للتوكيد[1]، إضافة إلى التقييد بأداة النسخ "كان" وحرف النفي "لا"، حيث أفاد التقييد بـ"كان" حكاية الحال[2]، أما التقييد بـ"لا" فأفاد النفي مطلقا، بما أن التقييد بالنفي يكون لسلب النسبة على وجه مخصوص[3].

على حين أفاد التقييد بالشرط التعليق، وذلك أن الشرط أسلوب يقتضي وجود جملتين (جملة فعل الشرط وجملة جواب الشرط) لا يتم المعنى إلا بهما معا[4]، وبالتالي تعلق جواب الشرط المحذوف بفعل الشرط المتحقق حصوله بناء على أن أداة الشرط "من" أثبتت حصول فعل الشرط:

التركيب الشرطي ①:
- من كان منكم يعبد محمدا ← فعل شرط متحقق الحصول
- فليتب إلى الله ← لجواب شرط محذوف غرضه النهي عن المعصية
- فإن محمدا قد مات ← جملة اسمية غرضها الإنذار

التركيب الشرطي ②:
- من كان يعبد الله ← فعل شرط متحقق الحصول
- فليثبت على طاعته ← جواب شرط محذوف غرضه الحث على الطاعة
- فإن الله حي لا يموت ← جملة اسمية غرضها التذكير

علما أن حذف جملة جواب الشرط في كلا التركيبين سوغه الإيجاز البلاغي (إيجاز الحذف ← حذف جملة)[5]، بما أن السياق اللغوي تكفل بالإحالة إلى أبعادها الدلالية، فجملة الشرط جاءت بعدها جملة اسمية لا يصح أن تكون جوابا لها، لكنها

---

[1]- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص51.
[2]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص150.
[3]- نفسه ؛ ص155.
[4]- صبحي عمر شو، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم ، ص10.
[5]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص171.

دلت على جواب محذوف يفيد معنى جديدا لا يفهم من جملة الشرط مباشرة[1]، لأن الشرط في هذه البنية قائم على مفهوم يقتضي أن يقع الشيء لوقوع غيره، فوقوع الثاني متوقف على وقوع الأول[2]، أي أن جملة جواب الشرط متوقفة على جملة فعل الشرط، وبالتالي يكون جواب الشرط في التركيب الأول قائما على فعل التوبة، أما فعل التوبة فمتوقف على فعل الشرط وهو حدوث المعصية، وكذلك بالنسبة لجواب الشرط في التركيب الثاني، فهو قائم على فعل الثبات على الطاعة وإن كان هذا الأخير متوقفا على أداء الطاعة ذاتها بما أنها تمثل فعلا شرطيا.

ومن ذلك يتضح أن هذه المعاني النحوية قد ضمت أغراضا بلاغية تمثلت في التوجيه (الإنذار) والتنبيه (التذكير)، والنصح (النهي) والإرشاد (الحث).

وإذا علمنا بأن الإيجاز البلاغي نوعان، إيجاز قصر: يكون بتضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف. وإيجاز حذف: يكون بحذف مفردة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف[3]، فإن زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو تأدية المعنى بعبارة زائدة لفائدة تقويته وتوكيده، لا يكون حشوا ولا تطويلا في الكلام، وإنما يكون "إطنابا بلاغيا" تحقق في البنية المنطقية من خلال: إطناب التكرار الذي هو ذكر الشيء مرتين أو أكثر، لأغراض منها التأكيد، والترديد. وإطناب الإيغال الذي هو ختم الكلام بمفردة أو عبارة يتم المعنى بدونها ولكنها تضيف إلى معناه التام معنى زائدا. وإطناب التتميم الذي هو زيادة كلمة أو أكثر توجد في المعنى حسنا بحيث لو حذفت لصار الكلام مبتذلا[4].

فكان توظيف الخطيب للوحدات اللغوية : "من"، "فإن"، "كان"، "يعبد"، "الله"، "محمد" أكثر من مرة تكرارا مفيدا ورد في الكلام لداعي التأكيد على الإنذار والإرشاد حينا[5]،

---

[1]- صبحي عمر شو، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم ، ص49، 50، 51.
[2]- فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو ، 53/4 .
[3]- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص179.
[4]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص201، 202، 204، 205.
[5]- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص184، 185.

ولداعي الترديد حينا آخر، بما أن الترديد هو تكرار اللفظ متعلقا بغير ما تعلق به أولا[1].

أما توظيف الخطيب للجملة الفعلية المنفية "لا يموت" فكان إيغالا بلاغيا بما أنه أضاف إلى معنى الجملة التام (فإن الله حي) معنى جديدا، هو أن الله أزلي الوجود خالد فيه[2]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان هذا التوظيف متمما فنيا، إذ لو حذفت الجملة الفعلية المنفية لكان الكلام مبتذلا، لا رقة ولا طلاوة فيه[3].

وما تجدر الإشارة إليه، أن التكرار اللفظي الوارد حقق انسجاما إيقاعيا أحدثه توافق الوحدات اللغوية وزنا، فأدى هذا التوازن الصوتي إلى توازي الجملتين الشرطيتين ضمن البنية النصية، وكان لذلك أثر جلي في لفت الانتباه، ومن ثم في إيضاح الدلالة[4].

ضف إلى ذلك، وبما أن البنية المنطقية تتكون من تركيبين لغويين شرطيين يتفقان خبرا ويتناسبان في الاسمية والتقييد والمعنى*، أنّ عطف إحدى التركيبين على الآخر بحرف "الواو" يكون وصلا بلاغيا وليس مجرد ربط نحوي[5]، على أن الفصل البلاغي القائم بين الجملة الاسمية المنسوخة بـ"إن"، والجملة الفعلية المنفية بـ"لا" أسس له كمال الاتصال بين الجملتين المتحدتين اتحادا تاما، بأن وقعت الجملة الثانية بدلا من الجملة الأولى، ومقتضى الإبدال كون الأولى غير وافية بتمام المراد بخلاف الثانية، فاقتضت الجملة الثانية (لا يموت) أن تنزل من الجملة الأولى (فإن الله حي) منزلة بدل

---

[1]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص203.

[2]- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص185، 186.

[3]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص205.

[4]- عبد الرحمن تبرماسين، " التوازنات الصوتية – التوازي، البديع، التكرار- "، ص109.

*- يجب الوصل بين جملتين إذا اتفقتا في الخبر أو الإنشاء، والاسمية أو الفعلية، والتقييد أو الإطلاق، وإذا كانت بينهما جهة جامعة، أي مناسبة تامة، ويقصد بالتناسب أن تكون بين الجملتين رابطة أو صلة تجمع بينهما، كأن يكون المسند إليه في الجملة (1) له تعلق بالمسند إليه في الجملة(2)، أو كأن يكون المسند في الجملة (1) مماثلا للمسند في الجملة(2) أو مضادا له ←(عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، هامش ص165).

[5]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص181، 182.

الاشتمال لا منزلة بدل البعض من الكل، لأن مدلول الجملة الأولى مشتمل عليه ضمن الجملة الثانية وإن أضافت هذه الأخيرة معنى زائدا لم يتحقق ولا يتحقق في الجملة الأولى[1].

وينبغي التنويه في هذه الحالة إلى أن تناسب التركيبين الشرطيين في المعنى إنما يعزى إلى كون المسند في الجملة الاسمية (فإن محمدا قد مات) ليس مرادفا للمسند في الجملة الاسمية (فإن الله حي لا يموت) وإنما مضاد له، ومن ثم أسهم الطباق بشقيه الإيجابي والسلبي في عقد هذا التناسب، حيث أدى التضاد القائم بين المفردتين (مات) و (حي) في التركيبين الشرطيين الأول والثاني على الترتيب، وبين الوحدتين اللغويتين (قد مات) و (لا يموت) في التركيبين على الترتيب أيضا، إلى توليد حقل دلالي ضدي عمل على إجلاء المعنى، وإيضاح المقصود[2].

***ب- معنى حواريا مستلزما:*** بما أن مصدر الاستلزام عند "غرايس" هو الخرق المقصود لإحدى القواعد الأربعة المؤسسة لـ "مبدأ التعاون"، فإن خرق مبدأ المناسبة على اعتبار أن المقام مقام تأبين، أدى إلى معنى حواري مستلزم تقديره: "اعبدوا الله الواحد الأحد،

وتوبوا إليه ولا تجزعوا، فإن الموت حق على البشرية كافة"، وتم ذلك ضمن سياق تواصلي علم من خلاله أن الخطيب لم يلجأ إلى مواساة المسلمين وتعزيتهم، وإنما عمل على توجيههم وتنبيههم ونصحهم وإرشادهم وفق خطاب حجاجي، لأنه يدرك حقيقة المصاب الذي حل بهم وشدة تأثيره عل مشاعرهم وعواطفهم، فما جزعهم لوفاة الرسول – عليه الصلاة والسلام – والأصح إنكارهم لها، إلا لأن الخبر وقع من قلوبهم، فلم تستوعبه عقولهم، فما كان مجمل قوله إلا استقراء واقعيا لما حوله من أحداث، وما كانت خلاصته إلا نتيجة منطقية ضمنية عضدها قوله تعالى: ( وَمَا

---

[1]- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص148، 149.

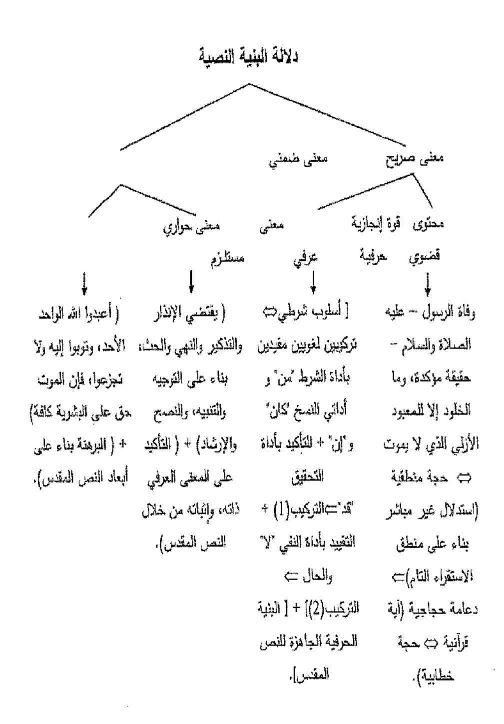
[2]- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص495، 497، 498.

مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[1] بما أن القول استشهاد صرح بمدلولها (النتيجة) وأدى الغرض المنوط بها.

و من هذا الموقف يتجلى صدق الإيمان بالله عز وجل عند أبي بكر" – رضي الله عنه – ، فرغم حزنه على ما كان من أمر رسول الله – عليه الصلاة والسلام – ، ورغم حسرته على ما كان من المسلمين، فإنه قد استجمع قواه وقام فيهم خطيبا حاثا إياهم على التوبة، مؤكدا لهم ضرورة لزوم الطاعة، إحساسا منه بالمسؤولية الملقاة على عاتقه إزاء هذا الدين الحنيف.

بناء على ما تم تحليله يمكن إيجاز دلالة البنية النصية حسب المخطط الآتي:

[1]- آل عمران /144.




- المخطط رقم 24 -

## منطق الاستقراء النّاقص وأبعاده التّداوليّة:

### في خطاب عمر بن الخطّاب:

**الاستقراء الناقص** هو استقراء يتم فيه الانتقال من حالات جزئية إلى حالات كلية، ومن المعلوم إلى المجهول، تكون نتيجته ظنية احتمالية، لأنها تضم جديدا لم يكن مثبتا في المقدمات بناء على عملية استدلالية تقتصر على ملاحظة التشابه القائم بين أمثلة جزئية في استنتاج حكم عام لا يكون له اليقين المطلق، وما لجأ الاستقراء إلى المثال ليكون دليلا على صدق تعميم ما، إلاّ لأنه يبني مقدمات توضع فيها الوقائع التي حدثت فعلا والتي شوهدت حقا، وما اعتبار أنّ نتيجة هذه المقدمات ليست نهائية إلا لأن احتمال مراجعتها في ضوء ما يكشف عنه واقع الخبرة في المستقبل يبقى قائما[1].

وعليه، فإن الاستقراء الناقص قد ورد في النموذج الثاني من خطاب "عمر بن الخطاب" – رضي الله عنه – حين قال: "**ومن نعم الله عليكم نعم عم بها بني آدم، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها، وفدحهم حقها، إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فأنتم مستخلفون في الأرض، قاهرون لأهلها، قد نصر الله دينكم، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان، أمة مستعبدة للإسلام وأهله، يجزون لكم، يستصفون معايشهم وكدائحهم ورشح جباههم، عليهم المؤونة ولكم المنفعة، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة، قد ملأ الله قلوبهم رعبا، فليس لهم معقل يلجؤون إليه، ولا مهرب يتقون به، قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم، مع رفاغة العيش، واستفاضة المال، وتتابع البعوث، وسد الثغور**

[1]- ماهر عبد القادر محمد علي ، فلسفة العلوم – المنطق الاستقرائي- ، 26/1 – 29 ؛ محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمي ، ص35.

**بإذن الله، مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام، والله المحمود، مع الفتوح العظام في كل بلد."[1]**

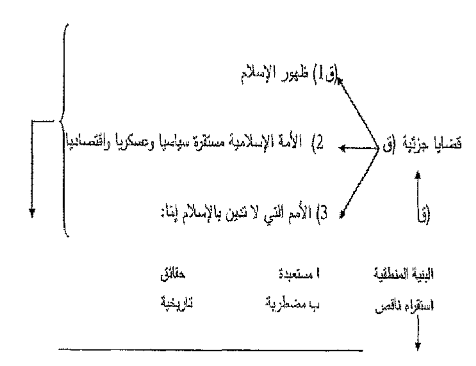
إن موضوع الخطبة التي ضمت هذه البنية النصية قائم على تذكير الخليفة عباد الله بنعمه عليهم، ومن ثم حثهم للسعي في الحفاظ عليها من خلال العمل والطاعة والشكر والصبر في الشدائد، لأن المصائب والمحن التي تنزل بالإنسان ما هي إلا ابتلاء يمتحن صبر المسلم ويقيس درجة إيمانه، ومن بين النعم التي اختص بها هذا السياق الخطابي نعمة الإسلام وما ترتب عليها من القضاء على مظاهر اللاإنسانية واللاعقلانية أيام الجاهلية، ولقد استدل الخطيب على ذلك من خلال استقراء الواقع، ولكن استقراءه كان ناقصا لأن الحقائق التاريخية المستقرأة أسست لقضايا جزئية أسهمت في استنتاج حكم ليس له اليقين المطلق، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لأن الملاحظة لم تشمل كل الجزئيات المتعلقة بالموضوع[2]، وبالتالي أدت المقارنة بين القضايا الجزئية المثبتة إلى نتيجة نسبية قابلة للمراجعة في المستقبل، وهذه النتيجة اقتضت استلزاما تخاطبيا تقديره: "للإسلام فضل في عزة الأمم التي تدين به فتمسكوا به، وحافظوا عليه"؛ بما أن للبنية النصية معنى صريحا، وآخر ضمنيا، وإن لم يحدث خرق لأي مبدأ من مبادئ التعاون بشكل مباشر، فالمتلقي لا ينكر مضمون الخطاب بما أن هذا الأخير ليس بجديد عليه، إلا أن الاستلزام الحواري في هذا السياق التواصلي الخاص تعلق بمفهوم القيمة الحجاجية، فالخطاب الحجاجي خطاب تقويمي، يهدف إلى التأثير في سلوك أو معتقد المتلقي، بما يحمله هذا الخطاب من قيم تتحدد من الأقوال أو الأفعال التي تمثل الحكم المستفاد من وراء كل معلومة، ويسعى المتلقي بدوره إلى استنتاجها واستنباطها (القيم) بما يملك من قدرات ذهنية ومعرفية، انطلاقا مما يصرح به أو يضمنه الخطيب في كلامه، فتمثل القيمة الحجاجية في مثل هذه الحالات المعنى

---

[1]- الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، 574/2.

[2]- محمود شاكر، موسوعة الحضارات و تاريخ الأمم القديمة و الحديثة ، 453/1 – 459 ؛ هاري هازارد، أطلس التاريخ الإسلامي ، ترجمة و تحقيق: إبراهيم زكي خورشيد ، ص 06.

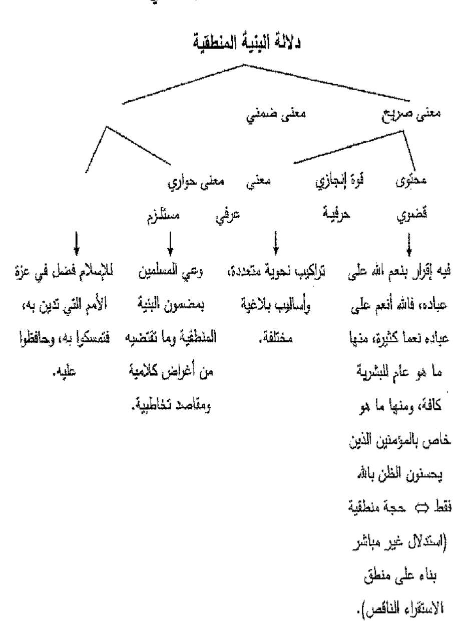
الضمني لكل ما يريد المحاجج التأثير به على المتلقي، وبهذا مثّل الاستلزام الحواري في هذا المقام انتقالا من معنى صريح إلى معنى ضمني قابل مفهوم القيمة الحجاجية على اعتبار أنها انتقال مما أراد المتكلم التأثير به على المتلقي إلى الأثر في حد ذاته[1]، وما يلي يوضح ذلك:




**- المخطط رقم 25 -**

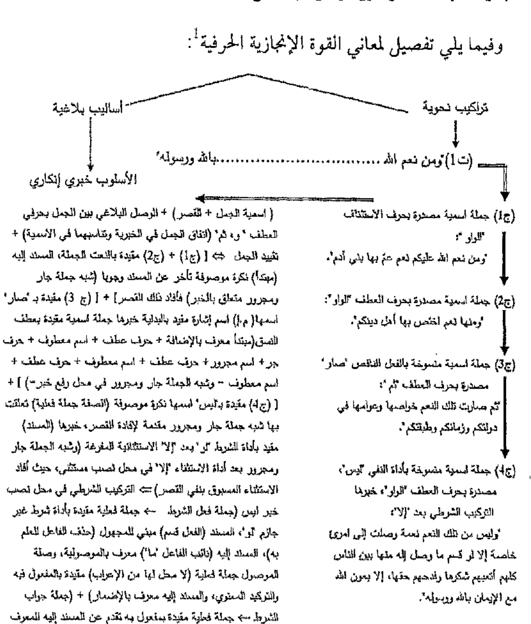
[1]- حمدي منصور جودي ، " خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي – دراسة لنماذج نصية مختارة – "، ص163.

وعليه يمكن تحليل دلالة البنية المنطقية حسب الآتي:




- المخطط رقم 26 -

وفيما يلي تفصيل لمعاني القوة الإنجازية الحرفية[1]:




[1] - ينظر: عبده الراجحي، التطبيق النحوي ؛ أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع.

(ت2) "فأنتم ........................وسد الثغور بإذن الله"

(ج1) جملة اسمية مصدرة بحرف الاستئناف "الفاء":

"فأنتم مستخلفون في الأرض قاهرون لأهلها".

(ج2) جملة فعلية مصدرة بأداة التحقيق "قد":

"قد نصر الله دينكم".

(ج3) جملة اسمية منسوخة بالفعل الناقص "أصبح" مصدرة بحرف العطف "الفاء":

"فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان".

(ج4) جملة اسمية في محل نصب حال خبرها متعدد:

(غ.أ) جملة فعلية ← وردت على الإطلاق + المسند إليه معرف الإضمار.

(غ.ب) جملة فعلية ← مقيدة بالمفعول به وعطف النسق + المسند إليه معرف بالإضمار.

(غ.ج) جملة اسمية ← تقدم المسند + تأخر المسند إليه(⇐ قصر).

(غ.د) جملة اسمية ← تقدم المسند + تأخر المسند إليه(⇐ قصر).

"أمة مستعبدة للإسلام وأهله، يجزون لكم، يستصفون معايشهم وكدائحهم ورشح جباهيم، عليهم المؤونة ولكم المنفعة".

(ج5) جملة اسمية في محل نصب حال مصدرة بـ"الواو" خبرها متعدد:

(غ.أ)جملة فعلية ← مصدرة بأداة التحقيق"قد" + مقيدة بالمفعول به والتمييز.

(غ.ب)جملة اسمية ← مقيدة بأداة النسخ "ليس" + خبرها شبه جملة تقدم عن اسم ليس (نكرة موصوفة ← الصفة جملة فعلية).

(غ.ج)جملة اسمية ← منسوخة بـ"لا" النافية للجنس + المسند إليه نكرة موصوفة (الصفة جملة فعلية) + المسند محذوف تقديره "موجود".

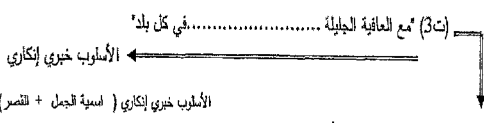
(غ.د)جملة فعلية ← مصدرة بأداة التحقيق "قد" + مقيدة بمفعول به تقدم عن المسند إليه + جملة اعتراضية (فعلية).

(غ.هـ)جملة فعلية ← المسند إليه معرف بالإضمار + شبه جملة جار ومجرور( 1) + شبه جملة جار ومجرور( 2) في محل نصب حال مقيدة بعطف النسق.

"وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة، قد ملأ الله قلوبهم رعبا، فليس لهم معقل يلجؤون إليه، ولا مهرب يتقون به، قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم، مع رفاغة العيش، واستفاضة المال، وتتابع البعوث، وسد الثغور بإذن الله".

الأسلوب خبري إنكاري

( قد + القصر) + الوصل البلاغي بـ"و" و "ف" ( اتفاق في الخبرية وتناسب في التقييد) والفصل فيما دون ذلك ( تباين الجمل في الفعلية والاسمية والتقييد والإطلاق) + تقييد الجمل ⇐ [ (ج1) المسند إليه (المبتدأ) معرف بالإضمار+ المسند خبر مفرد + شبه جملة جار ومجرور + تقييد بالنعت + شبه جملة جار ومجرور] + [ (ج 2) مصدرة بأداة التحقيق "قد" + مقيدة بالمفعول به ] + [ (ج3) مقيدة بـ "أصبح"، وبأداة النفي "لم"، وبالنعت، وبالرفع على البدلية بعد أداة الاستثناء "إلا" + اسم أصبح (المسند إليه) نكرة موصوفة + خبر أصبح شبه جملة جار ومجرور( أفاد النفي والاستثناء المتصل القصر) ] + [ (ج 4) المسند إليه (المبتدأ) نكرة موصوفة + تقييد بالنعت + شبه جملة جار ومجرور + تقييد بعطف النسق + مسند متعدد (الخبر جمل فعلية اسمية) ] + [ (ج 5) المسند إليه (المبتدأ) نكرة موصوفة + تقييد بالنعت (جملة فعلية ← المسند إليه معرف بالإضمار + تقييد بالمفعول به وعطف النسق + شبه جملة جار ومجرور مقيدة بعطف النسق) +المسند متعدد ].




(ج1) جملة اسمية خبرها شبه جملة":

"مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام".

(ج2) جملة اسمية مصدرة "بالواو" في محل نصب حال:

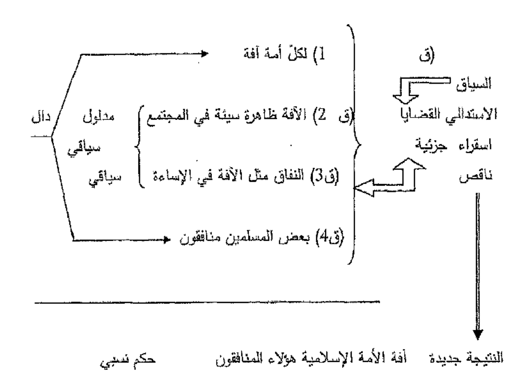
"والله المحمود، مع الفتوح العظام في كل بلد".

الأسلوب خبري إنكاري ( اسمية الجمل + القصر) + تقييد الجمل ⇔[ (ج1) المسند شبه جملة جار ومجرور مقيدة بالنعت تقدمت على المسند إليه ( أفاد التقييد بالنعت توضيح المنعوت بما أنه معرفة، كما أفاد تقديم المسند قصره على المسند إليه وتخصيصه به) + المسند إليه معرف بالموصولية ( المبتدأ ← التي) + صلة الموصول جملة اسمية لا محل لها من الإعراب منسوخة بـ"كان" اسمها معرف بالإشارة (هذه)، مقيدة بأداة النفي "لم"، والبدل (الأمة)، والمفعول فيه (مذ ← ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب مفعول فيه وهو مضاف، والجملة الفعلية "كان - فعل تام بمعنى حدث - الإسلام" في محل جر مضاف إليه )، خبرها شبه جملة جار ومجرور (على أحسن منها) ] + المسند معرف بـ "ال" ( أفاد تعريف المسند بـ"ال" القصر على المسند إليه حقيقة ← قصر الحمد لله وحده ) + شبه جملة جار و مجرور مقيدة بالنعت ].

## 2 - في خطاب عثمان بن عفّان :

إنّ النموذج الخطابي الثاني لـ "عثمان بن عفان" – رضي الله عنه – : "**لكل أمة آفة، ولكل نعمة عاهة، وإن آفة هذه الأمة عيّابون طعانون، يظهرون لكم ما تحبون، ويسرون ما تكرهون، طغام مثل النعام، يتبعون أول ناعق، لقد نقموا عليّ ما نقموه على عمر، ولكن قمعهم عمر و وقمهم. والله إني لأقرب ناصرا وأعز نفرا. فضل**

**فضل من مالي، فما لي لا أفعل في الفضل ما أشاء»**[1] استقراء ناقص، بما أن الخطيب لجأ إلى مثال جزئي استدل من خلاله على ثبوت حكم في إحدى المقدمات لثبوته في مقدمة أخرى، بناء على وجه شبه (علة) مشترك بينهما، ومن ثم حدث تعميم الحكم في النتيجة، وما يلي يبين كيف تم ذلك:




## - المخطط رقم27-

إذا كان عثمان – رضي الله عنه – قد اشتهر بالحياء واللين، فإن خطبه تطورت بتطور الأحداث التي أحاطت به، فبعد أن كان يعظ برفق ها هو وقد غلب عليه الغضب أخذ يقارع المسلمين الحجة بالحجة، ويتمثل لهم بسواهم ويتهددهم ويتوعدهم بعدما أحدقوا به، وبالتالي حينما انفعل بالأحداث التي ألمت به في أواخر

[1]- الجاحظ ، البيان والتبيين، المجلد الأول، 251/1.

أيامه تجلت قدرته الخطابية[1]، بأن ألقى خطابه معضودا بظواهر بلاغية أسهمت في إرساء دعائم البنية المنطقية، وكان علم المعاني أول معبر له، حيث أسهم الأسلوب الخبري في تأكيد فائدة الخبر ولازم الفائدة معا بما أن الخطاب موجه إلى فئتين، فأما الفئة الأولى فهي من ألقي إليها الكلام لغرض "فائدة الخبر"، وهو غرض يقوم في الأصل على أساس أن من يلقى إليه الخبر، أو من يوجه إليه الحديث، يجهل حكمه أي مضمونه فيراد إعلامه أو تعريفه به، وأما الفئة الثانية فهي التي ألقي إليها الكلام لغرض "لازم الفائدة"، وهو غرض يقصد الخطيب من ورائه أن يفيد المتلقي أنه – أي المتكلم – عالم بحكم الخبر ومضمونه، فالخطيب في كلامه لا يقصد أن يفيد هذا المخاطب شيئا مما تضمنه الكلام من الأحكام التي أسندها إليه، لأن كل حكم من تلك الأحكام المسندة، يعلمه هذا المخاطب عن نفسه قبل أن يعلمه المتكلم[2]، وعليه ألقى الخطيب خطابه مؤكدا حتى لا يتسنى لهذه الفئة الإنكار أو التشكيك فيما ألحق بها من أحكام.

و أيضا قد أنزل الخطيب في موقفه هذا الفئة الأولى – خالية الذهن – منزلة المتردد الشاك على اعتبار أن المتكلم قد ينزل خالي الذهن منزلة المتردد الشاك إذا تقدم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر ومضمونه، وفي ذلك خروج بالخبر عن مقتضى الظاهر.

كما أن المتأمل للبنية المنطقية يجد المتلقي ضمن هذه الفئة خالي الذهن من الحكم الآتي: "وإن آفة هذه الأمة عيابون طعانون، يظهرون لكم ما تحبون، ويسرون ما تكرهون، طغام مثل النعام، يتبعون أول ناعق"، ولكن هذا الحكم لما كان مسبوقا بجملة (لكل أمة آفة) مضمونها يشير إلى أن الأمة الإسلامية محكوم عليها بشيء غير محبوب، ولا مرغوب فيه، أضحى المتلقي متطلعا إلى نوع هذا الحكم، الذي يجهله ولا يدري حقيقته، ومن أجل ذلك أنزل هذا المتلقي منزلة المتردد الشاك، وألقي إليه الخبر مؤكدا

---

[1]- نايف معروف ، الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، ص50.

[2]- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص46، 47.

بأكثر من مؤكد استحسانا[1]، وتم ذلك من خلال تقييد التركيب بـ: أداة النسخ "إنّ" التي تفيد التوكيد، كما يمكن أن يكون لخبرها أثر في هذا التوكيد بما أنه ورد على وزن صيغة المبالغة (فعال) وهي صيغة تدل على كثرة ومبالغة في المعنى[2].

ضف إلى هذا التقييد التقييد بالنعت الذي ورد جملة فعلية أفادت تخصيص المنعوت بصفة تميزه بما أنه نكرة، ومن ثم تكشف عن حقيقته التي أكدت ثبوت حكم الإساءة عليه[3].

إضافة إلى أن الغرض من الإتيان بالخبر جملة فعلية يكون لتقوية الحكم وتأكيده بتكرار الإسناد مرتين[4]، وهذا ما حققه الخبر في التركيب الآتي: "طغام مثل النعام، يتبعون أول ناعق"، وكان لإنشاء القسم المقدر بدخول "اللام" على "قد" في قوله: "لقد نقموا عليّ ما نقموه على عمر، ولكن قمعهم عمر و وقمهم" أثر في تأكيد الخبر وإن كان حقيقة تاريخية.

أيضا كان للإتيان بجمل التركيب جملا اسمية أثر في جلاء معنى التأكيد اعتبارا من أن هذه الجمل تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء على سبيل اليقين لا على سبيل الاحتمال و التخمين[5].

وبما أن هذه الجمل قد وردت متفقة في الخبرية متناسبة في الاسمية والمعنى فإن عطف إحداها على الأخرى بحرف "الواو" كان وصلا بلاغيا، وإن كان وصل الجملتين الفعليتين المقيدتين بالمفعول به غرضه إشراك الجملة الثانية في الحكم الإعرابي الذي لحق الجملة الأولى، على حين تحقق الفصل البلاغي بين الجملة الاسمية المقيدة "بإنّ" والجملة الفعلية المقيدة بالمفعول به لكمال الاتصال بينهما، أما

---

1- نفسه ، ص57، 58.

2- محمود مطرجي ، في الصرف وتطبيقاته ، ص169.

3- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص143.

4- نفسه ، ص137.

5- نفسه ، ص58، 66 ؛ إبراهيم عبود السامرائي ، الأساليب الإنشائية في العربية ، ص137.

الفصل المتحقق في قول الخطيب: "يسرون ما تكرهون، طغام مثل النعام، يتبعون أول ناعق، لقد نقموا علي ما نقموه على عمر" فكان سببه كمال الانقطاع[1].

وفيما عدا هذه الأساليب الخبرية فإن الأساليب الإنشائية الواردة قد خرجت عن معناها الأصلي، حيث أفاد القسم (والله) في سياقه الجديد، وبمؤازرة القرائن اللغوية (صيغة اسم التفضيل: أقرب، أعز، والتقييد بالتمييز) [2] غرض "التهديد" وإن لم يبلغ ذلك دلالته الوظيفية (التأكيد)، أما الاستفهام في خاتمة البنية النصية فكان غرضه "الوعيد"[3].

وبناء على الأساليب الخبرية والإنشائية تم تركيب بنية لغوية سلك الخطيب من خلالها مسلك البلغاء، فالبليغ على حسب مقتضيات الأحوال والمقامات قد يسلك في أداء معانيه تارة طريق الإيجاز، وتارة طريق الإطناب، وتارة طريقا وسطا هو طريق المساواة[4]، وبمراعاة الخطيب لمقتضى الحال والمقام ألقى خطابه مطنبا في غير حشو ولا تطويل، حيث كان لذكر الخاص بعد العام بقول الخطيب: "لكل أمة آفة...، وإن آفة هذه الأمة عيابون طعانون" غرض بلاغي تمثل في التنبيه والتنويه لأمر الخاص بذكره مرتين[5]، أما إطناب الاحتراس بقوله: "لقد نقموا علي ما نقموه على عمر، ولكن قمعهم عمر و وقمهم" فكان غرضه تخليص الخطيب نفسه مما قد يلحقه من لوم، بما أن الاحتراس في البلاغة: إطناب يكون حينما يأتي المتكلم بمعنى يمكن أن يدخل عليه فيه لوم، فيتفطن المتكلم لذلك ويأتي بما يخلصه منه، سواء أكان في وسط الكلام أو آخره[6]، وعثمان حاول أن يثبت الإساءة من هؤلاء المنافقين، ولكنه تفطن إلى أن المتلقي قد يلومه اعتقادا منه أن الخليفة قد تحامل على هذه الفئة بهتانا وظلما بغير

---

1- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص165.

2- محمود مطرجي ، في الصرف وتطبيقاته ، ص188 ؛ إياد عبد المجيد إبراهيم ، في النحو العربي ، ص165، 167.

3- إبراهيم عبود السامرائي ، الأساليب الإنشائية في العربية ، ص34، 55، 135.

4- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص194.

5- نفسه، ص183.

6- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص181.

وجه حق، فلجأ إلى ما مضى من أحداث التاريخ، واستحضر منه ما يدفع به اللوم عن نفسه من جهة، والسبيل إلى الخلاص من هذه الآفة من جهة أخرى[1].

إضافة إلى إطناب التتميم الذي وقع في فاتحة البنية النصية: لكل أمة آفة ولكل نعمة عاهة، فعبارة "لكل نعمة عاهة" لا يمكن الاستغناء عنها لأن الكلام من دونها- وإن زاد المعنى بها- يفقد انسجامه الموسيقي وتناسبه الصوتي[2].

والبنية المنطقية بعامة تميزت بجرسها أكثر من تميزها بدلالاتها، وذلك أن التكرار الصوتي والصرفي وحتى الدلالي أدّى وظيفتين أساستين هما: وظيفة صوتية مولدة للإيقاع، ووظيفة دلالية مؤكدة للمعنى ومبالغة فيه[3]، حيث أدت المحسنات البديعية: الموازنة في فاتحة البنية بين الوحدتين اللغويتين (آفة / عاهة)، والسجع بناء على تكرار الوحدتين الصوتيتين ( ن/ ر) في أواخر الوحدات اللغوية ( طعانون – تحبون – تكرهون / ناصرا – نفرا ) على الترتيب، والجناس بين (مالي / ما لي) إلى عقد تناغم صوتي ضمن البنية النصية، وأما الازدواج – وإضافة إلى دلالته الموسيقية التي تلفت الانتباه – فإنه أدى بناء على تكرار التراكيب من خلال تشاكل صيغها الصرفية – ذات المعاني المعجمية المحددة – إلى توليد حقل دلالي أسهم في ضبط المعاني السياقية والتأكيد عليها[4].

وإن من المعلوم أن علاقة علم المعاني بعلم البيان علاقة تكامل لا تناف وتخالف[5]، وعليه كان التشبيه: "طغام مثل النعام يتبعون أول ناعق" معبرا ثانيا عبر من خلاله الخطيب إلى المتلقي ناقلا إليه المعنى في صورة بيانية زادته وضوحا وأكسبته

---

1- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 568/2.

2- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص182.

3- مليكة بوراوي ، " بلاغة التكرار في مراثي الخنساء "، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 09 ، مارس 2006 م ، ص198.

4- عبد الرحمن تبرماسين ، " التوازنات الصوتية – التوازي، البديع، التكرار- " ، ص109.

5- شكري المبخوت ، الاستدلال البلاغي ، ص80.

تأكيدا بإشراكها أمرا لأمر آخر في المعنى بأداة معلومة بهدف الإبانة والإفصاح[1]، وبالتالي كان الغرض البلاغي من التشبيه المرسل (ثبوت أداة التشبيه) المفصل (وجه الشبه) في النموذج الخطابي هو تقرير حال المشبه بتثبيتها في نفس السامع بما أن ما أسند إلى المشبه – قبل التشبيه – كان يحتاج زيادة في التأكيد والإيضاح[2].

وإن كان للتشبيه أثر في زيادة تأكيد حكم الخبر وإيضاح المعنى، فإن علم البديع قد أوعز الوظيفة ذاتها إلى مظهر بلاغي يؤتى فيه بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، وتحقق هذا حين جمع الخطيب بين أربعة أضداد متقابلة اثنين اثنين[3] بقوله: "يظهرون لكم ما تحبون، ويسرون ما تكرهون".

أيضا، كان لعلم البيان في خاتمة البنية أثر في بلاغة المعنى، حيث صور الخطيب معاني السخط على هؤلاء المنافقين وعدم الرضى عنهم، من خلال صورتين بيانيتين، فأما الأولى فمثلها المجاز العقلي بقوله: "فضل فضل من مالي" وذلك بأن جعل ما هو مصدر في المعنى (الفضل) فاعلا لفظيا للفعل (فضل) على سبيل المبالغة والمجاز، بما أن الإسناد المجازي يكون إلى سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره، أو بإسناد المبني للفاعل إلى المفعول أو المبني للمفعول إلى الفاعل، علما أن المجاز العقلي مجاز لا يكون إلا في التركيب لأنه يتعلق بالإسناد أي بإسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي[4]. والمجاز في هذه البنية لم يتعلق بذوات الكلم وأنفس الألفاظ، بل تعلق بإسناد الفعل إلى غير ما هو له، فالفعل (فضل) لم يسند إلى فاعله الحقيقي وإنما أسند إلى المصدر( الفضل ⇐ علاقة المجاز العقلي المصدرية )، وبالتالي تكون القرينة المانعة من إرادة الإسناد الحقيقي استحالة

---

[1]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص219.

[2]- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص307.

[3]- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص291.

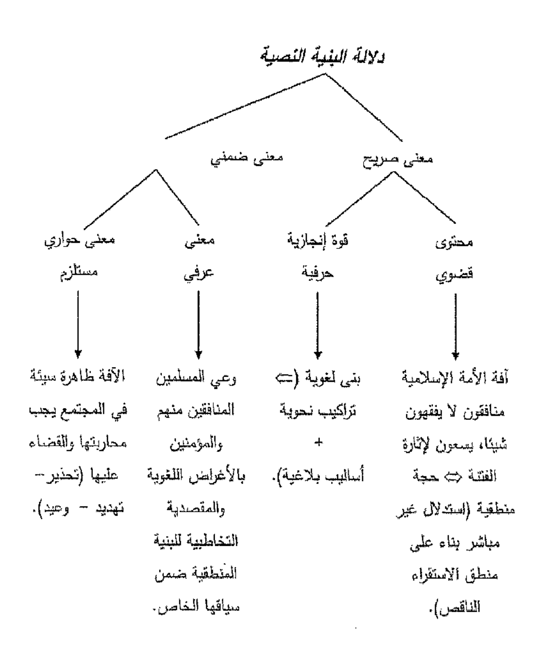
[4]- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص341 ؛ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص196.

إسناد الفعل إلى الفاعل بما أن الفاعل "الفضل" يرادف الدال اللفظي "الإحسان"[1]، وما مدلول ذلك إلا سلوك اجتماعي تحده تصرفات أخلاقية مختلفة ومتعددة.

على أن المجاز العقلي ورد ضمن تصوير بياني أكبر، حيث نقل قول الخطيب: "فضل فضل من مالي، فما لي لا أفعل في الفضل ما أشاء" معنى قريبا وآخر بعيدا على سبيل الكناية والتعريض، اقتضى أن يكون تساهل الخليفة في تعامله مع هذه الفئة وعدم تشدده معهم هو سبب قوتهم وعزتهم، ومن ثم لؤمهم وعصيانهم[2].

انطلاقا مما تم تحليله، اتضح أنّ للأساليب اللغوية أغرضا بلاغية ذات أبعاد تداولية استدعاها سياق الموقف، وإن لم يحدث خرق لأي مبدأ من مبادئ التعاون، وما يلي يلخص ذلك:

[1]- المعجم العربي الأساسي ، ص940.
[2]- ينظر: أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص287، 288، 289.




- المخطط رقم 28 -

و يمكن تفصيل معاني القوة الإنجازية الحرفية حسب ما يأتي:

قوة إنجازية حرفية ← [جملة اسمية⇐المسند شبه جملة جار ومجرور تقدم على المسند إليه (نكرة محضة)] + حرف عطف "و" (وصل بلاغي) + [جملة اسمية ⇐ المسند شبه جملة جار ومجرور تقدم على المسند إليه (نكرة محضة)] + حرف عطف "و" (وصل بلاغي) + [جملة اسمية ⇐ مقيدة بأداة النسخ "إنّ" + المسند إليه معرف بالإضافة + المسند(1) + المسند(2) + صفة (⇐ جملة فعلية(1) ← المسند + المسند إليه معرف بالإضمار + جار ومجرور+ اسم موصول (في محل نصب مفعول به) + صلة موصول جملة فعلية + حرف عطف "و" (وصل بلاغي) + جملة فعلية(2) ← المسند + المسند إليه معرف بالإضمار + اسم موصول (في محل نصب مفعول به) + صلة موصول جملة فعلية)] + [جملة اسمية⇐المسند إليه نكرة موصوفة + صفة ( ⇐ شبه جملة جار ومجرور) + المسند (⇐ جملة فعلية ← المسند + المسند إليه معرف بالإضمار + التقييد بالمفعول به (مضاف) + مضاف إليه)] + [جملة فعلية ⇐ مصدرة بـ "لقد" لإنشاء القسم (قسم مقدر) + مسند + مسند إليه معرف بالإضمار + شبه جمة جار ومجرور + اسم موصول (ما) في محل نصب مفعول به + صلة الموصول (جملة فعلية ⇐ مسند + مسند إليه معرف بالإضمار + شبه جملة جار ومجرور)] + [جملة فعلية مقيدة بالمفعول به وعطف النسق ⇐ حرف ابتداء "الواو" + حرف الابتداء والاستدراك "لكنّ" + مسند + مفعول به مقدم (ضمير متصل) + مسند إليه + حرف عطف "الواو" + جملة فعلية (⇐ مسند + مفعول به (ضمير متصل) + مسند إليه معرف بالإضمار– محذوف تقديره "هو"–)] + [أسلوب قسم (قسم ظاهر) ⇐ جملة القسم (اسمية ← مسند إليه محذوف وجوبا تقديره "قسمي" + مسند شبه جملة "والله") + جملة جواب القسم (اسمية ← التقييد بأداة النسخ "إنّ" + مسند إليه (اسم إن) معرف بالإضمار+ "لام التوكيد" + مسند (خبر إن) + التقييد بالتمييز + حرف العطف "الواو" ← التقييد بعطف النسق – *أعز نفرا–)] + [جملة فعلية ⇐ مسند + مسند إليه + شبه جملة جار ومجرور] + حرف*

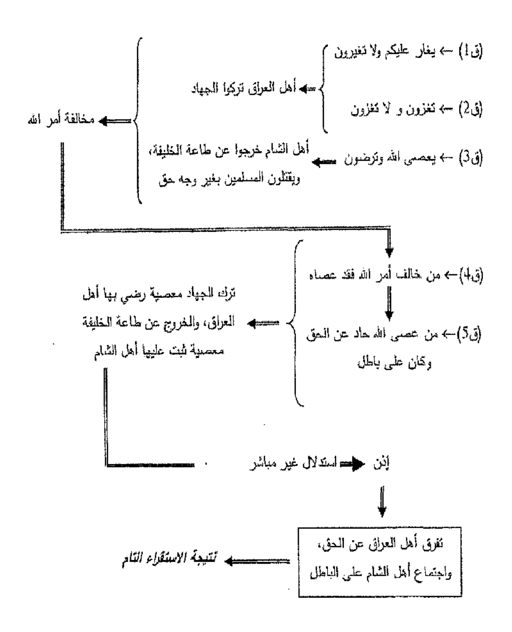
عطف "الفاء" (وصل بلاغي) + [أسلوب استفهام ⇐ المسند إليه معرف بالإضافة (ما ← أداة استفهام + لي ← شبه جملة جار ومجرور) + مسند (جملة فعلية مقيدة بالنفي والمفعول به ⇐ أداة النفي "لا" + مسند + مسند إليه معرف بالإضمار (محذوف تقديره "أنا") + شبه جملة جار ومجرور + اسم موصول في محل نصب مفعول به + صلة موصول جملة فعلية – مسند + مسند إليه معرف بالإضمار ← محذوف تقديره "أنا"–)].

## منطق الاستقراء وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب:

### منطق الاستقراء التّام:

إنّ قول "علي بن أبي طالب" – رضي الله عنه – من النموذج الخطابي الثاني: "**فيا عجبا! عجبا والله يميت القلب، ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا، حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون**"[1] استقراء تام، بما أن الاستدلال تم بناء على استقراء كل الحالات الجزئية التي أسهمت في بناء نتيجة أثبتت حكما عاما يشمل جميع الأفراد المعنيين بها، والآتي ذكره يبين ذلك:

[1]- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 46/1.




- المخطط رقم 29 -

قال عليه الصلاة والسلام : "**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جنة**

**يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا وإن قال بغيره فإن عليه منه"**[1].

بناء عليه، يتضح أن البنية المنطقية خطاب موجه إلى متلق مذنب في حق نفسه، فلم يملك الخطيب من أمره شيئا إلا أن صب جام غضبه وسخطه عليه، عبر زفرات مثقلة بالألم والمرارة وخيبة الأمل فيه من جراء تبعات المعصية المتكررة، مقيما عليه الحجة في ذلك، ولما كان مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزءا منها، كانت العلاقة بين الكلام الاستدلالي والبلاغة علاقة جزء بكل، بما أن البلاغة تقوم على دراسة خواص تراكيب الكلام (علم المعاني)، وتنظر في صياغات المعاني خفاء ووضوحا (علم البيان)، دون أن تنسى في خضم ذلك تزيين الكلام بإيداع ما يورثه القبول والاستحسان (علم البديع)[2].

وبالتالي، وبما أن المتكلم خطيب مفوه لا يخفى عنه ذلك، فقد عمد إلى بلورة ما يجول في خاطره من خلال أساليب إنشائية تعددت أغراضها البلاغية*، حيث كان التعجب بالنداء فاتحة البنية النصية، والتعجب في اللغة العربية يجري على أساليب كثيرة منها ما هو قياسي ومنها ما هو سماعي، ومن الأساليب السماعية التعجب بالنداء[3]، ولما كان النداء في اصطلاح البلاغيين هو توجيه الدعوة إلى المخاطب وتنبيهه للإصغاء، أو طلب إقباله بتوظيف الحرف "يا" أو إحدى أخواتها[4]، فإن الخطيب في

---

[1]- الحسين بن المبارك ، مختصر صحيح البخاري ، ص317.

[2]- شكري المبخوت ، الاستدلال البلاغي ، ص80،81،94.

*- الإنشاء بعامة هو: الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه، وينقسم إلى قسمين هما: الإنشاء الطلبي وهو ما تأخر وجود معناه عن وجود لفظه (أو ما يسبق وجود لفظه وجود معناه)، أما الإنشاء غير الطلبي فهو ما يقترن فيه الوجودان، بمعنى أن يتحقق وجود معناه في الوقت الذي يتحقق فيه وجود لفظه أي في الوقت الذي يتم فيه التلفظ به، والتعجب والقسم من الأساليب الإنشائية غير الطلبية، والإنشاء غير الطلبي ليس من مباحث علم المعاني، وذلك لأن أكثر أنواعه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء من ناحية، ولقلة الأغراض البلاغية التي تتعلق به من ناحية أخرى (عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع ، ص65 - 70) ، على حين كان لأسلوبي التعجب والقسم في خطاب"علي" أغراض بلاغية وإن قلت.

[3]- إبراهيم عبود السامرائي ، الأساليب الإنشائية في العربية ، ص125.

[4]- نفسه ، ص61.

موقفه هذا قد استعمل صيغة النداء هذه في غير ما وضعت له، لأنه خرج بها عن معناها الأصلي إلى معنى "التعجب"[1]، ومن المعلوم أن التعجب شعور داخلي تنفعل به النفس حين تستعظم أمرا يكون لا مثيل له، أو يكون نادر الوقوع، يكون سببه خفيا غير معروف[2]، وذات الشعور أدى بالخطيب إلى التعجب كل العجب من الاجتماع على الباطل والتفرق عن الحق، فهو عجب يميت القلب ويجلب الهم ويكثر الأحزان، ولم يكن القسم في تأكيده هذا الشعور إلا ليبين مبلغ الحسرة من نفس الخطيب على حال رعيته – بما أنه قسم غير استعطافي جيء به لتوكيد معنى جملة خبرية وتقوية المراد منها[3]–، وما حال الرعية تلك إلا حال جرهم إليها عزوفهم عن الجهاد ورضاهم بالذل والمهانة، مهانة ألحقها بهم من ليس هم أعظم مكانة منهم، بل هم عصاة خرجوا عن طاعة الله ترفّع الخطيب عنهم بأن صان لسانه عن ذكرهم تحقيرا لهم بقوله:"عجبا(...) من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم" وأيضا بقوله:" حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون، و تغزون،ولا تغزون، ويعصى الله وترضون"، حيث اكتفى بالإحالة إليهم من خلال اسم الإشارة "هؤلاء"، وببناء الأفعال للمجهول وحذف فاعلها "يرمى، يغار، تغزون، يعصى" على الترتيب[4].

ومن ثم كان دعاء* الخطيب على رعيته في قوله: "فقبحا لكم وترحا" غرضه الاستنكار، بما أن الدعاء أسلوب إنشائي طلبي ليس له صيغ قياسية، فهو طلب

---

[1]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص90.

[2]- إبراهيم عبود السامرائي ، الأساليب الإنشائية في العربية ، ص125.

[3]- صبحي عمر شو ، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم ، ص96.

[4]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص163.

*- يرى بعض البلاغيين أن "الدعاء" غرض بلاغي من أغراض أسلوب الأمر، بما انه (الدعاء) طلب على سبيل الاستغاثة والعون والتضرع والعفو والرحمة وما اشبه ذلك، يكون بكل صيغة للأمر يخاطب بها الأدنى من هو أعلى منه منزلة وشأنا(عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص73).

حصول أمر محبوب أو مكروه قد يتم بأية جملة تؤدي المقصود، وقد يخرج عن هذا المعنى الأصلي فتتعدد أغراضه البلاغية تبعا لتباين السياقات التي يرد فيها[1].

وإذا علمنا أن الإطناب - عند بعضهم - أرجح من الإيجاز، لما فيه من إفصاح وإبانة وتأكيد، فإن المنطق إنما هو البيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع والشفاء، والشفاء لا يقع إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشد إحاطة بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء[2]، وبالتالي يكون الاستقصاء في كلام الخطيب قد بلغ مداه بما أنه استقصاء جنح إلى استدلال منطقي من جهة، وإلى إطناب بلاغي من جهة أخرى، فقد أطنب الخطيب معترضا في موقفه هذا حين قال: "عجبا- والله - يميت القلب ويجلب الهم"، لأن إطناب الاعتراض هو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لفائدة غير دفع الإبهام وإنما لغرض يقصد إليه المتكلم[3]، وكما سبق بيانه أن غرض الخطيب من القسم وقد ورد جملة اعتراضية هو تأكيده على فداحة جرم رعيته. أما الإطناب في قوله: "عجبا(...) من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم(...) حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون" فقد ورد بالإيضاح بعد الإبهام لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين، مرة على سبيل الإبهام والإجمال (عجبا...حقكم)، ومرة على سبيل التفصيل والإيضاح(حين صرتم...ترضون) [4]. وأما قوله: "فقبحا لكم وترحا، حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون" فقد ضم الإطناب تذييلا، وهو تذييل جرى مجرى المثل بتعقيب الجملة الاسمية(حين صرتم غرضا يرمى) بجمل فعلية تشتمل على معناها (يغار عليكم...ترضون) للتوكيد

---

[1]- إبراهيم عبود السامرائي ، الأساليب الإنشائية في العربية ، ص101 ؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، هامش ص70.

[2]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص206.

[3]- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية - علم المعاني،البيان،البديع - ، ص187،188.

[4]- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص176،177.

والبيان، مع أن كل جملة مستقلة بمعناها، لا يتوقف فهمها على فهم ما قبلها[1]، وبالتالي كان كمال الاتصال الدلالي – التوكيد والبيان- بين الجملة الاسمية والجمل الفعلية التي تلتها موجبا للفصل بينها،و إن كان الفصل قد تم أيضا حتى لا تأخذ الجمل الفعلية المتعاقبة الحكم الإعرابي للجملة الفعلية الواقعة صفة لخبر"صار"، بما أنها جمل تم الوصل فيما بينها بموجب إشراكها في الحكم الإعرابي[2]، وهو ذات السبب الذي تم من خلاله الوصل بين الجملتين الفعليتين (يميت القلب، ويجلب الهم).

وعليه، فإن الإطناب البلاغي بناء على ما استدعاه من اعتراض وإيضاح وبيان وتوكيد قد ميز البنية النصية – بعامة – بانسجام وحداتها التركيبية واتساق معانيها السياقية من خلال تراكيب نحوية تم الوصل فيما بينها حينا والفصل حينا آخر، فأدى ذلك إضافة إلى النظر في الموافقات بين التراكيب النحوية بمقتضى الحال، إلى إيراد الكلام متضمنا لخصوصيات تداولية حققت مقاصد الخطيب في مقامه هذا، وضمنت تناسق الخطاب وترابط بنياته اللغوية وتفاعلها عبر العصور[3] .

و زيادة على ذلك، فإن التصوير البياني الذي احتوته البنية النصية قد ميزها باتساق دلالي عمل على إخراج المعنى وبيان المقصود بشكل فني، حيث كان لقول الخطيب:"يميت القلب، ويجلب الهم"على وجه المجاز لا على وجه الحقيقة، أثر في بلاغة المعنى، علما أن المجاز "مجاز مرسل مفرد" يجيء في اللفظ المفرد باستعمال الكلمة لغير ما وضعت له أصلا لعلاقة – غير المشابهة – مع قرينة تمنع من إيراد المعنى الأصلي[4]، وسمي مرسلا إما لأنه لم يقيد بعلاقة المشابهة، أو لأن له علاقات شتى[5]، وإذا كانت العلاقة هي الأمر الذي يقع به الارتباط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فيصح بذلك الانتقال من الأول إلى الثاني، فإن القرينة هي الأمر الذي يصرف الذهن عن

---

[1]- نفسه ، ص180،179.

[2]- نفسه ، ص145،146،148.

[3]- شكري المبخوت ، الاستدلال البلاغي ، ص130.

[4]- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص231،233.

[5] – عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص337.

المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي[1]، وتكون إما عقلية ، أو مقامية ، أو مقالية (لفظية/ معنوية) [2]، لذلك كان التركيب الفعلي مجازا مرسلا مفردا بما أن الخطيب استعمل المفردتين (يميت) و(يجلب) لغير المعنى الذي وضعتا له أصلا[3]، فهو لا يقصد بالفعل "يميت" حدث الموت حقيقة، ولا بالفعل "يجلب" حدث المجيء بشيء من موضع إلى آخر، وذلك لقرينة مانعة هي أن الموت لا يصيب القلب، وإنما توقف القلب عن الخفقان هو ما يسبب موت الإنسان(قرينة عقلية)، وأن الهم بما أنه كمد وحزن كامن في النفس[4]، فهو يثار ولا يجلب (قرينة مقالية معنوية)، فكان تقييد حدث الموت بالإنسان (الكائن الحي)، وتقييد دال الفعل (يجلب) بالمدلول المعجمي(نقل شيء من موضع إلى موضع) علاقة صح بها الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، وما عمد الخطيب في كلامه إلى الجزء (القلب) دون الكل (الإنسان)، وإلى الأثر(الهم) دون المؤثر(المصائب)، إلا ليصرف الذهن عن المعنى الحقيقي نهائيا مع المبالغة في المعنى المجازي الذي صور من خلاله هول الخطب الذي هو فيه.

ضف إلى ذلك، أن التركيب الفعلي وإن كان خبرا (أسلوبا خبريا) في أصل وضعه فإنه في هذا المقام استعمل في إنشاء التحسر والأسى على حال المسلمين، والقرينة على ذلك تتمة الكلام (قرينة مقالية بعدية) بقول الخطيب:"من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم".

و أيضا التركيب الاسمي (صرتم غرضا يرمى...ترضون) أصل وضعه هو أسلوب خبري، إلا أنه في هذا الموقف استعمل في إنشاء الذم والتوبيخ، فالخطيب يذم من لا يحركون ساكنا بقعودهم متقاعسين غير مبالين رغم ما حل بهم، موبخا إياهم على تضييعهم حقهم بتفريطهم في الجهاد، فلعل ذلك يشحذ هممهم ويحفظ لهم ماء

---

[1]- نفسه ، ص350.

[2]- خديجة محمد الصافي ، أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق ، ص38،37.

[3] - المنجد في اللغة والأعلام ، 1 / 95، 778.

[4] - نفسه ، 1 / 872.

الوجه وعزة النفس بإثارة ما بقي فيهم من نخوة وحمية، والقرينة على ذلك قرينتان، إحداها مقامية (مقام الخطاب) والأخرى مقالية (تشبيه + طباق)، فأما الأولى فالخطيب لم يرد بكلامه فائدة الخبر بما أن المتلقين أعلم منه بحالهم، ولا لازم الفائدة بما أن الحالة التي هم عليها لا تخفى على أحد، فكيف تخفى عليه وهو خليفتهم، وأما الثانية فقول الخطيب:"صرتم غرضا يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون"، حيث نقل التركيب معنى في صورة جعل أهل العراق (مشبه) من خلالها بمنزلة الهدف، يرميهم الرماة وهم نصب لا يدفعون البلاء عن أنفسهم، مع العلم أن "الغرض" (مشبه به) على وجه الحقيقة هو ما ينصب ليرمى بالسهام ونحوها (وجه شبه1) من دون أن يحرك ساكنا (وجه شبه2) [1]، وفي ذلك خروج من مجرد التشبيه (تمثيل مؤكد) [2]، إلى ذم صريح، إضافة إلى أن طباق السلب بناء على تقييد التركيب بالنفي (يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون) قد أحال إلى حقل دلالي ضدي ضم صفات الجرأة والإقدام في مقابل الخنوع والخضوع[3]، وليس ذلك إلا توبيخا جليا أراد من خلاله الخطيب إثارة حمية من لم يحفظوا ماء الوجه وعزة النفس، بناء على أنه لم يقصد من جرائه بيان بسالة العدو وشجاعته.

و في هذه الحالة لابد من الإشارة إلى أنّ كلا التركيبين الفعلي (يميت...الهم) والاسمي (صرتم غرضا...ترضون) يضم صورة بيانية تصنف ضمن المجاز المرسل المركب، بما أن المجاز المرسل المركب هو استعمال التركيب في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، وهو مجاز يقع في المركبات الخبرية المستعملة في الإنشاء لأغراض كثيرة، ويقع أيضا في المركبات الإنشائية كالأمر والنهي والاستفهام التي خرجت عن معانيها الأصلية واستعملت في معان أخرى[4].

---

[1]- السابق ، 1 / 548 ؛ الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ج1 ، هامش ص46.

[2]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص234،237.

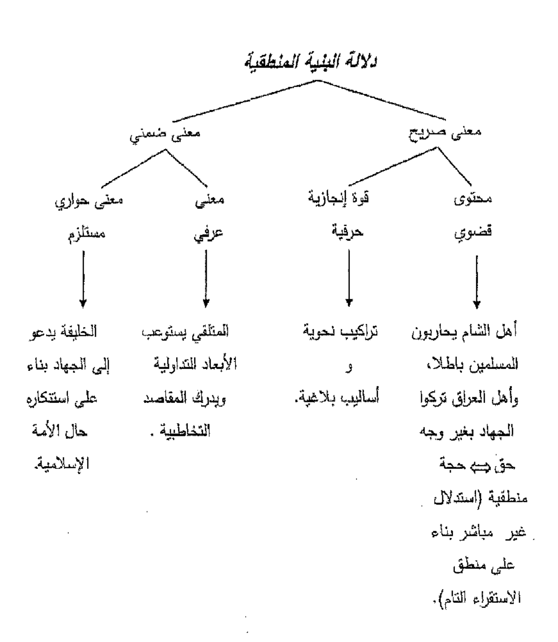
[3]- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية - علم المعاني،البيان،البديع - ، ص494،498.

[4] - أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني، والبيان، والبديع ، ص274.

إذا، يترتب على ذلك أن تكون صيغة النداء (يا عجبا)، وأسلوب الدعاء (فقبحا لكم وترحا) في البنية المنطقية مجازا مرسلا مركبا بما أنها مركبات إنشائية خرجت عن معانيها الأصلية، حيث أفادت صيغة النداء التعجب، وقرينة ذلك المنادى (عجبا ← قرينة مقالية لفظية)، أما الدعاء فقد كان غرضه الاستنكار، بناء على قرينة مقالية قبلية (اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم)، فالخطيب لم يدع على وجه الحقيقة، وإنما دعا مستنكرا تفرق رعيته عن الحق ورضاهم بالباطل، على أنّ ما زاد الاستنكار شرعية هو مدلول المقابلة بين الوحدات اللغوية (اجتماع - باطل/ تفرق - حق)[1]، حيث أحال وبشكل واضح إلى ما أصاب الأمة الإسلامية من فرقة وشقاق.

بناء على ما قيل ، يمكن تلخيص التوجيه التداولي للبنية المنطقية حسب نظرية الاستلزام الحواري فيما يلي:

[1] - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص291.




- المخطط رقم 30 -

أمّا توجيه القوة الإنجازية الحرفية فيكون حسب الآتي:

قوة إنجازية حرفية ←جملة فعلية (حذف المسند والسند إليه وجوبا لإنشاء النداء) النداء بـ"يا" + منادى منصوب + توكيد لفظي + جملة اعتراضية (المسند والمسند إليه حذفا وجوبا لإنشاء القسم + جملة جواب القسم محذوفة وجوبا ⟸ القسم بـ"الواو"+ لفظ الجلالة اسم مجرور) + صفة ⟸ جملة فعلية ⟸مسند (فعل مضارع مبني للمجهول) + مسند إليه معرف بالإضمار(نائب فاعل) + مفعول به + وصل بلاغي بحرف العطف "الواو"+ مسند (فعل مضارع) + مسند إليه معرف بالإضمار(فاعل) + مفعول به) + شبه جملة جار ومجرور ⟸حرف جر+ اسم مجرور(مضاف) + مضاف إليه + بدل مجرور+ حرف جر + اسم مجرور( مضاف ) + مضاف إليه ( ضمير متصل) + حرف عطف (الواو) + اسم معطوف(اسم مجرور) + حرف جر+ اسم مجرور(مضاف) + مضاف إليه (ضمير متصل) + استئناف بـ"الفاء" + جملة فعلية(حذف المسند والمسند إليه وجوبا لإنشاء الدعاء⟸ مفعول مطلق(مضاف) + مضاف إليه(شبه جملة جار ومجرور) + حرف عطف(الواو) + اسم معطوف (مفعول مطلق) + حال⟸ (شبه جملة ظرفية ⟸ ظرف زمان + مضاف إليه (جملة اسمية ⟸ مقيدة بفعل ناسخ + مسند إليه(اسم صار) معرف بالإضمار(ضمير متصل) + مسند1(خبر مفرد) + صفة(جملة فعلية ⟸ مسند(فعل مضارع مبني للمجهول) + مسند إليه نائب فاعل) معرف بالإضمار فصل بلاغي ⟸مسند2(جملة فعلية⟸ مسند(فعل مضارع مبني للمجهول) + مسند إليه( شبه جملة جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل) + حال (جملة فعلية⟸ واو الحال + حرف النفي"لا" + مسند (فعل مضارع) + مسند إليه (فاعل ضمير متصل) + وصل بلاغي بحرف العطف"الواو" + مسند3(جملة فعلية ⟸ مسند (فعل مضارع مبني للمجهول) + مسند إليه (نائب فاعل⟸ ضمير متصل) + حال (جملة فعلية ⟸ واو الحال + حرف النفي"لا" + مسند (فعل مضارع) + مسند إليه (فاعل←ضمير متصل) + وصل بلاغي بحرف العطف"الواو" + مسند4 (جملة فعلية ← مسند(فعل مضارع مبني للمجهول) + مسند إليه (نائب فاعل) + حال

(جملة فعلية ⇦ واو الحال + مسند (فعل مضارع + مسند إليه (فاعل⇦ ضمير متصل).

**منطق الاستقراء النّاقص:**

يكون الاستقراء الناقص حاضرا في خطاب "علي بن أبي طالب" - كرّم الله وجهه - بناء على النماذج الخطابية المختارة من خلال نموذجين اثنين هما:

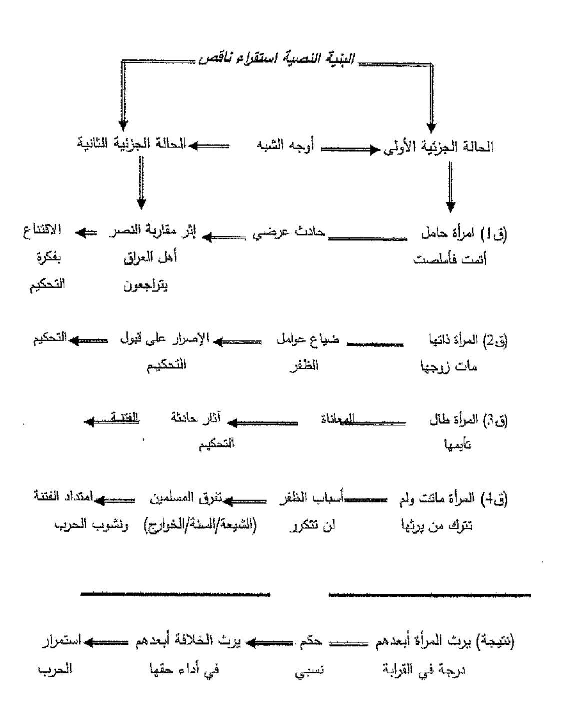
أ- **النّموذج الخطابي الأوّل:** حيث استقى الخطيب من أحكام حالتين جزئيتين حدثتا فعلا مقدمات أسهمت في الاستدلال إلى نتيجة نسبية بناء على وجه شبه قائم بين الحالتين، والبنية النصية الآتية تحيل إلى ذلك بشكل مباشر: **"يا أهل العراق! فإنما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلما أتمت أملصت، ومات قيمها، وطال تأيمها، و ورثها أبعدها"**[1].

ولعل المناسبة المقامية لهذا النموذج الخطابي هي ما فرضت على الخطيب هذا التشبيه بالذات، حيث ألقى "علي" خطبته هذه بعد فترة من حادثة التحكيم، ذاما فيها أهل العراق، لأنهم لما شارفوا استئصال أهل الشام، وبدت لهم علامات الظفر بهم، جنحوا إلى السلم إجابة لطلاب التحكيم، وإن كان قد بيّن لهم أن رفع جيش معاوية المصاحف على أسنة الرماح، يريدون بذلك رد الحكم إلى الله إنما خدعة منهم، فقالوا له: "دعينا إلى كتاب الله ونحن أحق بالإجابة إليه"، فردّ عليهم قائلا: "إنها كلمة حق يراد بها باطل، إنهم ما رفعوها ليرجعوا إلى حكمها، إنهم يعرفونها ولا يعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة، أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا"، لكنهم خالفوه فيما ذهب إليه واختلفوا اختلافا شديدا في الذي يحكمونه عليهم، فوافقهم "علي" – رضي الله عنه – على "أبي موسى الأشعري" مكرها بعدما أعذر في النصيحة لهم[2]، ولما وقع ما كان يخشاه، وقف موقفه هذا وأقام عليهم الحجة فيما حدث لهم حسب الآتي:

---

[1]- الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، 74/1.

[2]- نفسه ، ج1، هامش ص54، 55 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء ، ص140.




- المخطط رقم 31 -

لقد صرح "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه "أسرار البلاغة في علم البيان" بأن للتشبيه أثرا فعالا في توليد معان مختلفة ومتعددة، حيث قال: "فإن كان – التشبيه – (...) ذما كان مسّه أوجع وميسمه ألذع، ووقعه أشد وحده أحد. وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر.(...) وإن كان وعظا كان أشفى للصدر، وأدعى للفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر"[1].

وعليه وإن كان الخطيب متقدما على صاحب القول، فإنه حرص أشد الحرص على أن يكون لخطابه ذات الأثر والتأثير، فما قام في رعيته ذاما مؤنبا إياهم على بلادتهم وقصر نظرهم، مستدلا على ذلك، إلا ليبين لهم سداد رأيه ومبلغ ندمه على أعقاب خلفتها تبعات المعصية من جهة، وعوامل المكر والخديعة من جهة أخرى، فما كان إلا أن ألقى خطابه متهكما ساخرا من خلال عقد صلة بين صورتين متشابهتين، تقوم إحداها على استقراء حال امرأة حامل لما أتمت أشهر حملها ألقت وليدها هالكا بغير دافع طبيعي كالضربة أو السقطة، ولم يكتف الخليفة بهذا، لأن المرأة ذاتها وهي في هذه الحال مات زوجها وطال تأيّمها، فاستمر ذلها بفقدها من يقوم عليها، حتى إذا هلكت عن غير ولد ورثها أبعدهم فرعا في درجة القرابة[2]، ولعل "عليا" في كل ذلك لم يكن يشير إلى حال المرأة بقدر ما كان يشير إلى أن ذل أهل العراق ومعاناتهم ستطول، بما أن عوامل الظفر قد لا تتكرر، وأيضا بما أن الخيبة ستكون أوقع في النفس، إن كانت الخلافة ستؤول إلى الذي لن يرعى حقها بما أنه لم يراع حق الله وشرعه عندما رفع المصاحف على أسنة الرماح.

وبالتالي كان لهذا التصوير البياني الذي جنح فيه الخطيب إلى انتزاع وجه الشبه من أحداث متعددة (تشبيه تمثيل مرسل) [3]، أبلغ الأثر في حمل المعنى على طريق الإيجاز (إيجاز قصر) بما أنه ضمن العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف مع الإبانة

---

[1]- نقلا عن: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع - ، ص318، 319.
[2]- الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ج1، هامش ص74.
[3]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص234، 237.

والإفصاح[1]، وإن كان الخطيب قد أطنب في قوله: "إنما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلما أتمت أملصت" من خلال ذكر الخاص بعد العام لغرض بلاغي هو بيان الهيئة و وصف الحال[2].

على أن الوصل فيما بين العبارات القصيرة كان قائما على أساس تناسبها في الخبرية والفعلية واشتراكها في الحكم الإعرابي[3].

و فيما عدا ذلك فإن الخطيب قد استهل خطابه بإنشاء النداء (يا أهل العراق) لغرض توجيه الدعوة إلى المخاطب وتنبيهه للإصغاء[4]، ثم ألقى كلامه مقيدا بـ "إنما" على سبيل القصر تأكيدا منه لفائدة الخبر، فالمتلقي – وإن كان خالي الذهن لا علم له بعناصر التشبيه (غير متردد ولا منكر)- يحتاج إلى ما يدفع به التردد والإنكار إن تبادرا إلى ذهنه، بما أن الخطيب خرق مبدأ المناسبة وضمّن خطابه ما استلزم البرهنة عليه[5].

و لما كانت الدلالة الاستدلالية تقوم في علم المعاني على البحث في دلالة الكلام من حيث خصائصه التركيبية في علاقتها بالخصائص التخاطبية والمقامية، على حين تقوم في علم البيان على البحث في تعامل منطوق القول وضمنياته التي يقصد إليها المتكلم في مقام من المقامات[6]، فإنها في علم البديع لا تتوقف عند الوظيفة الشكلية على سبيل الزخرفة والتنميق، وإنما تتعداها إلى وظيفة تأثيرية تعمل على لفت انتباه المتلقي وشد تركيزه من خلال إعمال الفكر والنظر في المعاني بأبعادها التحسينية[7].

وعلى هذا الأساس عكس كل من السجع (حملت... أتمت أملصت... قيمها... تأيمها... أبعدها)، والازدواج ( حملت – أتمت – أملصت / مات قيمها – طال تأيمها)

---

[1]- نفسه ، ص 198.

[2]- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص178.

[3]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص165.

[4]- إبراهيم عبود السامرائي ، الأساليب الإنشائية في العربية ، ص61.

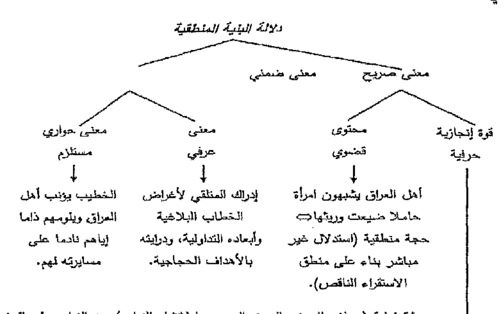
[5]- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص60.

[6]- شكري المبخوت ، الاستدلال البلاغي ، ص80.

[7]- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص497، 498.

ضمن البنية فكرا مرتبا متزنا، إن لم تكن له أبعاد إقناعية على مستوى المنطق، فإن له أثرا خاصا على مستوى الوجدان والشعور[1].

بناء عليه يمكن توجيه البنية المنطقية دلاليا وفق نظرية الاستلزام الحواري حسب ما يلي:



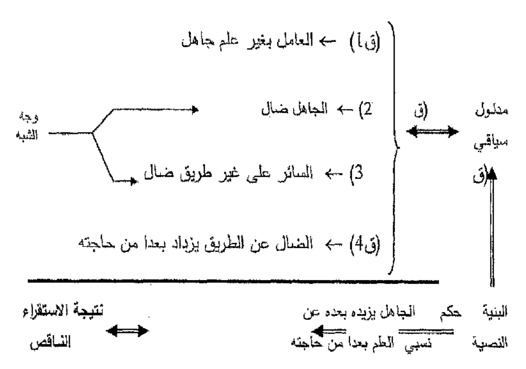

جملة فعلية ( حذف المسند والمسند إليه وجوبا لإنشاء النداء ) ⇐ النداء بـ "يـا" + منادى منصوب (مضاف) + مضاف إليه + الابتداء بالفاء + جملة اسمية ⇐ التقييد بـ"إنما" (أسلوب قصر) + مسند إليه معرف بالإضمار (مبتدأ) + مسند (خبر)[ شبه جملة ⇐ حرف جر يفيد التشبيه + اسم مجرور +صفة (قيد)] + حال (قيد)[ جملة فعلية ⇐ مسند + مسند إليه معرف بالإضمار (ضمير مستتر) + حرف عطف "الفاء" + شبه جملة ظرفية( ⇐ ظرف زمان + مضاف إليه(جملة فعلية⇐ مسند + مسند إليه معرف بالإضمار- ضمير مستتر-) + جملة فعلية ⇐ مسند + مسند إليه معرف بالإضمار- ضمير مستتر-) + وصل بلاغي بحرف العطف "الواو" + جملة فعلية ( ⇐ مسند + مسند إليه معرف بالإضافة ) + وصل بلاغي بحرف العطف "الواو" + جملة فعلية ( ⇐ مسند + مسند إليه معرف بالإضافة ) + وصل بلاغي بحرف العطف "الواو" + جملة فعلية ( ⇐ مسند مقيد بالمفعول به ( ضمير متصل) + مسند إليه معرف بالإضافة)].

**- المخطط رقم 32 -**

---

[1]- ينظر: حمدي منصور جودي ، " خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي " ، ص69.

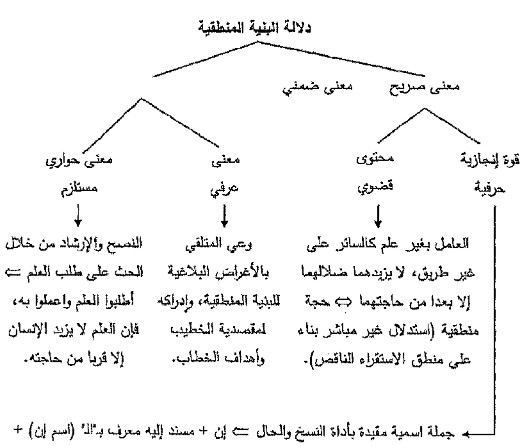
ب- **النّموذج الخطابي الثّالث:** عمد فيه الخطيب إلى عقد مقارنة بين حالتين متماثلتين وذلك حين قال: **"فإن العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطريق الواضح إلا بعدا من حاجته"**[1]، حيث توحي البنية النصية بأن إحدى الحالتين صادقة صدقا تجريبيا، فكان حمل أحكام هذه الحالة على الحالة الأخرى منطقيا بناء على ثبوت وجه شبه يجمع بينهما تم الاستدلال إليه باستقراء عوامله الواقعية (عوامل الضلال: الجهل ⇐ غياب المعرفة، وعدم اليقين ⇐ الشك + التردد)، ويمكن استنتاج البنية المنطقية لهذا السياق الاستدلالي بناء على ما أثبتته البنية النصية حسب الآتي:



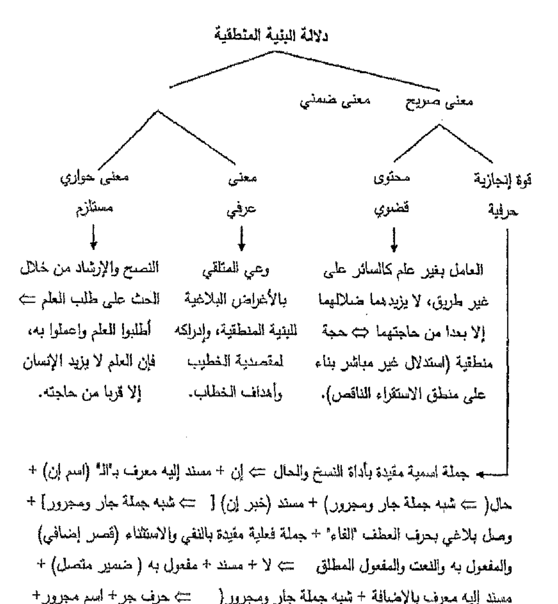

- المخطط رقم33 -

1- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 172/2.

بناء عليه، وبما أن البنية المنطقية قد تم تحليلها بلاغيا على اعتبار أنها أسست لقضية أولى ضمن سياق استدلالي مباشر أدى فيه قانون نقض المحمول – مستندا إلى الحكم الذي أثبته منطق الاستقراء الناقص على القضية الأولى ضمن سياق استدلالي مستقل- إلى إثبات حكم منطقي على قضية ثانية، فإن التوجيه التداولي حسب نظرية الاستلزام الحواري يقتضي ما يلي:




جملة اسمية مقيدة بأداة النسخ والحال ⇐ إن + مسند إليه معرف بـ"ال" (اسم إن) + حال( ⇐ شبه جملة جار ومجرور) + مسند (خبر إن) [ ⇐ شبه جملة جار ومجرور] + وصل بلاغي بحرف العطف "الفاء" + جملة فعلية مقيدة بالنفي والاستثناء (قصر إضافي) والمفعول به والنعت والمفعول المطلق ⇐ لا + مسند + مفعول به ( ضمير متصل) + مسند إليه معرف بالإضافة + شبه جملة جار ومجرور( ⇐ حرف جر+ اسم مجرور+ صفة) + إلا (أداة استثناء ملغاة تفيد الحصر ⇐ الاستثناء مفرغ) + مفعول مطلق + شبه جملة جار ومجرور.




جملة اسمية مقيدة بأداة النسخ والحال ⇐ إن + مسند إليه معرف بـ"أل" (اسم إن) + حال( ⇐ شبه جملة جار ومجرور) + مسند (خبر إن) [ ⇐ شبه جملة جار ومجرور] + وصل بلاغي بحرف العطف "الفاء" + جملة فعلية مقيدة بالنفي والاستثناء (قصر إضافي) والمفعول به والنعت والمفعول المطلق ⇐ لا + مسند + مفعول به ( ضمير متصل) + مسند إليه معرف بالإضافة + شبه جملة جار ومجرور( ⇐ حرف جر+ اسم مجرور+ صفة) + إلا (أداة استثناء ملغاة تفيد الحصر ⇐ الاستثناء مفرغ) + مفعول مطلق + شبه جملة جار ومجرور.

**- المخطط رقم 34 -**

# خاتمة

تبيّن، بعد التفصيل على طريق التّأريخ والمقارنة والوصف والتحليل، أنّ البلاغة العربية في الدرس اللغوي الحديث أضحت مصطلحا إجرائيا يقتضي مفهوما حديثا تبلورت نظرياته التحليلية ، ومن ثم آلياته الإجرائية بناء على استثماره أنساقا علمية متباينة ، وكانت البلاغة بمفهومها الفنّي معلما إستراتيجيا عمل على اتساق هذه الأنساق فيما بينها، وبالتالي سارت القضايا البلاغية والمباحث التداولية جنبا إلى جنب في أداء الوظيفة التحليلية ، أمّا المحاور الرئيسة التي بني على أساسها موضوع البحث فإنّما تعلقت بمصطلحات محددة ترتبت عليها مفاهيم أساسة ذات صلة وثيقة بالمعالم البنائية في الدراسات التحليلية ، يمكن تلخيصها فيما يلي:

- الحجّة دليل يقصد، أو يجب الرجوع إليه للعمل به من أجل تحصيل الغلبة على الخصم، وهي قسمان حجة منطقية تقتضي الاستدلال المباشر وغير المباشر، وأخرى خطابية تستحضر بنى جاهزة متفق على حجيتها.
- الحجاج مصطلح وظيفي إجرائي، يستعمل في التواصل العام بمفهوم اللجوء إلى الحجة بقسميها المنطقية والخطابية، إضافة إلى توظيف الأساليب اللغوية ذات الأبعاد البلاغية أثناء عملية التخطاب، بهدف الإقناع، ومن هذا التعريف يستمد الحجاج في الدراسات اللغوية المعاصرة مفهومه الإجرائي، فهو تقنيات تضطلع بها دراسة تحليلية لمحتوى يحمل على الاقتناع بما يعرض فيه، أو الزيادة في حجم الاقتناع.

وبناء عليه يكون رسم الحدود الفاصلة بين الحجة والحجاج حسب الآتي:

- تأخذ الحجة صفة الموضوعية التي تفرض الإلزام والوجوب يقينا لا احتمالا، لأنّ من صفاتها الاستقامة في القصد بعيدا عن المغالطة.

- مفهوم الحجاج أشمل من مفهوم الحجة، سواء أكان ذلك في عملية البناء الوظيفي أم في عملية الدراسة والتحليل، فقد يلجأ الحجاج إلى الحجة كما قد يلجأ إلى أساليب لغوية براغماتية، وبالتالي قد يكون اللامنطق حاضرا في مساره الاستدلالي، فتأتي نتائجه بناء على ما هو مرجح وممكن ومحتمل؛ لأن هدفه ليس الصدق الدقيق ولا البرهنة القاطعة، وإنما الإقناع وإن كان عن طريق المغالطة.

- **الخطاب الحجاجي** نمط يعنى بتوظيف مفاهيم كل من الحجة والحجاج، بناء على أسس بنائية ثابتة تفرض خصائص فنية مميزة، علما أن مفهوم الخطاب يقتضي تضافر معايير نصية، وأخرى تنظيمية في بناء النصوص، ومن ثم في تشكيل وحدات تواصلية متماسكة تسهم في إنتاج أنماط متعددة من الخطابات.

- **الخطابة** بمعالمها النظرية تجسد مفهوما وظيفيا حديثا، يقتضيه مصطلح الخطاب من جهة، ويحدده نمط خاص من جهة أخرى، وذلك أنها فن أدبي نثري يوظف الحجة سواء أكانت منطقية أم خطابية خلال مرحلة محددة من مراحل بنائه ، إضافة إلى استغلاله الأساليب اللغوية ذات الأبعاد البلاغية أثناء عملية التواصل بهدف التأثير، فالإقناع.

- إذا كان **الخطاب الحجاجي** يؤسس لـ**خطبة** ما، فإنّ تنظيم الأفكار والأدلة يخضع لترتيب خاص، إذ يؤتى أولا بما يسمى بـ**المقدمة** وهي بمثابة تمهيد للموضوع، ثم **العرض** وفيه يتم التعريف بالموضوع وتوضيح أفكاره وشرحها، يلي ذلك **تدليل** يتم من خلاله طرح الأدلة التي تعضد أفكار الموضوع الرئيسة، وأخيرا **الخاتمة** وفيها يتم تلخيص الموضوع، والتذكير بأهم أفكاره.

و بالتالي ، تكون الخطابة خطابا حجاجيا يمكن وصفه وفق آليات إجرائية تداولية تقتضي ظواهر فنية ذات أغراض بلاغية، في مستوى تواصلي يتخذ من الأدلة على اختلافها وتنوعها سبيلا له في تحقيق أهداف الخطاب ذاته ، و بما أنّ خطاب

الخلفـاء الراشـدين ؟ وكيـف أسـهمت الظـواهر الفنيـة في بلـورة بلاغـة الحجـة في خطاباتهـم؟ ، وإن كانت دراسة النّماذج الخطابيّة المختارة وتحليلها وفق آليات تداوليّة اقتضتها أساليب بلاغيّة في مستوى تواصلي اتّخذ من الحجّة سـواء أكانـت منطقيّـة أم خطابيّة وسيلة للتّأثير والإقناع ، قد حدّدت أغلب الأسس الحجاجيّة ، و بيّنت معظم القواعد البنائيّة ، وعرضت جلّ الظّواهر الفنّية.

## ملحـــق

## النّماذج الخطابيّة المختارة

**أ- نماذج أبي بكر الصّدّيق:**

- **النّموذج الخطابي الأوّل:** " الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأؤمن به وأتوكل عليه، وأستهدي الله بالهدى، وأعوذ به من الضلال والردى، ومن الشك والعمى. من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، إلى الناس كافة رحمة لهم وحجة عليهم، والناس حينئذ على شر حال، وفي ظلمات الجاهلية، دينهم بدعة، ودعوتهم فرية، فأعز الله الدين بمحمد – صلى الله عليه وسلم –، وألف بين قلوبكم أيها المؤمنون فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون، فأطيعوا الله ورسوله، فإنه قال عز وجل: ( *مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾* )[1].

أما بعد، أيها الناس، إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر وعلى كل حال، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم، فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك. وإياكم والفخر، وما فخر من خلق من تراب، وإلى التراب يعود، هو اليوم حي وغدا ميت. فاعملوا وعدوا أنفسكم في الموتى، وما أشكل عليكم فردوا علمه إلى الله، وقدموا لأنفسكم خيرا تجدوه محضرا، فإنه قال عز وجل: ( *يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ*

[1]- النساء / 80.

تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾)[1] . فاتقوا الله عباد الله، وراقبوه واعتبروا بمن مضى قبلكم، واعلموا أنه لا بد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم صغيرها وكبيرها، إلا ما غفر الله إنه غفور رحيم. فأنفسكم أنفسكم والمستعان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. إن الله وملائكته يصلون على النبي، ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك، وزكنا بالصلاة عليه، وألحقنا به، واحشرنا في زمرتـــه، وأوردنـــا حوضه. اللهم أعنا على طاعتك، وانصرنا على عدوك "[2].

- **النّموذج الخطابي الثّاني**: "قام (...) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم، فإنما أخلصتم لله من الأعمال فطاعة أتيتموها وضرائب أديتموها وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى فانية لحين فقركم وحاجتكم، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم، وتفكروا فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟ أين الجبارون الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب؟ قد تضعضع بهم الدهر، وصاروا رميما، قد نزلت عليهم القالات، الخبيثات للخبيثين، والخبيثون للخبيثات، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟ قد بعدوا ونسي ذكرهم، وصاروا كلا شيء، إلا أن الله عز وجل قد أبقى عليهم التبعات، وقطع عنهم الشهوات، ومضوا والأعمال أعمالهم، والدنيا دنيا غيرهم، وبعثنا خلفا بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا، وإن انحدرنا كنا مثلهم، أين الوضاءة الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟ صاروا ترابا، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط، وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور. ( هَلْ تُحِسُّ

[1]- آل عمران / 30.

[2]- ابن عبد ربه الأندلسي ، كتاب العقد الفريد ، 4/ 63، 64.

مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ )[1]، أين من تعرفون من آبائكم وإخوانكم؟ قد انتهت بهم آجالهم، فوردوا على ما قدموا فحلّوا عليه وأقاموا للشقوة أو للسعادة بعد الموت، ألا إنّ الله لا شريك له ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيرا، ولا يصرف به عنه سوءا إلاّ بطاعته واتباع أمره، واعلموا أنكم عبيد مذنبون، وإنّ ما عنده لا يدرك إلاّ بطاعته « لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة »[2].

- **النّموذج الخطابي الثّالث:** " أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: ( وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ )[3][4].

**ب- نماذج عمر بن الخطّاب:**

- **النّموذج الخطابي الأوّل:** " ياأيها الناس، إنه أتى عليّ حين وأنا أحسب أنه من قرأ القرآن إنه إنما يريد به الله وما عنده. ألا وقد خيل إلي أن أقواما يقرؤون القرآن يريدون به ما عند الناس، ألا فأريدوا الله بقراءتكم، وأريدوه بأعمالكم، فإنّما كنّا كنّا نعرفكم إذا الوحي ينزل، وإذا النبي – صلى الله عليه وسلم – بين أظهرنا، فقد رفع الوحي وذهب النبي عليه السلام، فإنما أعرفكم بما أقول لكم. ألا فمن أظهر لنا خيرا ظننّا به خيرا وأثبتناه عليه، ومن أظهر لنا شرا ظننّا به شرا وأبغضناه عليه، اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها، فإنها طلعة، وإنكم إلاّ تقدعوها تنزع بكم إلى شر غاية. إن هذا الحق ثقيل مرئ، وإن الباطل خفيف وبيء، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة، وربّ نظرة زرعت شهوة، وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا ".[5]

---

[1]- مريم / 98.

[2]- ابن كثير، البداية والنهاية ، المجلد الثالث ، 696/6.

[3]- آل عمران / 144.

[4]- ابن كثير، البداية والنهاية، المجلد الثالث ، 264/5.

[5]- الجاحظ ، البيان والتبيين، المجلد الثاني ، 88/3.

- **النّموذج الخطابي الثّاني:** " إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر، واتخذ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا، عن غير مسألة منكم له، ولا رغبة منكم فيه إليه، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئا لنفسه وعبادته، وكان قدرا أن يجعلكم لأهون خلقه عليه، فجعل لكم عامة خلقه، ولم يجعلكم لشيء غيره، وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وحملكم في البر والبحر، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون.

ثم جعل لكم سمعا وبصرا. ومن نعم الله عليكم نعم عم بها بني آدم، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها، وفدحهم حقها، إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فأنتم مستخلفون في الأرض، قاهرون لأهلها، قد نصر الله دينكم، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان، أمة مستعبدة للإسلام وأهله، يجزون لكم، يستصفون معايشهم وكدائحهم ورشح جباههم، عليهم المؤونة ولكم المنفعة، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة، قد ملأ الله قلوبهم رعبا، فليس لهم معقل يلجؤون إليه، ولا مهرب يتقون به، قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم، مع رفاغة العيش، واستفاضة المال، وتتابع البعوث، وسد الثغور بإذن الله، مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام، والله المحمود، مع الفتوح العظام في كل بلد. فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين، مع هذه النعم التي لا يحصى عددها، ولا يقدر قدرها، ولا يستطاع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه! فنسأل الله الذي لا إله إلا هو الذي أبلانا هذا، أن يرزقنا العمل بطاعته، والمسارعة إلى مرضاته.

واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم، واستتموا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثنى وفرادى، فإن الله عز وجل قال لموسى: ﴿ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ

وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾[1]. وقال لمحمد - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[2] فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق، تؤمنون بها، وتستريحون إليها، مع المعرفة بالله ودينه، وترجون بها الخير فيما بعد الموت، لكان ذلك، ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة، وأثبتهم بالله جهالة. فلو كان هذا الذي استشلاكم به لم يكن معه حظ في دنياكم، غير أنه ثقة لكم في آخرتكم التي إليها المعاد والمنقلب، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرياء أن تشحّوا على نصيبكم منه، وأن تظهروه على غيره، فبله ما إنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة، ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم ، فأذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له، وقسرتم أنفسكم على طاعته، وجمعتم مع السرور بالنعم خوفا لها ولانتقالها، ووجلا منها ومن تحويلها، فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها، وإن الشكر أمن للغير، ونماء للنعمة، واستيجاب للزيادة، هذا لله علي من أمركم ونهيكم واجب"[3].

**ج- نماذج عثمان بن عفّان:**

- **النّموذج الخطابي الأوّل:** " قال: الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أمّا بعد، فإنكم لم تعدلوا في المنطق، ولم تنصفوا في القضاء، أما قولكم: تخلع نفسك، فلا أنزع قميصا قمّصنيه الله عز وجل وأكرمني به، وخصني به على غيري، ولكني أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون، فإني والله الفقير إلى الله الخائف منه.(...) أما أن أتبرأ من الإمارة، فإن تصلبوني أحب إلي من أن أتبرأ من أمر الله عز وجل وخلافته. وأما

[1]- إبراهيم / 5.
[2]- الأنفال / 26.
[3]- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 574/2، 575.

قولكم: تقاتلون من قاتل دوني، فإني لا آمر أحدا بقتالكم، فمن قاتل دوني فإنما قاتل بغير أمري، ولعمري لو كنت أريد قتالكم، لقد كنت كتبت إلى الأجناد فقادوا الجنود وبعثوا الرجال، أو لحقت ببعض أطرافي بمصر أو عراق، فالله الله في أنفسكم أبقوا عليها إن لم تبقوا عليّ، فإنكم مجتلبون بهذا الأمر - إن قتلتموني- دما "[1].

- **النّموذج الخطابي الثّاني:** " لكل أمة آفة، ولكل نعمة عاهة، وإن آفة هذه الأمة عيّابون طعّانون، يظهرون لكم ما تحبّون، ويسرون ما تكرهون، طغام مثل النّعام، يتبعون أول ناعق، لقد نقموا عليّ ما نقموه على عمر، ولكن قمعهم عمر ووقمهم. والله إني لأقرب ناصرا وأعز نفرا. فضل فضل من مالي، فما لي لا أفعل في الفضل ما أشاء "[2].

**د- نماذج علي بن أبي طالب:**

- **النّموذج الخطابي الأوّل:** " أما بعد: يا أهل العراق! فإنّما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلما أتمّت أملصت، ومات قيّمها، وطال تأيّمها، وورثها أبعدها. أما والله ما أتيتكم اختيارا، ولكن جئت إليكم سوقا، ولقد بلغني أنكم تقولون: «علي يكذب»! قاتلكم الله! فعلى من أكذب؟ أعلى الله؟ فأنا أول من آمن به؟ أم على نبيه؟ فأنا أول من صدّقه؟ كلاّ والله ولكنّها لهجة غبتم عنها، ولم تكونوا من أهلها. ويلمّه كيلا بغير ثمن، لو كان له وعاء، ولتعلمنّ نبأه بعد حين! "[3].

- **النّموذج الخطابي الثّاني:** " أما بعد: فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنّته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه، ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء، وديّث بالصغار والقماءة، وضرب على قلبه بالأسداد، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف. ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا، وسرا وإعلانا، وقلت لكم: اغزوهم قبل

---

[1]- نفسه ، 667/2 .

[2]- الجاحظ ، البيان والتبيين ، المجلد الأول ، 251/1 .

[3]- الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، 74/1.

أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلاّ ذلوا". فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات، وملكت عليكم الأوطان. وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسّان بن حسّان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني: أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها، وقلبها، وقلائدها ورعائها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم، ولا أريق لهم دم.

فلو أن امرأ مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما بل كان به عندي جديرا. فيا عجبا! عجبا والله يميت القلب، ويجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا، حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون. فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر، قلتم: "هذه حمارّة القيظ أمهلنا يسبّخ عنا الحرّ"، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم:"هذه صبارّة القرّ أمهلنا ينسلخ عنا البرد"، كل هذا فرارا من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر. يا أشباه الرجال ولا رجال! حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة، والله، جرت ندما، وأعقبت سدما.

قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحا، وشحنتم صدري غيظا، وجرعتموني نغب التّهمام أنفاسا، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: "إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب".

لله أبوهم!! وهل أحد منهم أشدّ لها مراسا وأقدم فيها مقاما مني؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أناذا قد ذرفت على السّتين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع "[1].

[1]- الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، 45/1، 46.

- **النّموذج الخطابي الثّالث:** "(ومن خطبة له- رضي الله عنه -) وناظر قلب اللبيب به يبصر أمده، ويعرف غوره ونجده، داع دعا، وراع رعى، فاستجيبوا للداعي واتبعوا الراعي.

قد خاضوا بحار الفتن، وأخذوا بالبدع دون السّنن، وأرز المؤمنون، ونطق الضالون المكذبون. نحن الشّعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقا.(...) فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمان، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا، فليصدق رائد أهله، وليحضر عقله، وليكن من أبناء الآخرة، فإنه منها قدم، وإليها ينقلب، فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله أن يعلم أعمله عليه أم له، فإن كان له مضى فيه، وإن كان عليه وقف عنه، فإنّ العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطريق الواضح إلا بعدا من حاجته، والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح، فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع.

واعلم أن لكل ظاهر باطنا على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه، وقد قال الرسول الصادق صلى الله عليه وآله: "إن الله يحب العبد ويبغض عمله، ويحب العمل ويبغض بدنه" واعلم أن لكل عمل نباتا، وكل نبات لا غنى به عن الماء، والمياه مختلفة، فما طاب سقيه، طاب غرسه، وحلت ثمرته، وما خبث سقيه، خبث غرسه، وأمرّت ثمرته "[1].

[1]- نفسه ، 2 / 171، 172.

# المصادر والمراجع

## 1 – المصادر و المراجع:

### أوّلا / المكتوبة باللغة العربيّة :

– القرآن الكريم ، رواية حفص عن عاصم.

– إبراهيم (إياد عبد المجيد):

1 – في النحو العربي – دروس وتطبيقات – ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن، ط1، 2002 م.

– إبرير (بشير):

2 – « من لسانيات الجملة إلى علم النص» ، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية "التواصل" ، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، العدد14 ، جوان 2005 م.

– إدريس (سهيل) ، عبد النور( جبور):

3 – المنهل – قاموس فرنسي عربي– ، دار الآداب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1977 م.

– بلانشيه (فيليب):

4 – التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 2007 م.

– بليث (هنريش):

5 – البلاغة والأسلوبية – نحو نموذج سيميائي لتحليل النص – ، ترجمة وتعليق: محمد العمري ، دار أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، دار أفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1999 م.

– بوراوي (مليكة):

6 – « بلاغة التكرار في مراثي الخنساء » ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر، العدد09 ، مارس 2006 م.

– بوقرّة (نعمان):

7 – المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب – دراسة معجمية – ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، أربد ، الأردن، ط1، 2009 م.

- تبرماسين (عبد الرّحمن):
8 - « التوازنات الصوتية – التوازي، البديع، التكرار- » ، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد01، 2004 م.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر):
9 - البيان والتبيين ، وضع حواشيه: موفق شهاب الدين ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت، لبنان ، ط1 ، 1998 م ، المجلد الأول (ج1) ، المجلد الثاني (ج3).
- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد):
10 - دلائل الإعجاز في علم المعاني ، صحح أصله: محمد عبده، محمد محمود التركزي الشنقيطي، علق عليه: محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 2001 م.
- الجرجاني (الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الحنفي):
11 - كتاب التعريفات ، د.تح ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، ط1، 2005 م.
- جودي (حمدي منصور):
12 - « خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي – دراسة لنماذج نصية مختارة – » ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان، إشراف: محمد خان، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة والأدب العربي، 2007/ 2008 م.
- الحباشة (صابر):
13- التداولية والحجاج – مداخل ونصوص- ، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية، ط1، 2008 م.
- الحسين بن المبارك(أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي):
14- مختصر صحيح البخاري- التجريد الصّريح لأحاديث الجامع الصّحيح - شرحه ووضع حواشيه: الشيخ الشرقاوي، ابن قاسم الغزي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005 م.

- الحميري (عبد الواسع) :
15 - الخطاب والنص - المفهوم، العلاقة، السلطة - ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008 م.
16 - ما الخطاب وكيف نحلله ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط1، 2009 م.
- الحوفي (أحمد محمد):
17 - فن الخطابة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط4، 2002 م.
- الدريدي (سامية):
18 - الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة - بنيته وأساليبه - ، دار عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، أربد، الأردن، دار جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ط، 2008 م.
- دفة (بلقاسم):
19 - في النحو العربي - رؤية علمية في: المنهج، الفهم، التعليم، التحليل- ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، د.ط، 2002/ 2003 م.
- دي بوجراند (روبرت):
20 - النص والخطاب والإجراء ، ترجمة: تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر، ط1، 1998م.
- الراجحي (عبده):
21 - التطبيق النحوي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ، د.ط ، 1988 م.
- الرضي (الشريف):
22 - نهج البلاغة ، شرح: محمد عبده ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ط4، 2005 م ، ج1، 2، 4.
- الزّناد (الأزهر):
23 - نسيج النص - بحث في ما يكون به الملفوظ نصا- ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1991 م.
- زيدان (محمود):

24- الاستقراء والمنهج العلمي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت.
- السامرائي (إبراهيم عبود):
25- الأساليب الإنشائية في العربية - النمط والاستعمال- ، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008 م.
- السامرائي (فاضل صالح):
26- معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ب، ط1، 2000 م ، ج4 .
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن):
27 - تاريخ الخلفاء ، د.تح ، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 م.
- شاكر (محمود):
28 - موسوعة الحضارات وتاريخ الأمم القديمة والحديثة ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2008 م ، ج1 .
- الشنيطي (محمد فتحي):
29 - أسس المنطق و المنهج العلمي ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1970 م.
- الشهري(عبد الهادي بن ظافر):
30 - إستراتيجيات الخطاب - مقاربة لغوية تداولية - ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، ط1، 2004 م.
- صالح (محمد سالم):
31 - «أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية و دور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى» ، http://www.kau.edu.sa/eiles ، 2008 م.
- الصمد (واضح):
32 - أدب صدر الإسلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1994 م.
- طاليس (أرسطو):

33 – الخطابة ، الترجمة العربية القديمة ، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن بدوي ، دار القلم للنشر، بيروت، لبنان، وكالة المطبوعات ، الكويت، د.ط، 1979 م.
– الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير):
34 – تاريخ الأمم والملوك ، د.تح ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان ، ط1، 2001 م ، ج 3،2.
– الطلبة (محمد سالم محمد الأمين):
35 – الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر – ، دار الكتاب الجديد المتحدة للنشر، بيروت ، لبنان ، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع ، طرابلس ، ليبيا، ط1 ، 2008 م.
– ابن عبد ربّه الأندلسي (أبو عمر أحمد بن محمد):
36 – كتاب العقد الفريد ، شرحه وضبطه ورتب فهارسه: إبراهيم الأبياري، قدم له: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج4 .
– عبد الرحمن( طه) :
37 – في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي للنشر، الدار البيضاء ، المغرب ، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت ، لبنان ، ط2، 2000 م.
38 – اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي للنشر، الدار البيضاء ، المغرب ، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998 م.
– عبد المجيد (جميل):
39 – البلاغة و الاتصال ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر، د.ط ، 2000 م.
– عبيدي(نوار):
40 – التركيب في المثل العربي القديم – دراسة نحوية للجملة الاسمية – ، مطبعة المعارف، د.ب، ط1، 2005 م.
– عتيق (عبد العزيز) :
41 – في الأدب الإسلامي و الأموي ، دار النهضة العربية للنشر، بيروت ، لبنان ، ط1، 2001م.

42 – في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع – ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت ، لبنان، د.ط، د.ت.

– العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل سعيد بن يحي بن مهران) :

43 – كتاب جمهرة الأمثال ، تحقيق وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، عبد المجيد قطامش ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، د.ت ، ج2 .

44 – كتاب الفروق ، تقديم وضبط وتعليق وفهرسة : أحمد سليم الحمصي ، دار جروس برس ، طرابلس ، لبنان ، ط1 ، 1994 م.

– عمر شو (صبحي):

45 – أسلوب الشرط و القسم من خلال القرآن الكريم ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2009 م.

– العمري (محمد):

46 – البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول ، دار أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، د.ط ، 2005 م.

47 – البلاغة العربية – أصولها وامتداداتها–، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دار إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، د.ط، 1999 م.

48 – في بلاغة الخطاب الإقناعي – مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجاً– ، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دار أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2002 م.

– الفاخوري (حنّا):

49 – الجامع في تاريخ الأدب العربي– الأدب القديم – ، دار الجيل ، بيروت، لبنان، د.ط ، د.ت.

– فضل (صلاح):

50 – بلاغة الخطاب و علم النص ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، مصر، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، لبنان ، ط1 ، 2004 م.

– القزويني (الخطيب جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر):

51 – الإيضاح في علوم البلاغة ، تقديم وتبويب وشرح : علي بوملحم ، دار و مكتبة الهلال للطباعة و النشر، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 2000 م.

- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي):
52 – البداية والنهاية ، د.تح ، خرّج أحاديثه: محمد بيومي ، عبد الله المنشاوي ، محمد رضوان مهنّا ، مكتبة الإيمان للنشر، المنصورة ، مصر، د.ط ، د.ت ، المجلد الثاني (ج 3) ، المجلد الثالث (ج 5 + 6 ).
- كراكبي (محمد):
53 – بنية الجملة و دلالاتها البلاغية في الأدب الكبير لابن المقفع – دراسة تركيبية تطبيقية – ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، أربد ، الأردن ، ط1 ، 2008 م.
- المبخوت (شكري):
54 – الاستدلال البلاغي ، دار الكتاب الجديد المتحدة للنشر، بيروت ، لبنان ، توزيع دار أويا ، طرابلس ، ليبيا ، ط2 ، 2010 م.
- محمد الصافي (خديجة):
55 – أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية و توجيهها في السياق ، دار السلام للطباعة والنشر و التوزيع و الترجمة ، القاهرة ، مصر، ط1، 2009 م.
- محمد علي (ماهر عبد القادر) :
56 – فلسفة العلوم – المنطق الاستقرائي- ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1984 م ، ج1 .
57 – المنطق ومناهج البحث ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان ، د.ط ، 1985 م.
- مطرجي (محمود):
58 – في الصرف وتطبيقاته ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2000م.
59 – المعجم العربي الأساسي ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، توزيع لاروس، 1989 م.
- معروف (نايف):
60 – الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، دار النفائس للطباعة و النشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1998 م.

61 – المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق ، المكتبة الشرقية للتوزيع ، بيروت ، لبنان، طبعة المئوية الأولى ، 2008 م ، ج1 ، 2 .

– ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم):

62 – لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، لبنان ، ط 6 ، 1997 م ، ج 1 ، 2، 4 .

– ميلز (سارة):

63 – الخطاب ، ترجمة : يوسف بغول ، منشورات مخبر الترجمة في الأدب و اللسانيات ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر، د.ط ، 2004 م.

– نصبة (بوبكر):

64 – «الاتساق والانسجام في شعر إبراهيم ناجي – قصيدة "ساعة التذكار" أنموذجا–» ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان العربي، إشراف: بلقاسم دفة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، 2005/ 2006 م.

– هازارد (هاري):

65 – أطلس التاريخ الإسلامي ، ترجمة وتحقيق : إبراهيم زكي خورشيد، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية للطبع والنشر، القاهرة، مصر، د.ط، 1954 م.

– الهاشمي (أحمد):

66 – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ضبط وتدقيق و توثيق : يوسف الصميلي ، الدار النموذجية ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2000 م.

– الواعي (توفيق):

67 – الخطابة و إعداد الخطيب ، دار اليقين للنشر و التّوزيع ، المنصورة ، مصر، ط3 ، 1999 م.

## ثانيًا / المكتوبة بغير العربية :

– Adam (Jean Michel) :

– Linguistique textuelle – des genres de discours aux textes , édition nathan , Paris , France , 2004.

– Petit dictionnaire français , Librairie larousse , Paris , France,1968.

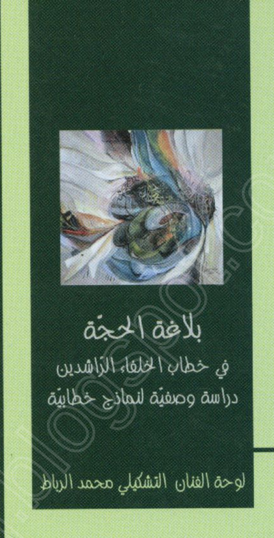
– «Rhetoric» , http://wikipedia.org/wiki/rhetoric.

– Robrieux (Jean-Jacques) :

– Rhétorique et argumentation , édition nathan , Paris , France , R2, 2000.

المحتويات

يستنفد هذا الكتاب جهده في سبيل الوقوف على بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين ، من خلال دراسة نماذج خطابية محددة ، سعياً إلى إثبات أن البنى الحجاجية في الخطاب الأدبي لا تكتفي بقوانين البناء ، وإنما تقتضي بدورها ظواهر فنية تؤسس بلاغتها ، لكن هذا الإثبات لا يتحقق إلا من خلال جنس أدبي تمثل فيه تلك القوانين البنائية ، والظواهر الفنية ، دعائمه الهيكلية ، فكان جنس الخطابة النمط الخطابي الذي تتحقق من خلاله المعالم المنشودة ، لأنه خطاب يقوم على المنطق والخيال ، ويخاطب العقل دون أن يقصي الوجدان .











مركز الكتاب الأكاديمي
عمّان-وسط البلد-مجمع الفحيص التجاري
ص . ب : 11732 عمّان (1061) الأردن


تلفاكس: 96264619511+ موبايل: 962799048009+
الموقع الإلكتروني :www.abcpub.net
A.B.Center@hotmail.com / info@abcpub.net